

مُخْتَصَرٌ

حَيَاةُ السَّلَفِ

بَيْنَ

الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ



تَأَلَّفَ

أحمد بن ناصر الطائي

مكتبة دار الحديث
للنشر والتوزيع

مختصر
حياة السلف
بين
القول والعمل



كُلُّهُ لِكِتَابِ الْوَقَائِدِ الْقَوَائِدِ

الشؤون الفنية
إدارة الإيداع القانوني

عنوان المؤلف: مختصر حياة السلف

تأليف: أحمد بن ناصر الطيار

رقم الإيداع: ٢٠٢٢ / ٢٠٤٠٢

الترقيم الدولي: ٤-٠٨١-٨٠٤-٩٧٧-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

مكتبة دار الحجernal
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع السويدي العام - شرف النفق
الإدارة والبيانات: ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٣٤١٧ - ٠٠٩٦٦٥٦١٥١٥٠٥٨ - ٠٠٩٦٦٥٦١٥١٥٠٥٨ - ٠٠٩٦٦٥٦١٥١٥٠٥٨ - ٠٠٩٦٦٥٦١٥١٥٠٥٨

البيانات: ١٧٥ - طريق سبوح بن محمد الصديق - هاتف: ٠٣/٥٤٦١٥٨٣ - جوال: ٠١١٦٨٣٣٥٥١

القاهرة - ٦٤ - المرسى متفرع من مين المطار - خلف جامع الأمل الشريف - هاتف: ٠٢/٢٥١٠٧٤٧٢

جوال: ٠١١٦٨٣٣٥٥٠ - ٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٧٣ - ٠٣٤٣٨١٥٠٩ - فاكس: ٠٣٤٣٨١٥٠٩

البريد الإلكتروني: d.alhijaz@gmail.com

مُخْتَصَرٌ
حَيَاةُ السَّلَفِ
بَيْنَ
الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

تَأَلَّفَ

أحمد بن ناصر الطائفة

مكتبة دار الحديث
للنشر والتوزيع

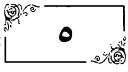
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى:
عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة

وقال الإمام أبو حنيفة رحمته الله:
الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إلي من الفقه،
لأنها آداب القوم

وقال بعض المشايخ:
الحكايات جند من جنود الله؛ يثبت بها قلوب أوليائه،
قال: وشاهده قوله تعالى:
﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِءُ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]

[ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/٣٤)]



مُقَدِّمَةُ الْمُخْتَصَرِّ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فرغبةً في تيسير كتابي (حياة السلف بين القول والعمل) للناس، وليكون سهلَ المُتَنَاوَلِ والمُطَالَعَةِ، ومناسباً لقراءته على الناس في المساجد ونحوها: اختصرته، وانتقيت منه زُبْدَتَهُ، واخترت من الآثار أجمعها وأنفعها، وحذفت جلّ التعليقات.

فهذا المختصر: زبدة وخلاصة حياة السلف، التي تجمع أخلاقهم وعقائدهم وتعاملهم وعباداتهم، الصافية النقيّة السالمة مما يُخالف الكتاب والسُنَّةَ، مما لم يصح النقل عنهم، أو صحّ عنهم، وتكون من قبيل الاجتهادات التي يُعذرون بها، لكن لا يجوز لمن عَلِمَهَا أن يقلدهم ويقتدي بهم فيها.

أسأل الله تعالى أن ينفع به.

أحمد بن ناصر الطيار

خطيب جامع

عبد الله بن نوفل بالزلفي

والداعي إلى الله في وزارة الشؤون الإسلامية

البريد الإلكتروني:

ahmed0411@gmail.com

رقم الجوال: ٠٥٠٣٤٢١٨٦٦

شعبان، عام ١٤٤٣هـ

المُقَدِّمَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فضّلنا وجعلنا خير الأمم، وأرسل إلينا رسولا زكاه بأحسن الأخلاق وأعظم القيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، منّ على هذه الأمة بأوفر العطايا وأجمل النعم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، من سار على هديه أوصله إلى أعالي القيم، ومن حاد عن طريقه تجرّع الذل والصغار والندم، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه سادات العُرب والعجم، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلقد ترك لنا علماؤنا الأجلاء علوماً كثيرةً في شتى الفنون، حتّى كتبوا في السلوك والأخلاق والسياسة والمنطق والطب وغيرها من أنواع العلوم المفيدة، والفضل لله ثم لهم في تقييد هذه العلوم والآثار عن سبقهم، «ولولا ما عقده الكتب من تجارب الأولين لأنحلّ مع النسيان عقود الآخريين»^(١).

وَمِمَّا كَتَبُوا فِي ذَلِكَ وَصَنَفُوا:

الكتب التي تجمع أقوال وأحوال السلف لصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ولا شك أن كلام علماء السلف أعظم تأثيراً وفائدة

(١) «أدب الدين» للماوردي (١٠٥)

مِنْ كَلَامٍ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ مِنَ الْقُرُونِ الْمُفَضَّلَةِ الَّتِي شَهِدَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْخَيْرِيَّةِ، حَيْثُ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ: قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(١).

فَإِذَا أَكْثَرَ الْمُسْلِمُ مَطَالَعَةَ كِتَابِهِمْ وَأَدَامَ النَّظَرَ فِي كَلَامِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ؛ اسْتِفَادَ فَائِدَةً عَظِيمَةً، يَظْهَرُ أَثَرُهَا عَلَيْهِ فِي أَخْلَاقِهِ وَسُلُوكِهِ، وَسَيَعْظُمُ قَدْرُهُ وَقَبُولُهُ عِنْدَ النَّاسِ.

وَحَاجَةُ النَّاسِ لِلْقَدَوَاتِ مَاسَّةٌ جَدًّا خَاصَّةً فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّتِي كَثُرَتْ فِيهِ الْفِتَنُ وَالشَّهَوَاتُ وَالشَّبَهَاتُ، وَانْتَشَرَتْ فِيهِ الْقِيمُ الْغَرْبِيَّةُ وَالشَّرْقِيَّةُ الْمُنْحَرِفَةُ عَنِ الْفِطْرَةِ السُّوِّيَّةِ، وَمَهْمَا اجْتَهَدَ الْمُسْلِمُ فِي إِصْلَاحِ نَفْسِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَقَلْبِهِ سَيَجِدُ صَعُوبَةً وَمَشَقَّةً.

وَأَعْظَمُ قَدْوَةٌ لَنَا فِي دِينِنَا وَأَخْلَاقِنَا وَصِلَاحِ ظَاهِرِنَا وَبَاطِنِنَا - بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَخَاصَّةً نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ -: الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ خَاصَّةً فِي الْقُرُونِ الْمُفَضَّلَةِ.

وَإِذَا لَمْ نَتَمَكَّنْ مِنْ رُؤْيَتِهِمْ وَمَجَالَسَتِهِمْ وَمَخَالَطَتِهِمْ فَقَدْ تَمَكَّنَّا - بِحَمْدِ اللَّهِ - مِنَ الْإِطْلَاعِ عَلَى كَمِّ كَثِيرٍ مِنْ أَخْبَارِهِمْ وَسِيرِهِمْ حَتَّى كَأَنَّنا نَعِيشُ مَعَهُمْ وَنَجَالِسُهُمْ، مِمَّا لَهُ الْأَثَرُ الْكَبِيرُ عَلَى صِلَاحِنَا وَتَأَثَّرْنَا بِهِمْ.

«فَمُنْتَهَى عِلْمِ عَالِمِنَا فِي هَذَا الزَّمَانِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ عِلْمِهِمْ، وَغَايَةُ إِحْسَانِ مُحْسِنِنَا أَنْ يَقْتَدِيَ بِسِيرَتِهِمْ.

وَأَحْسَنُ مَا يَصِيبُ مِنَ الْحَدِيثِ مُحَدِّثُنَا أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِمْ، فَيَكُونُ كَأَنَّهُ إِيَاهُمْ يَحَاوِرُ، وَمِنْهُمْ يَسْتَمَعُ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٢٩)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٣٣).

غير أن الذي نجد في كتبهم هو المُنتَخَل^(١) من آرائهم، والمنتقى من أحاديثهم.

ولم نجدهم غادروا^(٢) شيئاً يجد واصفٌ بليغٌ في صفةٍ له مقالاً لم يسبقوه إليه: لا في تعظيم الله ﷻ، وترغيبٍ فيما عنده، ولا في تصغيرٍ للدنيا، وتزهيدٍ فيها، ولا في تحريرِ صنوف العلم، ولا في وجهٍ من وجوه الأدب، وضروب^(٣) الأخلاق.

فلم يبقَ في جليلِ الأمر ولا صغيره لِقائِلٍ بعدهم مَقالٌ^(٤).

وقد عزّ عليّ أن أرى كتاباً حوى سيرهم مرتبة وواضحة وجامعاً لكل ما جاء عنهم فيما يتعلّق بصلاح العقيدة والدين والأخلاق، وسالماً مما أدخله الكذابون وغيرهم وألصقوا عليهم أقوالاً وقصصاً لا تصح عنهم.

فعزمت - بتوفيق من الله - على جمع وتدوين ما أقدر عليه من آثارهم وأخبارهم لنفسي، لأعيش حياتهم وكأني معهم، ودوّنت طرفاً من كلام أهل العلم، فوجدت لذلك أثراً عليّ وتغيّراً كبيراً في حياتي، ثم رأيت أن من نشر العلم طباعته ونشره.

وَعَرَضِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ:

عرض وإبراز ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم في سيرهم وحياتهم؛ ليعيش المسلم حياة سلفه الصالح، ويقف على حُسن أخلاقهم، وجميل تعاملاتهم، وعظيم عباداتهم، وصلاح سرائرهم،

(١) أي: المنتقى والمختار.

(٢) أي: تركوا وأخلّوا.

(٣) أي: أنواع.

(٤) «الأدب الصغير» لابن المُفَضَّل رحمه الله (٥٦ - ٥٧).

وسلامة صدورهم، وصفاء عقائدهم، وغير ذلك مما يزيد من همته، ويحثه على الاقتداء بهم، والتَّمَسُّكِ بآثارهم؛ فعند ذلك سيلاحظ مع الأيام تغيراً ظاهراً في حاله وقلبه، وفي تعامله وأخلاقه.

واعتنيت بتنقية وتصفية كل ما أُلصق بهم كذباً وبهتاناً، أو ما صدر عن بعضهم من الأخطاء التي فعلها باجتهادٍ منه وحسن نية.



مَنْهَجِي فِي اخْتِيَارِ مَادَّةِ هَذَا الْكِتَابِ

١ - ذكرت كلَّ ما يتعلَّق بحياة السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، ممَّا يُفيد المسلمَ في أمرٍ دينه ودُنياه، وما يعينه على إصلاح حاله وقلبه، وإصلاح خُلُقِه وسلوكه.

وأما ما سِوى ذلك فلم أذكره لقلَّة الفائدةِ مِنْ ذكره.

وَمِنْ ذَلِكَ:

أ - المصطلحات والتعريفات التي لا معنى لها أو يصعب فهمها.

ب - ما قيلَ في مَدْحِ أعيانِ بعضِ النَّاسِ والثناءِ عليهم إلا ما كان في ذكره فائدة ظاهرة.

ج - المسائلُ الفقهية، والفتاوى، والتفاسير التي نُقلت عن السلف.

د - ما لا فائدة مِنْ ذكره، أو فائدته قليلة مِنْ القَصَصِ والخُطَبِ

وغيرها.

هـ - الإسرائيليات التي لا نعلم صحَّتها، وربَّما ذكرتُ بعضها -

للاستئناس - إن كان في ذكرها فائدة.

٢ - علَّقت على كثير من الآثار بما تيسر، ونقلت كثيراً من أقوال

العلماء وتعقيباتهم وتعليقاتهم وجعلتها في الحاشية.

٣ - مهَّدتُ بمدخلٍ للتعريف الموجز بالسلف الصالح،

وخصائصهم، وواجبنا تجاههم، وسمات منهجهم في العقيدة.

٤ - جعلت جلّ اهتمامي التأكيد من صحة وصواب ما نُقل عن السلف، وأما الأسانيد فقد استبعدت ما ظهر لي شدة ضعفها أو وقفت على عالم ضعفها.

وانتقيت من كتب الزهد - وهي: الزهد؛ للإمام أحمد، وأبي داود، والمعافى الموصلي، وأسد بن موسى، وابن المبارك، وهناد بن السري، ووكيع -، ومسند الدارمي: ما صحّ عند محققها؛ حيث قام من حقها بتمييز الآثار الصحيحة والحسنة من الضعيفة

فإذا عزوت الأثر لأحد هذه المصادر فهو أثرٌ صحيح عند من حققها، وأعني بالصحيح الذي هو ضد الضعيف، فيشمل الحسن. وما سوى ذلك فاكتفيت بصحة وصواب المنقول.

٥ - أضفتُ إلى كُتُب السِّير والتَّراجم والتَّواريخ نوعين من الكُتُب:

كتب العقيدة.

كتب الأدب.

حيثُ لم تستوعب كتب التراجم ما نُقل عن السلف في هذين النوعين.

٦ - تجنَّبتُ الآثارَ المنقولةَ عن بعضِ السَّلف، المخالفةَ للكتاب

والسُّنة، ومن ذلك:

أ - ما يقدحُ في العقيدة أو يُضادُّها، مما يُحكى عن بعض العلماء أو الزهاد أو الوعاظ، فالكثير مما نُقل عنهم لا يثبت، وكثير منه صدر عن اجتهادٍ يُعذر صاحبه، ولا يجوز لمن علّمه أن يقلده ويقتدي

وهي وإن كانت قليلةً ونادرةً فقد وُجد شيء من ذلك: كالتوسل بالموتى، والاستغاثة بهم، وغير ذلك.

ب - ما يخالف الكتاب والسنة، والأمثلة على ذلك كثيرة.

ج - ما يدعو إلى تبجيل الشيوخ، وعدم الاعتراض عليهم ولو أخطؤوا.

د - التواريخ والمعارك والأحداث، فهذه لها كتبها الخاصة.

هـ - ما يخالف العقل والواقع.

و - المبالغات والترهات التي لا تليق بكرامة الإنسان، فضلاً عن المسلم، فضلاً عن أهل العلم والفضل.

ز - الأحكام التي تقال في التزهيد من الدنيا، ورغد العيش التي لا دليل عليها.

ي - ما قيل في المبالغة في الخوف والبكاء إلى حد لا يتصوره عقل ولا يُقره نقل.

عِلْمًا بَأَنَّ مَا ذُكِرَ مِنْ أخطاءٍ وزلات لم توجد في عهد الصحابة والتابعين غالباً؛ بل حَدَّثَتْ بعدهم، وفي كثير منها لم تصح، ولم يثبت سندها كما تقدّم بيانه.

٧ - اكتفيت من المصادر بمصدرٍ أو مصدرين لكل نقل.

٨ - اخترت من الأبيات الشعرية، والحكم البليغة، القديمة والحديثة، ما تحمل في طياتها المعاني الجميلة، والعبارات الهادفة الواضحة، التي تزيد الكتاب حلاوةً وجمالاً.

٩ - اجتهدت في تدوين وفيات الأعيان.

- ١٠ - صححت الأخطاء المطبعية.
- ١١ - شرحت معاني الألفاظ.
- ١٢ - شرحت العبارات الغامضة.



أربع تنبيهات مهمة

التنبيه الأول: جَرَتْ عَادَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ:

أنَّهم ينقلون الكلامَ الحَسَنَ مِمَّنْ كانتْ عنده بعض الأخطاء والزلزلات، إذا كان الغالبُ عليه استقامة الحال، ولو تركنا النُّقل والاستفادة مِمَّنْ عنده مثل هذه الأخطاء لخسرنا آلاف الآثار النَّافعة، والعلوم الصالحة، والنِّصائح المفيدة، والمواعظ المؤثرة، والحكمة ضالَّة المؤمن.

التنبيه الثاني: أنَّ الأصل في الأخبار التي ثبتت عن الصحابة رضي الله عنهم أن لها حكم الرفع، أي: أنَّ النبي صلى الله عليه وآله هو القائل؛ لأنها لا تُقال بالرأي، ولا يُظنُّ بهم وهم أروع الناس وأخوفهم من الله أن يقولوا عن الله وعن شرعه بالرأي.

وكذلك جل ما ثبتت عن التابعين وتابعي التابعين رحمهم الله.

وعدم نسبة الصحابي قوله للنبي صلى الله عليه وآله، وعدم نسبة التابعي قوله للصحابي، وعدم نسبة تابع التابعي قوله للتابعي: لها أسباب كثيرة. إلا من عُرف عنه الرواية عن بني إسرائيل؛ مثل كعب الأحبار، ووهب بن منبه رحمهما الله.

التنبيه الثالث: أنَّ الأصل فيمن نقل إلينا هذه الأخبار والقصص الصدق والأمانة.

التنبية الرابع: أن أهل العلم لا يشددون في صحة الآثار المنقولة عن السلف الصالح المتعلقة بالرقائق والأخلاق والآداب والحكم، إذا صحّ المعنى وسلم من الخطأ.

وأهل العلم يتساهلون في رواية مرويات المغازي والسّير، والأخلاق والسلوك وأحوال العبّاد والصالحين، إلا ما كان فيه مخالفة في التشريع والعبادة أو العقيدة.

وإنما أردت بهذه التنبهات أن يطمئن قلبك لهذه الآثار، وأن يكون لها وقع على نفسك، وأن تكون محل اهتمام وعناية لديك.





مدخل

التعريف بالسلف الصالح، وخصائصهم،
وواجبنا تجاههم، وسمات منهجهم

تعريف السلف:

السلف: هم صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى في القرون الثلاثة المفضلة.

ويطلق هذا اللفظ على: من اهتدى بهديهم، وسار على نهجهم، ولو جاء بعدهم بقرون طويلة.

فيقال له: سلفي، نسبة إليهم.

وهذا الاسم: قد استعمل في القرون الثلاثة المفضلة، لكن لم يكن مشهوراً ومُتداولاً، خلافاً لمن نفي ذلك، وزعم أنه لم يوجد إلا بعدهم.

ولفظ «السلف» لها اعتباران: اعتبار زمان، واعتبار معتقد:

فأما السلف باعتبار الزمان: فهم القرون الثلاثة المفضلة فقط، الذين شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية، كما في حديث: عمران بن حصين رضي عنه (ت: ٥٢)، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي: قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(١).

(١) «متفق عليه»، البخاري، واللفظ له (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

فالسلف: هم أهل القرون الثلاثة، ومن بعدهم خلف. وأما السلف بالاعتبار الثاني: فيدخل فيهم كل من سار على نهجهم في العقيدة والعمل إلى قيام الساعة. ومن أسمائهم أيضاً: «أهل الأثر»، و«أهل الحديث»، وغيرها من الأسماء العظيمة، التي تدل على سلامة هذا المنهج العظيم.





خَصَائِصُ وَمَزَايَا السَّلَفِ عَنْ غَيْرِهِمْ

سَلَفُنَا الصَّالِحِ - عَلَيْهِمُ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى -: لَهُمْ فَضَائِلُ فَضَّلُوا بِهَا، وَمَزَايَا تَمَيَّزُوا بِهَا، وَمِنْ أَعْظَمِ مَزَايَاهُمْ وَفَضَائِلِهِمْ، الَّتِي انْفَرَدُوا بِهَا عَنْ غَيْرِهِمْ:

أَوَّلًا: أَنَّهُمْ مِنَ الْقُرُونِ الْمُفَضَّلَةِ:

الَّتِي قَالَ عَنْهُمْ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي: قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(١).

وَالْخَيْرِيَّةُ حَاصِلَةٌ: فِي أَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، وَإِخْلَاصِهِمْ وَعَقِيدَتِهِمْ، وَلَا يُمَكِّنُ لِمَنْ أَتَى بَعْدَهُمْ أَنْ يَبْلُغَ مَبْلَغَهُمْ.

ثَانِيًا: قُرْبُهُمْ مِنَ الْعَهْدِ النَّبَوِيِّ، وَالْوَحْيِ الرَّبَّانِيِّ:

ثَالِثًا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْصَى النَّاسَ وَالْأُمَّةَ بِهَذِهِ الْقُرُونِ الْمُفَضَّلَةِ:

فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي: «سُنَنِهِ»^(٢)، وَالْحَاكِمُ فِي: «مُسْتَدْرَكِهِ»^(٣):

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (ت: ٢٣): قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

(١) رواه البخاري واللفظ له (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٢) (٢١٦٥)، وصححه. وكذا الألباني في صحيح الترمذي.

(٣) (٣٨٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وقال الذهبي: «هذا حديث صحيح»، «السِّير» (١٠٣/٧).

قوله ﷺ: «أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم»: أي: التابعين،
«ثم الذين يلونهم»: أي: أتباع للتابعين.

فالنبي ﷺ إنما أوصانا بهذه القرون المفضلة، لنلتزم بمنهجهم،
ونسير على خطاهم، ونقتدي بآثارهم، ولا نحيد عنهم أبداً.

رابعاً: أنهم توارثوا العلم والشرع والدين عن قرب:

فالصحابة رضوان الله عليهم أخذوه من النبي ﷺ مباشرة بلا واسطة، والتابعون
أخذوه من الصحابة الكرام غصاً طرياً، وتابعوا التابعين أخذوه من
التابعين عذباً ندياً.

ولم يتلوث جيلهم بضلالات المبتدعة، وترهات المتصوفة؛ بل
كانت قلوبهم صافية، وأهدافهم سامية، وهممهم عالية.

وهذه الخصائص: لهذا الجيل الفريد، وهذه المزايا لهذه القرون
المباركة، جعلت جيلهم ومجتمعهم أعظم وأفضل وأطهر مجتمع على
وجه الأرض، لهدى نبيهم يطبقون، وبشرع ربهم يعملون، وفيما بينهم
متآلفون متحابون، ومن البدع والأهواء سالمون.





واجبنا تجاه السلف الصالح

يَتَأَكَّدُ عَلَيْنَا الْعِنَايَةَ بِكَلَامِ وَحَيَاةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ
الرَّاسِخِينَ وَإِبْرَازَهُ؛

لِمَا يَلِي :

أَوَّلًا: الْوَفَاءُ لَهُمْ، وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِمْ عَلَيْنَا: حَيْثُ اسْتَفَدْنَا مِنْهُمْ،
وَصَلَحَ حَالُنَا - بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى - بِسَبَبِهِمْ، فَمِنْ حَقِّهِمْ عَلَيْنَا أَنْ نُنْظِرَ وَنُنْشِرَ
عُلُومَهُمْ وَمَأْتَرَهُمْ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْمَعَنَا بِهِمْ فِي الْجَنَّةِ.

ثَانِيًا: أَنَّ الْعِنَايَةَ بِكَلَامِهِمْ وَسَيْرِهِمْ وَالتَّعَلُّقَ بِهِمْ وَحُبَّهُمْ: تُقَرِّبُ
الْمُؤْمِنَ بِهِمْ، وَتَجْعَلُهُ يَتَشَبَّهُ بِهِمْ، وَبِقَدْرِ الْقُرْبِ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ يَصْلُحُ
الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَقِيمُ عَلَى السُّنَّةِ، وَيَنْفِرُ وَيَتَعَدَّ عَنِ الْهَوَى وَالْبِدْعَةِ، وَيَكُونُ
قَلِيلَ الْخَطَا وَالزَّلَلِ.

وما انحرفَ مَنْ انحرفَ، وكثرت أخطاءُ بعضِ النَّاسِ إلا بسببِ
بُعْدِهِمْ عَنِ هَدْيِ سَلَفِهِمْ، وَقَلَّةِ عِنَايَتِهِمْ بِسَيْرِهِمْ.

فَإِنْ شِئْتَ وَصَلِ الْقَوْمَ فَاسْأَلْكَ سَبِيلَهُمْ فَقَدْ وَضَحْتَ لِلسَّالِكِينَ عِيَانًا

«فلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ سَلُوكَ هَذَا الطَّرِيقِ خَلْفَ أَئِمَّةِ أَهْلِهِ الْمَجْمَعِ عَلَى
هُدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ؛ كَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَأَبِي عُبَيْدٍ وَمَنْ سَلَكَ
مَسْلَكَهُمْ، فَإِنَّ مَنْ ادَّعَى سَلُوكَ هَذَا الطَّرِيقِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقِهِمْ وَقَعَ فِي

مفاوز ومهالك، وأخذ بما لا يجوز الأخذ به، وترك ما يجب العمل به»^(١).

ثالثاً: أن إبراز كلامهم، وإحياء آثارهم: يدفع الله به الكثير من البدع والانحرافات، والشبهات والشهوات، فليس هناك إلا حق أو باطل، فإذا ضعف الحق قوياً الباطل، والحق لا يقوى إلا بقوة أهله، وأهل الحق هم السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، المتمسكون بالكتاب والسنة، فإبراز آثارهم وأخلاقهم وعقائدهم ومناهجهم يدعو إلى الأخذ بما هم عليهم، ويصحح مسار المنتسبين للإسلام، ويكثر سوادهم، ويؤدي ذلك - ولا بد - إلى قوتهم، وضعف من خالفهم.

رابعاً: أن إبراز كلامهم، وإحياء آثارهم: يجعل المسلم يميز المصيب من المخطئ ممن ينتسب للعلم والدعوة، فمن رآه يخالف هدي سلفنا الصالح في السلوك أو الأخلاق أو العقائد أو المنهج عرف خطأه أو ضلاله، فحينئذ يكون المسلم على بصيرة وهدى، ويسلم من الضلال والزيغ والانخداع بمن حاد عن جادة الحق مهما عظمت شهرته، وحسن أسلوبه، وبلغ تأثيره.

خامساً: أن يجعل هدي السلف الصالح وفهمهم للمسائل وتفسيرهم للنصوص الشرعية هو الحكم عند الاختلاف، والفيصل عند النزاع: فحينما يختلف الناس وخاصة المنتسبين إلى العلم والدعوة والخير في مسائل تتعلق بالعقيدة والمنهج والسلوك والأخلاق، فإن هدي سلفنا هو الحكم الذي لا يأنف من التحاكم إليه إلا زائغ ضال.

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/٢٥٠).

فَرَبَّمَا اسْتَدَلَّ كُلُّ وَاحِدٍ بِآيَةٍ أَوْ حَدِيثٍ، وَالْآخِرُ يُعَارِضُ بِآيَةٍ أَوْ حَدِيثٍ، فَتَقُولُ لَهُمْ: لِنَنْظُرَ إِلَى فَهْمِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمُ الَّذِينَ ثَبَتَتْ لَهُمُ الْخَيْرِيَّةُ بِالنَّصِّ الْقَاطِعِ، وَنَأْنَسُ بِفَهْمِ مَنْ تَبِعَهُمُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ، الَّذِينَ لَهُمْ لِسَانُ صِدْقٍ فِي الْأُمَّةِ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ أَفْهَامُنَا أَحْسَنَ مِنْهُمْ، وَلَا عَقُولُنَا أَفْضَلَ مِنْهُمْ، وَعِلْمُنَا أَرْسَخَ مِنْهُمْ، فَإِذَا اتَّفَقُوا عَلَى أَمْرٍ وَجَبَّ عَلَيْنَا التَّسْلِيمُ لَهُمْ، فَالْأُمَّةُ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالٍ.



مَنْهَجٌ وَعَقْتَادُ السَّلَفِ الصَّالِحِ

وَأَمَّا أُبْرَزُ سِمَاتِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَعَقْتَادِهِمْ وَمَنْهَجِهِمْ:

١ - مَصْدَرُ الْعَقِيدَةِ عِنْدَهُمْ: هُوَ كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ الصَّحِيحَةُ، وَإِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَتَابِعِيهِمْ وَتَابِعِي تَابِعِيهِمْ، وَالْعُلَمَاءُ الْمُعْتَبَرِينَ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ.

وَلِذَا انْقَادُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ بِتَسْلِيمٍ وَقَبُولٍ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَلَا يُعَارِضُونَ شَيْئًا مِنَ الْكِتَابِ أَوْ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ بِقِيَاسٍ، وَلَا ذَوْقٍ، وَلَا كَشْفٍ، وَلَا قَوْلِ شَيْخٍ، وَلَا إِمَامٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

٢ - يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ كُلَّ مَا صَحَّ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَجِبُ قَبُولُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ آحَادًا فِي الْعَقَائِدِ وَغَيْرِهَا.

وَهُمْ بِذَلِكَ يَطَبِّقُونَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]

٣ - يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْمَرْجِعَ فِي فَهْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: هُوَ النَّصُوصُ الْمُبَيَّنَةُ لَهَا، وَفَهْمُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَنْهَجِهِمْ مِنَ الْأُمَّةِ.

٤ - يَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَصُولَ الدِّينِ كُلَّهَا، قَدْ بَيَّنَّهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُحَدِّثَ شَيْئًا زَاعِمًا أَنَّهُ مِنَ الدِّينِ.

٥ - يَرُونَ أَنَّ الْعَقْلَ الصَّرِيحَ، مُوَافِقٌ لِلنَّقْلِ الصَّحِيحِ، وَلَا يَتَعَارَضُ قَطْعِيَانٍ مِنْهُمَا أَبَدًا، وَعِنْدَ تَوَهُّمِ التَّعَارُضِ يُقَدِّمُونَ النَّقْلَ.

فَلَا يُقَدِّمُونَ عُقُولَهُمْ: على شريعة ربهم، وسنة نبيهم ﷺ، ليقينهم بأن الوحي لا يعتريه الخلل والتقصان، بخلاف العقل، الذي يعتريه التوهم والخلل والضلال والنسيان.

٦ - يَرُونَ أَنَّ الْعِصْمَةَ ثَابِتَةٌ لِلرُّسُولِ ﷺ، وَالْأُمَّةُ فِي مَجْمُوعِهَا مَعْصُومَةٌ مِنَ الْاجْتِمَاعِ عَلَى ضَلَالَةٍ:

وَأَمَّا أَحَادُهَا: فلا عصمة لأحد منهم، وما اختلف فيه الأئمة وغيرهم، فمرجه إلى الكتاب والسنة، فما قام عليه الدليل قبل، مع الاعتذار للمخطئ من مجتهدي الأمة.

٧ - السَّلَفُ الصَّالِحُ يَرُونَ أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ حَقٌّ، بِشَرْطِ مُوَافَقَتِهَا لِلشَّرْعِ، وَلَيْسَتْ مَصْدَرًا لِلْعَقِيدَةِ وَلَا لِلتَّشْرِيعِ.

٨ - السَّلَفُ الصَّالِحُ يَذْمُونَ المِرَاءَ فِي الدِّينِ، وَيَرُونَ المُجَادَلَةَ بِالحُسْنَى، اقْتِدَاءً بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

٩ - يَعْتَقِدُ السَّلَفُ الصَّالِحُ: أَنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ فِي الدِّينِ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ^(١).

وَهُمْ بِذَلِكَ يَأْخُذُونَ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٢).

١٠ - السَّلَفُ الصَّالِحُ يَقْرِنُونَ العِلْمَ بِالعَمَلِ، فَإِذَا عَلِمُوا خَيْرًا عَمِلُوهُ، وَإِذَا سَمِعُوا حَقًّا طَبَّقُوهُ، وَإِذَا نَطَقُوا بِقَوْلٍ نَفَّذُوهُ.

(١) يُنظَر: كتاب «مجمَل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة»، للشيخ الدكتور:

ناصر بن عبد الكريم العقل - حفظه الله - .

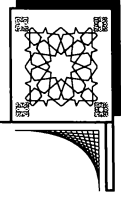
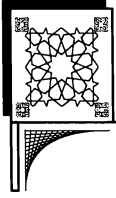
(٢) رواه مسلم (٢٠٤٢).

عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

فلهذا كله: عَمَرُوا حَيَاتِهِمْ بِأَحْسَنِ الْأَقْوَالِ، وَأَجْمَلَ الْأَعْمَالِ، فَحَقًّا لَنَا أَنْ نَعْرِفَ أَحْوَالَهُمْ وَسِيرَتَهُمْ، فنقتدي ونهتدي بها، فلذا جاء عنوان هذا الكتاب:

«حَيَاةُ السَّلَفِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ»





العلم والعلماء

أ - توقير العلم والاحتفاء بأهله :

* رأى ابن مسعود رضي الله عنه (ت : ٣٢) رجلاً قد أسبل، فقال : ارفع إزارك، فقال : وأنت يا ابن مسعود فارفع إزارك، قال : إن بساقيَّ حُموشةٌ وأنا أوُمُّ الناس، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه، فجعل يضرب الرجل، ويقول : أتردُّ على ابن مسعود؟
[تهذيب السَّير (١/١٩٦)]

* وعن ابن عباس رضي الله عنه (ت : ٦٨) أنه أخذ لزيد بن ثابت بالركاب فقال : تنحَّ يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : هكذا نفعنا بعلمائنا، وكبرائنا.
[صفة الصفوة (١/٣٤٣)]

* وكان ثابتُ البُنانيُّ رضي الله عنه (ت : ١٢٣) إذا جاء قال أنس بن مالك رضي الله عنه : يا جميلة ناوليني طيباً أمس به يدي، فإن ابن أم ثابت لا يرضى حتى يقبل يدي، ويقول : قد مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[تهذيب الحلية (١/٤٠٦)]

* وقال نافع بن جبير لعلي بن الحسين رضي الله عنه (ت : ١٠٠) : غفر الله لك ! أنت سيد الناس وأفضلهم، تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه - يعني : زيد بن أسلم - فقال : إنه ينبغي للعلم أن يتبع حيث ما كان.
[تهذيب الحلية (١/٤٨٦)]

- * وسئل ابن المبارك رحمته الله (ت: ١٨١) بحضور سفيان بن عيينة عن مسألة، فقال: إننا نهينا أن نتكلم عند أكابرنا. [تهذيب السير (٧٧٢/٢)]
- * وذَكَرَ رجلٌ عند بعض السلف عالماً بشيء فقال: مه لا تذكر العلماء بشيء، فميت الله قلبك. [ابن أبي الدنيا (٢٢٥/٥)]
- * وعن قتادة رحمته الله (ت: ١١٨) قال: يستحب أن لا تقرأ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة. [تهذيب الحلية (٤٠٨/١)]
- * وكان محمد بن سيرين رحمته الله (ت: ١١٠) يتمثل الشعر، ويذكر الشيء ويضحك، حتى إذا جاء الحديث من السنة كلع وانضم بعضه إلى بعض. [تهذيب الحلية (٣٩٠/١)]
- * وقال الزهري رحمته الله (ت: ١٢٤): خدمت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حتى إنَّ خادمه ليخرج فيقول: من الباب؟ فتقول الجارية: غلامك الأعيمش - فتظن أنني غلامه - وإن كنت لأخدمه حتى لأستقي له وضوءه. [تهذيب الحلية (٢٣/٢)]
- * وجاء رجلٌ إلى سعيد بن المسيب رحمته الله (ت: ٩٤) وهو مريض، فسأله عن حديث، وهو مضطجع، فجلس فحدثه، فقال له ذلك الرجل: وددت أنك لم تتعنّ، فقال: إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع. [صفة الصفوة (٤٣٧/٢)]
- * وقال الإمام مالك رحمته الله: كنا ندخلُ على أيّوب السَّخْتِيَّانِي رحمته الله (ت: ١٣١)، فإذا ذكرنا له حديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى حتى نَرَحَمَه. [تهذيب السير (٦٢٦/٢)]
- * وكان مالك بن أنس رحمته الله (ت: ١٧٩) إذا أراد أن يحدث تَوْضَأً وجلس على صدر فراشه، وسرَّحَ لحيته، وتمكن من الجلوس بوقار

وهيبة، ثم حدّث، ف قيل له في ذلك، فقال: أحبّ أن أعظّم حديث النبي ﷺ ولا أحدث به إلا على طهارة متمكناً، وكان يكره أن يحدث في الطريق وهو قائم أو مستعجل، فقال: أحب أن يفهم ما أحدث به عن رسول الله ﷺ. [صفة الصفوة (٢/٥٠٤)]، [ترتيب المدارك (١/١٤٥)]

* وكان ﷺ إذا رفع أحد صوته عنده قال: اغضض من صوتك، فإن الله ﷻ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷻ. [صفة الصفوة (٢/٥٠٤)]

* وكان يقود نافعاً مولى ابن عمر من منزله إلى المسجد، وكان قد كفّ بصره، فيسأله فيحدثه، وكان منزل نافع بناحية البقيع. [ترتيب المدارك (١/١٣٢)]

* وَقَالَ عبد الرحمن بن مهديّ ﷺ (ت: ١٩٨): كُنَّا نَأْتِي الرَّجُلَ مَا نُرِيدُ عِلْمَهُ لَيْسَ إِلَّا أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْ هَدْيِهِ وَسَمْتِهِ وَدَلِّهِ. [الآداب الشرعية (٢/١٠٥)]

• وكان يحيى بن يحيى ﷺ (ت: ٢٣٤) جمع مسائل، سأل عنها أشهب وابن نافع وغيرهما من أصحاب مالك رحمهم الله، وكتبها عنهم، فعرضها على ابن القاسم ﷺ ليرى فيها مذهبه، فجعل ابن القاسم ينتقص عليهم، فلما رأى يحيى ذلك طوى كتابه، وادخله في كفه، فقال له ابن القاسم: ما بالك؟ فقال: إن هؤلاء لهم عليّ حقٌّ كحقوقك، وقد كتبتُ عنهم ولم أُرِدْ أن أعرض بهم للوقوع فيهم، فإذا كان هذا فلا حاجة لي بذلك. [ترتيب المدارك (٢/٣٤)]

• وقال أبو عبيد القاسم بن سلام ﷺ (ت: ٢٢٤): إن من شكر العلم أن تقعد مع قوم فيذكرون شيئاً ولا تحسنه فتتعلّمه منهم، ثم تقعد

بعد ذلك في موضع آخر فيذكرون ذلك الشيء الذي تعلمته فتقول: والله ما كان عندي في هذا شيء حتى سمعت فلاناً يقول: كذا وكذا فتعلمته، فإذا فعلت ذلك فقد شكرت العلم، ولا تؤهمهم أنك قلت هذا من نفسك. [المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٧٠٥)]

ب - تعريف العلم، وكيفية أخذه، وبيان فضله:

* عن كميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت: ٤٠) بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان، فلما أصبحنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كميل بن زياد، القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة؛ فعالم رباني؛ ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعا ع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة، ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحداث بعد موته، وصناعة المال تزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

[تهذيب الجلية (١/٨٦)]

* وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية. [الجليّة (١/١٣١)]

* وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه (ت: ١٨) قال: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ؛ فَإِنَّ تَعْلِيمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةٌ، وَطَلَبُهُ عِبَادَةٌ، وَمُذَاكَرَتُهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثُ

عَنْهُ جِهَادٌ^(١)، وَتَعْلِيمُهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلُهُ لِأَهْلِيهِ قُرْبَةٌ، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةً وَأَيْمَةً يُقْتَصُّ آثَارُهُمْ، وَيُقْتَدَى بِأَفْعَالِهِمْ وَيُنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ^(٢).
[جامع بيان العلم وفضله (٢٦٨)]

* وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه (ت: ٣٢) أنه قال:
الناس ثلاثة: عالم، ومتعلم، ولا خير فيما بعد ذلك. [مسند الدارمي (٢٥٢)]
* وَعَنِ الزُّهْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٢٤) قَالَ: مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الْعِلْمِ.
[تهذيب الحلية (٢٥/٢)]

* وسأل رجل الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن شيء فقال: إن الفقهاء يقولون كذا وكذا!

فقال: إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بأمر دينه، المداوم على عبادة ربه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
[مسند الدارمي (٣٠٢)]

* وعن يحيى بن أبي كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٢٩) ميراث العلم خيرٌ من ميراث الذهب والفضة، والنفس الصالحة خيرٌ من اللؤلؤ.
[جامع بيان العلم وفضله (٣٨٤/١)]

* وقال قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١١٨): باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح الناس أفضل من عبادة حولٍ كامل.
[المنتظم (١٨٤/٧)]

(١) فطالب العلم في جهاد وهو في مكتبته يبحث ويحفظ ويقرأ، إذا أخلص لله تعالى وصدق في الطلب.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: فجعل البحث عن العلم من الجهاد في سبيل الله. ا. هـ «مجموع الفتاوى» (٣٩/١٠)

(٢) قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» (١٠٩/٤): وَهُوَ مَحْفُوظٌ عَنْ مُعَاذٍ.

- * وعن مكحول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٢) قال: من ذهب إلى علم يتعلمه، فهو في طريق الجنة حتى يرجع. [تهذيب الحلية (١٨١/٢)]
- * وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦١): الرجل إلى العلم أحوج منه إلى الخبز واللحم. [تهذيب الحلية (٤٠٤/٢)]
- * وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أعلم عملاً أفضل من طلب العلم وحفظه لمن أراد الله تعالى به خيراً. [مسند الدارمي (٣٣٥)]
- * وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٥) أنه قال: فضل العلم خيرٌ من فضل العبادة. قال البيهقي: وهو صحيح من قول مطرف. [المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٤٥٥)]
- * وعن سفيان بن عيينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٩٨) قال: ليس العالم الذي يعرف الخير من الشر، إنما العالم الذي يعرف الخير فيتبعه ويعرف الشر فيجتنبه. [الزهد لأحمد (٣٠٨)]
- * وقال الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤): العلم ما نفع، ليس العلم ما حفظ. [تهذيب السيرة (٨٥٣/٢)]
- * وَقَالَ ابْنُ شَهَابِ الزُّهْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٢٤): الْعِلْمُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ لِمَنْ جَهَلَ، وَالْعَمَلُ أَفْضَلُ مِنَ الْعِلْمِ لِمَنْ عَلِمَ. [الآداب الشرعية (٣٣/٢)]
- وقال الأصمعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢١٣): من لم يحتمل ذلك التعليم ساعة؛ بقي في ذلك الجهل أبداً. [طبقات الشافعيين (١٤٩/١)]
- وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لما قدم أبو زرعة الرازي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٦٤) نزل عند أبي، فكان كثير المذاكرة له، سمعتُ

أبي يوماً يقول: ما صليت غير الفرض، استأثرتُ بمذاكرة أبي زرعة على نوافلي.

[طبقات الحنابلة (٢/٥٥)]

• وقال الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١): إِنَّمَا يَحْيَا النَّاسُ بِالْمَشَايخِ، فَإِذَا ذَهَبَ الْمَشَايخُ فَمَاذَا بَقِيَ؟

وَقَالَ: إِنَّمَا النَّاسُ بِشُيُوخِهِمْ فَإِذَا ذَهَبَ الشُّيُوخُ فَمَعَ مِنَ الْعَيْشِ؟

[الآداب الشرعية (٢/١٠٣)]

• وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الناس يحتاجون إلى العلم مثل الخبز والماء؛ لأن العلم يُحتاج إليه في كل ساعة، والخبز والماء في كل يوم مرة أو مرتين.

[طبقات الحنابلة (١/٣٩٠)]

• وقال مهنا: قلت لأحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أفضل الأعمال؟ قَالَ: طلب العلم لمن صحت نيته، قلت: وأي شيء تصحيح النية؟ قَالَ: ينوي يتواضع فيه وينفي عنه الجهل.

[طبقات الحنابلة (٢/٤٧٧)]

• وقال القاضي أبو بكر بن أبي طاهر (ت: ٥٤٨): مَنْ خَدَمَ المحابر خدمته المنابر.

[ذيل الطبقات (١/٤٣٩)]

ج - ما قيل في العلم والعلماء:

* قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) لرجل: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدمه زلة العالم، وجدال منافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين.

[أخبار الشيوخ (٣٤٥) واللفظ له]، [الزهد لابن المبارك (١١٣٧)]

* وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: هل تدرّون ما ذهاب العلم؟ قالوا: لا، قال: ذهاب العلماء.

[مسند الدارمي (٢٤٩)]

* وعن الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: كانوا يقولون: موت العالم ثلثة في الإسلام، لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار.

[مسند الدارمي (٣٣٣)]

* وقال محمد بن المنكدر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣٠): الفقيه يدخل بين الله وبين عبادہ، فليُنظر كيف يدخل؟ [تهذيب الحلية (١/٤٩٦)]

* وقال أبو جعفر محمد بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٨): والله لموت عالم أحبُّ إلى إبليس من موت سبعين عابداً. [صفة الصفوة (٢/٤٥٨)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد.

[تهذيب الحلية (١/٥٠٧)]

* وقال ابن محيريز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٠): كنا نرى أن العمل أفضل من العلم، ونحن اليوم إلى العلم أحوج منا إلى العمل.

[تهذيب الحلية (٢/١٦٩)]

* وقال محمد بن سيرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠): إن هذا العلم دينٌ فانظروا عمّن تأخذون دينكم. [صحيح مسلم في المقدمة]

* وقال عبد الأعلى التيمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٠): إن من أوتي من العلم ما لا يُبيّكه لخليق أن لا يكون أوتي علماً ينفعه؛ لأن الله تعالى نعت العلماء ثم قرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۖ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۗ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۗ﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

[الزهد لأحمد (٣٠٧)]، [مسند الدارمي (٢٩٩)] واللفظ له

* وعن سفيان الثوري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦١) قال: إن هذا الحديث عزٌّ، من أراد به الدنيا فدنيا، ومن أراد به الآخرة فأخرة. [تهذيب الحلية (٢/٣٦٣)]

* وصحَّ عن ربيعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٦) قال: العلم وسيلة إلى كُلِّ فضيلة .
[تهذيب السَّير (٢/٦٣٥)]

* وقال ميمون بن مهران رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٧): العلماء هم ضالتي في كل بلدة وهم بغيتي، ووجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء .
[تهذيب الجَلِيَّة (٢/٥٤)]

* وقال الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤): طلب العلم أفضل من صلاة النافلة .
[صفة الصفوة (٢/٥٥٣)]

* وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء الله فما لله وليي .
[تهذيب السَّير (٢/٨٥٠)]

* وقيل للإمام أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: من نسأل بعدك؟ قال: عبد الوهاب الوراق (ت: ٢٥١)، قيل له: إنه ليس له اتساع في العلم، قال: إنه رجل صالح مثله يوفق لإصابة الحق .

* وسئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن معروف الكرخي (ت: ٢١٠) فقال: كان معه أصل العلم خشية الله .
[جامع العلوم والحكم (١٢٥/)]

* وسئل أبو بكر بن طاهر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (ت: ٥٨٠) ما بال الإنسان يحتمل من معلمه ما لا يحتمله من أبويه؟ فقال: لأن أبويه سبب حياته الفانية، ومعلمه سبب حياته الباقية .
[المنتظم (١٦ - ١٧/١٤)]

د - نصائح وتوجيهات للعالم وطالب العلم:

* عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) قال: تعلّموا العلم وعلمّوه الناس، تعلّموا الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلّمتم منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء .
[المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٦٢٩) وصححه]

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما (ت: ٧٣) قال: لا يكون الرجل من العلم بمكان حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه، ولا يبتغي بالعلم ثمناً. [تهذيب الجلية (١/٢١٨)]

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢) قال: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة.

[صحيح مسلم في المقدمة]

* وصحب سلمان رضي الله عنه (ت: ٣٣) رجلٌ من بني عبس، فشرب شربة من دجلة، فقال له سلمان: عُذ فاشرب، قال: قد رويت، قال: أترى شربتك هذه نَقَصَتْ من ماء دجلة شيئاً؟ قال: وما تُنقص شربة شربتها؟ قال: كذلك العلم لا يفنى، فابتغ من العلم ما ينفعك.

[الزهد لابن المبارك (٧٧١)]

* وقال البخاري رحمته الله: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما (ت: ٦٨): ﴿كُتُبُوا رَبِّانِينَ﴾ [آل عمران: ٧٩] حُلَمَاءُ فُقَهَاءَ، وَيُقَالُ: «الرَّبَّانِيُّ: الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصَعَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ». [فتح الباري (١/٢١١)]

* وقال الزهري رحمته الله (ت: ١٢٤): إن هذا العلم إن أخذته بالمكاثرة غلبك ولم تظفر منه بشيء، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذاً رقيقاً تظفر به. [تهذيب الجلية (٢/٢٤)]

* وعن ربيعة قال: قال لي ابن خلدو الزرقي رحمته الله: إني أرى الناس قد ملكوك أمر أنفسهم، فإذا سُئِلت عن المسألة فاطلب الخلاص منها لنفسك، ثم للذي سألك. [تهذيب الجلية (١/٥٣٤)]

* وقال أبو عاصم الضحاك رحمته الله (ت: ٢٢٠): مَنْ طلب الحديث، فقد طلب أعلى الأمور، فيجب أن يكون خيراً للناس. [تهذيب السيرة (٢/٨٥٠)]

* وقال عطاء بن يسار (ت: ١٠٣) وسليمان بن موسى (ت: ١١٥) رحمهما الله: ما جُمع شيء إلى شيء أزين من علم إلى حلم.

[مسند الدارمي (٥٩٦)، [الزهد لأحمد (٣٧٧)]

* وقال بعض السلف: من خرج إلى العلم يريد العلم لم ينفعه العلم، ومن خرج إلى العلم يريد العمل بالعلم نفعه قليل العلم.

والعلم موقوف على العمل به، والعمل موقوف على الإخلاص،

والإخلاص لله يورث الفهم عن الله ﷻ.

* وكثيراً ما كان سفيان بن عيينة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٩٨) يقول: توفيقٌ

قليلٌ خيرٌ من علمٍ كثير.

● وذكروا الكُتَّابَ ودِقَّةَ ذهنهم عند الإمام أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١)

فقال: إنما هو التوفيق.

● وقال أبو بكر بن عياش رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٩٣) للحسن بن الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

بالمدينة: ما أبقت الفتنة منك؟ فقال: وأيُّ فتنة رأيتني فيها؟ قال: رأيتهم

يُقَبِّلُونَ يَدَكَ وَلَا تَمْنَعُهُمْ.

● وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠): شِرَارُ عِبَادِ اللَّهِ يَنْتَقُونَ

شِرَارَ الْمَسَائِلِ يُعْمُونَ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ.

● وَسُئِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَا عُقُوبَةُ الْعَالِمِ؟ قَالَ: مَوْتُ الْقَلْبِ، قِيلَ: وَمَا

مَوْتُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: طَلَبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ.

* وقال ابن المقفع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٤٤): حَبَّبَ إِلَى نَفْسِكَ الْعِلْمَ حَتَّى

تَلْزِمَهُ وَتَأْلِفَهُ، وَيَكُونُ هُوَ هَوَاكَ، وَلذَٰكَ، وَسَلُوتِكَ، وَبَلْغَتِكَ^(١).

[الأدب الكبير (١٠٤)]

(١) البلغة: ما يكتفى به من العيش.

* وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اعرف الأصول ثم اطلب الفصول^(١)، فإن كثيراً من الناس يطلبون الفصول مع إضاعة الأصول، فلا يكون دَرَكُهُمْ^(٢) دَرَكًا.

ومن أحرز الأصول اكتفى بها عن الفصول، وإن أصاب الفصل بعد إحراز الأصل فهو أفضل. [الأدب الصغير (٥٨)]

• وقيل لمالك بن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩): إنَّ فلاناً يحدثنا بغرائب.

فقال: من الغريب نَفِر.

وقال: شر العلم الغريب، وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس. [ترتيب المدارك (١/١٤٢، ١٧٧)]

• وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنَّ المسألة إذا سُئِلَ فيها الرجل ولم يُجِبْ وانْدَفَعَتْ عنه، فإنما هي بليَّةٌ صَرَفَهَا اللهُ عنه. [ترتيب المدارك (١/١٧٨)]

• وقيل له: العالم يخطئ؟

فقال: الذي دل عليه من الخير أكثر، ومن ذا الذي ليس فيه شيء؟ ولو لم يأمر بالمعروف إلا لمن ليس فيه شيء ما أمر أحدٌ بمعروف.

[ترتيب المدارك (١/١٧٨)]

• وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لابنَي أخيه: إن أحببتهما أن ينفعكما الله بهذا الأمر؛ فأقلاً منه وتفهماً فيه^(٣).

وقال: ما أكثر أحدٌ قط فأفلح.

[ترتيب المدارك (١/١٨٠)]

(١) الأصول: القواعد والأدلة العامة التي يُبنى عليها العلم، والفصول: فروع العلم.

(٢) الدرك: اللحاق والوصول إلى الشيء.

(٣) نصيحة عظيمة، فمن أراد أن ينفعه الله بالعلم؛ فعليه بإتقان وضبط وتأمل ما يقرأ ويسمع، وليكرر محفوظاته، وليراجع ما قرأ، ولا يكن همّه كثرة القراءة والتوسع فيها.

• وقال الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١): لا ينبغي للرجل أن يُنصَّب نفسه للفتوى حتى يكون فيه خمس خصال:

أما أولها: فأن تكون له نيّة، فإنه إن لم تكن له نيّة؛ لم يكن عليه نور ولا على كلامه نور.

وأما الثانية: فيكون عليه حلم ووقار وسكينة.

وأما الثالثة: فيكون قوياً على ما هو فيه، وعلى معرفته.

وأما الرابعة: فالكفاية، وإلا مضّعه الناس.

والخامسة: معرفة الناس. [طبقات الحنابلة (٣/١٠٨)]

• وقال أحمد بن أبي سليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٩٦): يا طالب العلم، إذا طلبت العلم فاتخذ له قبل طلبه أدباً تستعين به على حمله.

[ترتيب المدارك (٢/٣٥٤)]

• وقال يحيى بن يحيى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣٤): أدخل الحشمة بينك وبين الناس؛ فإنه أوقر لحرمتك. [ترتيب المدارك (٢/٣٥)]

هـ - ذم العجلة في التصدر في المجالس والتعليم والفتوى:

* قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا^(١).

[الزهد لوكيع (١٠٢)]، [صححه الحافظ في الفتح (١/١٦٥)]

* وقال إبراهيم بن أدهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧٠): كنا إذا رأينا الشاب يتكلم في المجلس أيسنا من خيره. [ابن أبي الدنيا (٥/٢٢٣)]

(١) أي: تصبحوا سادة ورؤساء؛ لأنهم ربما استنكفوا عن الفقه والعلم عندئذ.

* وقال الثوري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣١): من حَدَّثَ قبل أن يحتاج إليه ذل .
[تهذيب الجلية (٢/٣٦٣)]

* وقال سُحنون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤٠): ما وجدتُ من باع آخرته بدنياه غيره إلا المُفتي .
[تهذيب السير (٣/٩٨٣)]

* وقال الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤): إذا تصدر الحدث، فاته علم كثير .
[صفة الصفوة (٢/٥٥٣)]

* وقال مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩): ما أفيتت حتى شهد لي سبعون أني أهلٌ لذلك .
[صفة الصفوة (٢/٥٠٣)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أجبت في الفتيا حتى سألت من هو أعلم مني، هل يراني موضعاً لذلك؟ سألت ربيعة، وسألت يحيى بن سعيد، فأمراني بذلك، قيل له: يا أبا عبد الله فلو نهوك؟ قال: كنتُ أنتهي، لا ينبغي للرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه .
[صفة الصفوة (٢/٥٠٣)]

• وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ليس كلٌّ من أحب أن يجلس في المسجد للحديث والفتيا جلس حتى يشاورَ فيه أهلُ الصلاح والفضل وأهل الجهة من المسجد، فإن رآوه لذلك أهلاً جلس .

وما جلستُ حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم إنني موضعٌ لذلك .
[ترتيب المدارك (١/١١٥)]

• وقال سحنون بن سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦٠): أجزأ الناس على الفتيا أقلهم علماً، يكون عند الرجل بابٌ واحدٌ من العلم فيظن أن الحق كله فيه .

وقيل له: تأتيك المسائل مشهورة مفهومة، فتأبى الجواب فيها!

فقال: سرعة الجواب بالصواب أشدُّ فتنةً من فتنة المال.

[ترتيب المدارك (٢/ ١٠٠ - ١٠١)]

* وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: تجد الرجل يصبر على الصيام والصلاة، ويتورع عن

الحاجات، فإذا جاءت الفتيا لم يصبر. [ترتيب المدارك (٢/ ٢٠٧)]

* وقال الصعلوكي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٣٧): مَنْ تَصَدَّرَ قَبْلَ أَوَانِهِ، فَقَدْ

تصدَّى لِهَوَانِهِ. [تهذيب السَّير (٣/ ١٣٣٧)]

و - قصص ووقائع لبعض العلماء:

* مرَّ محمد بن المنكدر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٠) بشابٍّ يُحَدِّثُ امْرَأَةً فِي

الطريق، فقال: يا فتى ما هذا أجرُ نعمة الله عندك.

ورأى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رجلاً مع امرأة في خراب وهو يكلمها فقال: إن الله

يراكم، سترنا الله وإياكما. [ابن أبي الدنيا (٢/ ٢٠٦)]

* وعن ثابت أن صلة بن أشيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٧٠) وأصحابه أبصروا

رجلاً قد أسبل إزاره، فأراد أصحابه أن يأخذوه بألسنتهم فقال صلة:

دعوني أكفيكموه، فقال: يا ابن أخي إن لي إليك حاجة، قال: فما ذاك

يا عم؟ قال: ترفع إزارك، قال: نعم، ونعمت عين.

فقال لأصحابه: لو أخذتموه بشدة لقال: لا أفعل، وفعل.

[ابن أبي الدنيا (٢/ ٢٠٦ - ٢٠٧)]

* ورأى بعض السلف رجلاً من آل علي يمشي يخطر، فأسرع إليه

فأخذ بيده فقال: يا هذا! إن الذي أكرمك الله به لم تكن هذه مشيته قال:

فتركها الرجل بعد. [ابن أبي الدنيا (٢/ ٢٠٨)]

* ودعا مالك بن المنذر محمد بن واسع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٢٣) وكان

على شرط البصرة، فقال: اجلس على القضاء، فأبى محمد، فعاوده فأبى، فقال: لتجلس أو لأجلدك ثلاثمائة.

فقال له محمد: إن تفعل فأنت مُسَلِّط، وإنَّ ذليل الدنيا خيرٌ من ذليل الآخرة. [تهذيب الحلية (١/٤١٤)]

* وجاءت امرأة إلى سفيان الثوري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٦١) فقالت: إن ابني ضيعني وترك عمله، فقال: في أيِّ شيء أخذ ابنك؟ قالت: في الحديث، قال: احتسبيه. [تهذيب الحلية (٢/٣٩٩)]

* وقيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى (ت: ١٠١): لو جمعت الناس على شيء؟ فقال: ما يسرني أنهم لم يختلفوا، ثم كتب إلى الآفاق وإلى الأمصار: ليقض كل قوم بما اجتمع عليه فقهاؤهم. [مسند الدارمي (٦٥٢)]

* وأدخل أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١) على الخليفة - وكانوا هَوَّلوا عليه، وقد كان ضَرَبَ عنق رجلين - فنظر أحمد إلى أبي عبد الرحمن الشافعي فقال: أيُّ شيء تحفظ عن الشافعي في المسح؟ فقال ابن أبي دؤاد: انظروا رجلاً هو ذا يُقَدِّم لضرب عنقه، يناظر في الفقه!

• وكان أبو زكريا النووي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٦٧٦) يُتَوَسَّم فيه النجابة من صِغره، وقدم دمشق في سنة تسع وأربعين، وقرأ التنبيه في أربعة أشهر ونصف، وحفظ ربع المهدَّب في بقية السَّنة، ولزم شيخه الكمال إسحاق بن أحمد المغربي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومكث قريباً من سنتين لا يضع جنبه إلى الأرض، وإنما يتقوّت بجراية الرواحية التي هو مقيمٌ بها. وكان يقرأ في اليوم اثني عشر درساً على المشايخ شرحاً وتصحيحاً.

وقد كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على جانبٍ كبيرٍ من العِلْمِ والزُّهدِ والاقتصادِ في العيشِ والصبرِ على حُشونته، والورعِ الذي لم يبلغنا عن أحدٍ في زمانه، ولا قبله بدهرٍ طويلٍ، وكان قليلِ النومِ، كثيرِ السهرِ في العبادةِ والتلاوةِ والذِّكرِ والتَّصنيفِ، وكان أَمَّاراً بالمعروفِ نَهَاءً عن المنكرِ، يواجهُ الأمراءَ والكبارَ والملوكَ بذلكِ ويصدعُ بالحقِ.

وقد ولي الشيخ محيي الدين مشيخة دار الحديث الأشرفية بعد الشيخ شهاب الدين أبي شامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنة خمس وستين إلى أن تُوفي، ولم يتناول من معلومها فلساً، ولم يقبل لأحدٍ هدية إلا نادراً، وإنما كان يتقوّت مما يأتيه من أبيه من نوى كعكٍ وفطير، وكان لا يؤبّه له بين الناس، وعليه سكينه ووقار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. [طبقات الشافعيين (٢/٣٤٧ - ٣٤٩)]

ز - ما قيل في كتم بعض العلم للمصلحة، وعدم بثه لكل أحد:

* قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (ت: ٢٣): بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع. [صحيح مسلم في المقدمة]

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (ت: ٥٩) قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: فأما أحدهما، فبثته في الناس، وأما الآخر، فلو بئته، لقطع هذا البلعوم. [صحيح البخاري (١١٧)]

* وقال الشعبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٠٣): لا تمنعوا العلم أهله فتأثموا، ولا تحدثوا به غير أهله فتأثموا. [تهذيب الجلية (٢/١١٦)]

* وعن يزيد بن ميسرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٢٠) قال: لا تبذل علمك لمن لا يسأله، ولا تنثر اللؤلؤ عند من لا يلتقطه، ولا تنشر بضاعتك عند من يكسدها عليك. [تهذيب الجلية (٢/١٩٣)]

* وعن كثير بن مرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٠) قال: لا تحدث الباطل
الحكماء فيمقتوك، ولا تحدث الحكمة للسفهاء، فيكذبوك، ولا تمنع
العلم أهله، فتأثم، ولا تضعه في غير أهله فتجهل.
إن عليك في علمك حقاً، كما أن عليك في مالك حق.

[مسند الدارمي (٣٩٠)]

* وعن مطرف بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٥) قال: لا تطعم طعامك
من لا يشتهيهِه.

[مسند الدارمي (٣٩٢)]

* وقال عبد الرحمن بن مهدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٩٨): لا يكون الرجل
إماماً يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع. [صحيح مسلم في المقدمة]

ح - الهمة في طلب العلم:

• عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: لما توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنهم
اليوم كثير.

فقال: واعجبا لك يا ابن عباس، أترى الناس يحتاجون إليك،
وفي الناس من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ترى؟ فترك ذلك، وأقبلت
على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فأتيه، وهو
قائل^(١)، فأتوسد ردائي على بابه، فتسفي الرياح على وجهي التراب،
فيخرج، فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا
أرسلت إليّ فأتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن
الحديث.

(١) أي: نائم في وقت الظهر.

قال: فبقي الرجل حتى رأيته، وقد اجتمع الناس علي، فقال: كان هذا الفتى أعقل مني. [مسند الدارمي (٥٩٠)]

* وعن عبد الله بن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً من أصحاب النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رحل إلى فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو بمصر، فقدم عليه وهو يمدّ لناقة له، فقال: مرحباً، قال: أما إني لم آتك زائراً، ولكن سمعت أنا وأنت حديثاً من رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رجوت أن يكون عندك منه علم.

قال: كذا وكذا. [مسند الدارمي (٥٩١)]

* وعن أبي العالية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قال: إن كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة، فسمعناها من أفواههم. [مسند الدارمي (٥٨٣)]

* وتذكر ابن شهاب الزهري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٢٤) ليلة بعد العشاء حديثاً وهو جالس، فما زال ذلك مجلسه حتى أصبح. [مسند الدارمي (٦٢)]

* وقيل لابن المبارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨١): إلى كم تكتب الحديث؟ قال: لعلّ الكلمة التي أنتفع بها لم أسمعها بعد.

[شرف أصحاب الحديث (٦٨)]

* وقال ابن القاسم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أفضى بمالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩) طلب العلم إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه، ثم مالت عليه الدنيا بعد. [ترتيب المدارك (١/١٠٨)]

• وقال الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كانت أمي تعمّني^(١) وتقول لي: اذهب إلى ربيعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فتعلم من أدبه قبل علمه. [ترتيب المدارك (١/١٠٨)]

(١) أي: تُلبسني العمامة.

● وقال الشاعر:

ومن يجتهد في نيل أمر ويصطبر ينله وإلا بعضه إن تعسرا
فما دمت حياً فاطلب العلم والعلى ولا تأل جهداً أن تموت فتُعذرا

[الآداب الشرعية (١/١٦٧)]

● وقال ثعلب رضي الله عنه: ما فقدت إبراهيم الحربي رضي الله عنه (ت: ٢٨٥)

من مجلس نحوٍ أو لغةٍ خمسين سنة. [طبقات الحنابلة (١/٢٢٤)]

● وقيل للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه (ت: ٢٤١): إلى متى يكتبُ

الرجل؟ قال: حتى يموت. [طبقات الحنابلة (١/٣٧٥)]

● وقال له رجل: إني أطلب العلم وإن أُمي تمنعني من ذلك، تريد

مني أن أشتغل بالتجارة، فقال له: دارها وأرضها، ولا تدعِ الطَّلب.

[طبقات الحنابلة (١/٣٧٥)]

● وقال أبو عبيد القاسم بن سلام رضي الله عنه (ت: ٢٢٤): مكثت في

تصنيف هذا الكتاب - غريب الحديث - أربعين سنة، وربما كنت أستفيد
الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في موضعها من هذا الكتاب، فأبيت
ساهراً فَرِحاً مني بتلك الفائدة، وأحدكم يجيئني فيقيم عندي أربعة أشهر،
وخمسة أشهر، فيقول: قد أقيمتُ الكثير!

[طبقات الحنابلة (٢/٢١٧)]

ط - فضل أصحاب الحديث:

● قال بديل بن محمد رضي الله عنه: دخلت أنا وإبراهيم بن سعيد

الجوهري على أحمد بن حنبل رضي الله عنه (ت: ٢٤١) في اليوم الذي مات فيه
أو مات في تلك الليلة التي تستقبل ذلك اليوم، قال: فجعل أحمد يقول

لنا: عليكم بالسُّنة، عليكم بالأثر، عليكم بالحديث، لا تكتبوا رأي فلان ورأي فلان، فسمى أصحاب الرأي. [طبقات الحنابلة (١/٣٢٦)]

• وقال الخطيب البغدادي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٦٣): طلب الحديث في هذا الزمان أفضل من سائر أنواع التطوع؛ لأجل دروس السنن وخمولها، وظهور البدع واستعلاء أهلها. [شرف أصحاب الحديث (٨٦)]

• وقال بعض السلف: ما أحدٌ من أهل العلم إلا وفي وجهه نضرة؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نضر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع»^(١). [المجالسة وجواهر العلم (٣٥)]

ي - حال السلف وأهل العلم عند الاختلاف:

* كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ (ت: ١٣) وَعُمَرَ (ت: ٢٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَحَاوَرَةً^(٢)، فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ فَاَنْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا صَاحِبِكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ».

وَنَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَصَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرَ، وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ. [صحيح البخاري (٤٦٤٠)]

(١) رواه الإمام أحمد (١٣٣٤٩) وصححه محققو المسند، والترمذي (٢٦٥٧) وصححه.

(٢) أي: حوار وجدال في موضوع ما.

* وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ (ت: ٧٣) مُسْتَنْدِينَ إِلَى حُجْرَةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨)، وَإِنَّا لَنَسْمَعُ ضَرْبَهَا بِالسَّوَاكِ تَسْتَنُّ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رَجَبٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ لِعَائِشَةَ: أَيُّ أُمَّتَاهُ أَلَا تَسْمَعِينَ مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَتْ: وَمَا يَقُولُ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رَجَبٍ، فَقَالَتْ: «يَعْفِرُ اللَّهُ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لِعَمْرِي، مَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ، وَمَا اعْتَمَرَ مِنْ عُمْرَةٍ إِلَّا وَإِنَّهُ لَمَعَهُ» قَالَ: وَابْنُ عُمَرَ يَسْمَعُ، فَمَا قَالَ: لَا، وَلَا نَعَمْ، سَكَتَ. [صحيح مسلم (١٢٥٥)]

* وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَخَلَ أَبُو مُوسَى وَأَبُو مَسْعُودٍ عَلَى عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ (ت: ٣٧) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَيْثُ بَعَثَهُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ يَسْتَنْفِرُهُمْ، فَقَالَا: مَا رَأَيْنَاكَ أَتَيْتَ أَمْرًا أَكْرَهَ عِنْدَنَا مِنْ إِسْرَاعِكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ مُنْذُ أَسْلَمْتَ؟

فَقَالَ عَمَّارٌ: «مَا رَأَيْتُ مِنْكُمْ مُنْذُ أَسْلَمْتُمَا أَمْرًا أَكْرَهَ عِنْدِي مِنْ إِيْطَائِكُمَا عَنِ هَذَا الْأَمْرِ».

فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ، وَكَانَ مُوسِرًا: يَا غُلَامُ هَاتِ حُلَّتَيْنِ، فَأَعْطَى إِحْدَاهُمَا أَبَا مُوسَى وَالْأُخْرَى عَمَّارًا، وَقَالَ: رُوحًا فِيهِ إِلَى الْجُمُعَةِ.

[صحيح البخاري (٧١٠٥)، (٧١٠٢)]

ك - فوائد أخرى:

* قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨): «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعَهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ». [صحيح مسلم (٣٣٢)]

* وَقَالَ مُجَاهِدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٤): لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٍ. [صحيح البخاري، باب: الحياء في العلم]

* وقال الثَّوْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦١): مَنْ طَلَبَ الرِّيَاسَةَ بِالْعِلْمِ سَرِيعًا فَاتَهُ عِلْمٌ كَثِيرٌ. [عيون الأخبار (٢/٥٢٣)]

* وقال وهيب بن الورد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦٠): ضُرِبَ لِعِلْمَاءِ السُّوءِ مِثْلٌ، فَقِيلَ: إِنَّمَا مِثْلُ عَالِمِ السُّوءِ كَمِثْلِ الْحَجَرِ فِي السَّاقِيَةِ، فَلَا هُوَ يَشْرَبُ الْمَاءَ، وَلَا هُوَ يَخْلِي الْمَاءَ إِلَى الشَّجَرِ، فَيَحْيَا بِهِ. [صفة الصفوة (٢/٥٣٣)]

* وقال سفيان بن عيينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٩٨): إِنَّمَا مَنْزِلَةُ الَّذِي يَطْلُبُ الْعِلْمَ يَنْتَفِعُ بِهِ بِمَنْزِلَةِ الْعَبْدِ يَطْلُبُ كُلَّ شَيْءٍ يُرْضِي سَيِّدَهُ، يَطْلُبُ التَّحَبُّبَ إِلَيْهِ، وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ، وَالمَنْزِلَةَ عِنْدَهُ لَثَلَا يَجِدُ عِنْدَهُ شَيْئًا يَكْرَهُهُ. [صفة الصفوة (٢/٥٤١)]

* وقال بلال بن أبي بُرْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣٠): لَا يَمْنَعَنَّكُمْ سُوءُ مَا تَعْلَمُونَ مِنَّا أَنْ تَقْبَلُوا أَحْسَنَ مَا تَسْمَعُونَ. [عيون الأخبار (٢/٥٢٣)]

* وعن الزهري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٢٤) قال: إِنَّمَا يَذْهَبُ الْعِلْمُ النِّسْيَانُ وَتَرَكَ الْمَذَاكِرَةَ. [تهذيب الجلية (٢/٢٤)]

* وعن مكحول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٢) قال: لَا يُوْخَذُ الْعِلْمُ إِلَّا عَنِ مَنْ شَهِدَ لَهُ بِالطَّلَبِ. [تهذيب الجلية (٢/١٨١)]

* وعن أبي بكر بن عياش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٠) قال: الدخولُ في العلم سهلٌ، لكن الخروج منه إلى الله شديدٌ. [تهذيب السَّير (٢/٧٨٧)]

* وعن موسى الجهني قال: كان طلحة بن مصرف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٢٠) إذا ذكر عنده الاختلاف قال: لا تقولوا الاختلاف، ولكن قولوا السعة. [تهذيب الجلية (١٣٢/٢)]

* وقيل لعبد الله بن المبارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨١): يا أبا عبد الرحمن إلى متى تكتب هذا الحديث؟ فقال: لعل الكلمة التي أنتفع بها ما كتبتها بعد. [صفة الصفوة (٣٧٥/٤)]



ذم الجهل

* قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): كيف أنتم إذا لبيستم فتنه يهرم فيها الكبير، ويربو^(١) فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة، فإذا غيّرت قالوا: غيرت السنة.

قالوا: ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟

قال: إذا كثرت قراؤكم، وقلّت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلّت أمناؤكم، والثّمت الدنيا بعمل الآخرة. [مسند الدارمي (١٩١)]

* وقال عروة بن الزبير رضي الله عنه (ت: ١٠٠): يا بني تعلموا فإنكم إن تكونوا صغراء قوم، عسى أن تكونوا كبراءهم، واسوأتهما ماذا أقبح من شيخ جاهل.

• وصدق الشاعر:

وما تنفع الأيام حين تعدها ولم تستفد فيهنّ علماً ولا فضلاً

[أدب الدين (٨١)]

• وقيل للإمام أحمد رضي الله عنه (ت: ٢٤١): رجلٌ له خمسمائة درهم ترى أن يصرّفه في العزوّ والجهاد أو يطلب العلم؟ قال: إذا كان جاهلاً يطلب العلم أحبّ إليّ. [الآداب الشرعية (٢/٣٣)]

• وقال رضي الله عنه: عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَشَبَّطُ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَيَحْتَجُّونَ

(١) أي: يكبر وينمو.

بِالْفُضَيْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَعَلَّ الْفُضَيْلَ قَدْ اكْتَفَى، لَيْسَ يَتَشَبَّهُ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا
جَاهِلٌ. [الآداب الشرعية (٢/٣٢)]

• وقال بعضهم:

وفي الجهل قبل الموت موتٌ لأهله وأجسامهم قبل القبور قبور
وأرواحهم في وحشةٍ من جسومهم وليس لهم حتى النشور نشور



ذم التّقليد والنهي عنه، وما جاء في التعصب

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢) قال: لا يقلّدن رجلاً منكم دينه رجلاً، فإن آمن آمن، وإن كفر كفر؛ فإن كنتم لا بدّ فاعلين فبيعض من قد مات، فإنّ الحي لا تُؤمن عليه الفتنة. [الزهد لأبي داود (١٤٠)]

• وقال الإمام مالك رحمته الله (ت: ١٧٩): إنّما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكلما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه. [ترتيب المدارك (١/١٣٨)]

• وقيل للإمام أحمد رحمته الله (ت: ٢٤١): إن بطرسوس رجلاً قد سمع رأي عبد الله بن المبارك رحمته الله يفتي به؟

قال: هذا من ضيق علم الرجل، يُقلّد دينه رجلاً لا يكون واسعاً في العلم.



ذم التفاخر بالأحساب

• قال رجلٌ للإمام أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١): يا أبا عبد الله بلَغني أنك رجلٌ من العرب، فمن أي العرب أنت؟ فقال: نحن قومٌ مساكين، وما نصنع بهذا؟
[طبقات الحنابلة (٢/١٨٣)]، [الآداب الشرعية (٢/٢٢)]

• ولقد أحسن ابنُ الرُّومي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٨٣) في قول:

فلا تفتخر إلا بما أنت فاعلٌ ولا تحسبنَّ المجد يُورثُ كالنَّسبِ
وليس يَسُود المرءُ إلا بفعله وإن عدَّ آباء كراماً ذوي حَسَبِ
إذا العود لم يُثمرْ وإن كان شُعبَةً من المُثمِّرات اعتدَّه النَّاسُ في الحَطَبِ^(١)

[الجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي (١٦٦)]

* ومما يُستحسن في هذا المعنى قول القائل:

إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي



(١) أي: أن الناس يجعلون الغصن الذي لم يُثمر حطباً، ولو كان نابتاً من أصل شجرة

الأئمة الذين يُقتدى بهم

* رأى عمر (ت: ٢٣) على طلحة رضي الله عنه ثوبين مصبوغين بالمِسْق (١) وهو محرم، فقال: ما هذان الثوبان عليك؟ فقال طلحة: إنهما ليس بهما بأس، إنهما صبغا بمدر.

فقال عمر: إنكم أئمة يقتدي بكم الناس، ولو أن أحداً جاهلاً رأى عليك ثوباً مصبوغاً في الحرم قال: رأيت طلحة يلبس الثياب المصبوغة وهو محرم، فلا يلبس أحد منكم أيها الرهط من هذه الثياب وهو محرم (٢).
[الزهدي لابن المبارك (١١٢٩)]

* وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (ت: ٦٠) إذا خرج إلى الصلاة تجوّز وخفف، ويتم الركوع والسجود، وإذا دخل البيت أطال، فقيل له: فقال: إنا أئمة يُقتدى بنا.
[الزهدي لابن المبارك (١١٣٠)]

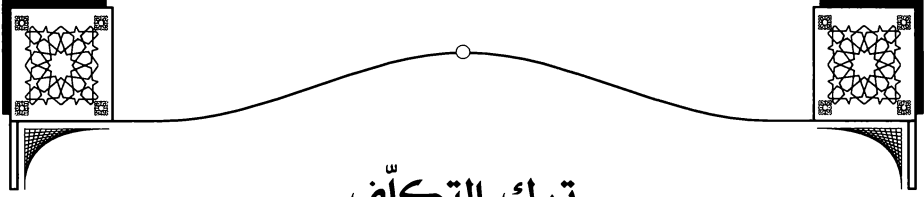
* وقال الأوزاعي رحمته الله (ت: ١٥٧): كنا نضحك ونمزح، فلما صرنا يُقتدى بنا خشيتُ أن لا يسعنا التَّبَسُّم.
[تهذيب السَّير (٢/٦٨٥)]

• وقيل ليحيى بن يحيى رحمته الله (ت: ٢٣٤): لم لا تنبسط في الملاء، كأنبساطك في الخلاء؟

فقال: لو فعلتُ ذلك لتلوعب بين يدي، وأنا أحب أن يُقتدى بي، كما اقتديتُ بغيري.
[ترتيب المدارك (٢/٣٥)]

(١) أي: مصبوغ بالطين الأحمر، وهذه الثياب كُيسَت بطيب، فلذلك رخص أن يلبسها المحرم.

(٢) قال ابن حجر رحمته الله: هذا إسناد صحيح موقوف وهو أصل في سد الذرائع. «المطالب



ترك التكلف

* قال عمر رضي الله عنه (ت: ٢٣): نهينا عن التكلف.

[صحيح البخاري (٧٢٩٣)]

* قال ابن المقفع رحمته الله (ت: ١٤٤): اجعل لنفسك في كل شيء

غايةً ترجو القوة والتّمام عليها.

واعلم أنك إن جاوزت الغاية في العبادة صرت إلى التقصير.

وإن جاوزتها في حمل العلم لحقت بالجهال.

وإن جاوزتها في تكلف رضى الناس والخفة معهم في حاجاتهم

[الأدب الكبير (١١٤)]

كنت المخسور المضيع.



العمل بالعلم

* عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه (ت: ٢٣) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﻻ يَنْهَأُكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ»، قَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْهَا ذَاكِرًا، وَلَا آثِرًا.

[صحيح البخاري (٦٦٤٧)]، [صحيح مسلم (١٦٤٦)]

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢) قال: إِنَّ النَّاسَ أَحْسَنُوا الْقَوْلَ كُلُّهُمْ، فَمَنْ وَاَفَقَ قَوْلُهُ فِعَلَهُ فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ حَظَّهُ، وَمَنْ خَالَفَ قَوْلُهُ فِعَلَهُ فَإِنَّمَا يُؤَبِّخُ نَفْسَهُ.

[الزهد لوكيع (٢٦٦)]

* وقال رضي الله عنه: تعلموا العلم فإذا علمتم فاعملوا.

[تهذيب الحلية (١١٩/١)]

* وقال أبو الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢): ويل للذي لا يعلم مرة،

وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات. [الزهد لوكيع (٢١٧)]

* وقال رضي الله عنه: ما أخاف على نفسي أن يقال لي: ما علمت،

ولكن أخاف أن يقال لي: ماذا عملت؟ [مسند الدارمي (٢٧٠)]

* وقال رضي الله عنه: إنك لن تكون عالماً حتى تكون متعلماً، ولن تكون

عالمًا حتى تكون بما علمت عاملاً.

[الزهد لوكيع (٢١٧)]، [مسند الدارمي (٣٠١)]

* وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه (ت: ٣٣): إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَخَافُ إِذَا

وَقَفْتُ عَلَى الْحِسَابِ أَنْ يُقَالَ لِي: قَدْ عَلِمْتَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟

[جامع بيان العلم وفضله (١٢٠١)]

* وقال جندب البجلي رضي الله عنه (ت: ٧٠): مثل الذي يعظ الناس

وينسى نفسه مثل المصباح يُضيء لغيره ويحرق نفسه.

[الزهد لأحمد (٣٣٠)]، [الزهد لأبي داود (٣٢٦)]

* وقال معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه (ت: ١٨): اعلموا ما

شئتم أن تعلموا، فلن ينفعكم الله بعلمٍ حتى تعملوا.

[الزهد لأبي داود (١٨٠)]

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه (ت: ٧٣) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

قَالَ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، إِلَّا

وَوَصِيَّتُهُ عِنْدَهُ مَكْتُوبَةٌ»، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي. [صحيح مسلم (١٦٢٧)]

* وقال بعض السلف: الَّذِي يَفُوقُ النَّاسَ فِي الْعِلْمِ جَدِيرٌ أَنْ

يَفُوقَهُمْ فِي الْعَمَلِ. [جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١٢٧٠)]

* وقيل لبعض السلف: بم أدركت ما أدركت؟

قال: بالعلم.

قيل له: فإنَّ غيرك قد علم أكثر مما علمت ولم يدرك ما أدركت.

قال: ذلك علم حُمل وهذا علم استُعمل.

* وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رضي الله عنه (ت: ١٦١): ما بلغني عن رسول الله ﷺ

حديثٌ قَطُّ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ وَلَوْ مَرَّةً. [تهذيب السَّيَر (٦٩٦/٢)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَهْتَفُ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ.

[جامع بيان العلم وفضله (١٢٧٤)]

* وسئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: طلب العلم أحب إليك يا أبا عبد الله أو العمل؟

فقال: إنما يراد العلم للعمل، لا تدع طلب العلم للعمل، ولا تدع العمل لطلب العلم. [تهذيب الحلية (٣٧٨/٢)]

* وقال بعض الحكماء: أفضل العلم وقوف الرجل عند علمه.

[المجالسة وجواهر العلم (٢٩٧)]

* وقيل لعقمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٦٢): ألا تقصّ علينا؟ قال: إني لأكره

أن آمركم بما لا أفعل. [الزهد لأحمد (٣٧٢)]

* وعن الشعبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال (ت: ١٠٣): ما من خطيب يخطب إلا

عُرِضَتْ عَلَيْهِ خُطْبَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. [ابن أبي الدنيا (٧٩/٧)]

* وعن مالك بن دينار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣١) قال: إن العالم إذا لم

يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا.

[الزهد لأحمد (٥٣٩)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنك إذا طلبت العلم لتعمل به كسرك العلم،

وإذا طلبته لغير العمل به لم يزدك إلا فخراً. [صفة الصفوة (٢٠٢/٣)]

* وقال عمرو بن قيس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٤٦): إذا سمعت بالخير،

فاعمل به ولو مرة واحدة. [تهذيب الحلية (١٥٥/٢)]

* وعن الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: قد كان الرجل

يطلب العلم فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وهديه وفي لسانه وبصره

ويده. [الزهد لأحمد (٤٤٥)]

* وعن سفيان بن عيينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال (ت: ١٩٨): إنما أرباب العلم الذين هم أهلهم الذين يعملون به .
[تهذيب الحلية (٢/٤٢٦)]

وقال المروزي: قال لي أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١): ما كتبت حديثاً إلا وقد عملتُ به حتى مرَّ بي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، احتجَمَ وأعطى أبا طيبة ديناراً، فأعطيتُ الحجاجَ ديناراً حين احتجمتُ .
[تهذيب السير (٢/٩٢٩)]

* وقال بعضهم:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلَّمُ غَيْرَهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ مِنَ السَّقَامِ لِذِي الضَّنَى كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
وَأَرَاكَ تُلْقِحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا نُضْحاً وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمٌ

[شعب الإيمان (١٧٨٠)]

* وقال ابن المقفع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٤): لا يتم حسن الكلام إلا بحسن العمل، كالمريض الذي قد علم دواء نفسه، فإذا هو لم يتداو به لم يُغنه علمه .
[الأدب الصغير (٥٠)]



بَدَلُ الْعِلْمِ وَتَعْلِيمِهِ وَتَدْوِينِهِ

- * قال سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣): عِلْمٌ لَا يُقَالُ بِهِ كَكَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ .
[مسند الدارمي (٥٧٤)]
- * وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر .
[مسند الدارمي (٣٥)]
- * وكان أبو أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٦) إذا قعدوا إليه يقول: اسمعوا واعقلوا وبلغوا عَنَّا ما تسمعون .
[مسند الدارمي (٥٦١)]
- * وروي عن حبيب بن أبي ثابت أنه قال: قال لي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٤): لَأَنْ أُنشَرَ عِلْمِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَذْهَبَ بِهِ إِلَى قَبْرِي .
[تهذيب السَّيَرِ (٥٠٦/٢)]
- * وعن الزهري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٢٤) قال: العلم يقبض قبضاً سريعاً، فنشر العلم ثبات الدين والدنيا، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله .
[تهذيب الحِلْيَةِ (٢٦/٢)]
- * وقال أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إياك وغلول الكتب، قلت: وما غلولها؟ قال: حبسها عن أهلها .
[تهذيب الحِلْيَةِ (٢٥/٢)]
- * وعن عطاء الخراساني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٠) قال: إن أوثق عملي في نفسي نشري العلم .
[تهذيب الحِلْيَةِ (١٨٦/٢)]
- * وسئل ابن عيينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٩٨) عن الورع فقال: الورع طلب

العلم الذي يُعرف به الورع، وهو عند قوم طول الصمت، وقلة الكلام، وما هو كذلك، إنّ المتكلم العالم أفضل عندي وأورع من الجاهل الصامت. [تهذيب الجلية (٢/٤٤٢)]

• وكان الإمام مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩) يقول: لا ينبغي لأحدٍ عنده علم أن يترك التعليم. [ترتيب المدارك (١/١٥٣)]

• وعندما أحسّ الشيخ عبد العزيز آل مبارك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٥٩) بدنوّ أجله قال: ما أسفت على شيء أسفي على علمٍ بين جنبيّ لم أستطع أن أورثه لأحدٍ بعدي. [علماء نجد (٣/٢٦٩)]



العقيدة

أ - مكانة السنّة ومنزلتها، وذم من احتج بالقرآن وردّ السنّة:

* عن حسان بن عطية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٠) قال: كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنّة، كما ينزل عليه بالقرآن. [مسند الدارمي (٦٠٨)]

* وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٤): أَنَّهُ حَدَّثَ يَوْمًا بِحَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا يُخَالِفُ هَذَا، فَعَضِبَ سَعِيدٌ! غَضَبًا شَدِيدًا، أَلَا أَرَاكَ تُعَارِضُ كِتَابَ اللَّهِ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْكَ.

[مسند الدارمي (٦١٠)]

* وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ التُّرْمِذِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٨٠): «كُنْتُ أَنَا وَأَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ التُّرْمِذِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٥٠)، عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١)، فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، ذَكَرُوا لِابْنِ أَبِي قَتِيلَةَ بِمَكَّةَ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ، فَقَالَ: أَصْحَابُ الْحَدِيثِ قَوْمٌ سَوْءٌ، فَقَامَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَنْفُضُ ثَوْبَهُ، وَيَقُولُ: «زَنْدِيقٌ، زَنْدِيقٌ، زَنْدِيقٌ، وَدَخَلَ الْبَيْتَ».

[عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٣٠٠ - ٣٠٣)]

* وقال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١) عندما سُئِلَ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَى «إِنَّ السُّنَّةَ قَاضِيَةٌ عَلَى الْكِتَابِ» فَقَالَ: مَا أَجْسُرُ عَلَى هَذَا أَنْ أَقُولَهُ، وَلَكِنَّ السُّنَّةَ تُفَسِّرُ الْكِتَابَ وَتُبَيِّنُهُ. [طبقات الحنابلة (١٩٢/٢)]

• وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة.

[طبقات الحنابلة (٢٨/٣)]

ب - موقف السلف ممن قال: القرآن مخلوق:

* قِيلَ لَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٤٨): الْقُرْآنُ: خَالِقٌ، أَوْ مَخْلُوقٌ؟ قَالَ: «لَيْسَ بِخَالِقٍ، وَلَا مَخْلُوقٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ».

[الشرعية (٨٥)]

* وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٦١): «مَنْ زَعَمَ أَنَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مَخْلُوقٌ، فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ عَجَلًا».

[تهذيب الجلية (٢/٣٨٤)]

* وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٩٨): «مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَلَا تُصَلِّ خَلْفَهُ، وَلَا تَمْشِ مَعَهُ فِي طَرِيقٍ، وَلَا تُنَاكِحْهُ».

[تهذيب الجلية (٣/١١٣)]

* وَقَالَ هَارُونَ الْفَرَوِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٥٣): لَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْمَدِينَةِ وَأَهْلِ السُّنَنِ إِلَّا وَهُمْ يُنْكِرُونَ عَلَيَّ مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَيَكْفُرُونَهُ.

قَالَ: وَأَنَا أَقُولُ بِهَذِهِ السُّنَّةِ، وَمَنْ وَقَفَ عَلَى الْقُرْآنِ بِالشَّكِّ، فَلَمْ يَقُلْ: غَيْرَ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ كَمَنْ قَالَ: هُوَ مَخْلُوقٌ.

[الشرعية (١٦٢)]

• وقال عبد الملك بن الماجشون رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢١٢): سمعت من

أدركت من علمائنا يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق.

[ترتيب المدارك (١/٤٠٠)]

ج - موقف السلف في باب الإيمان، وأنه اعتقاد وقول وعمل،
يزيد وينقص :

* عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦١) قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ^(١) فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا». [سنن ابن ماجه (٦١)، وصححه الألباني]

* وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرِ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٤)، أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّمَنِّيِّ، وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ: قَوْلٌ يُعْقَلُ، وَعَمَلٌ يُعْمَلُ».

[«السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد» (٦٧٥)]

* وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٩٨)، قَالَ غَيْرَ مَرَّةٍ: «الْإِيمَانُ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ»، وَقَالَ: «فَأَخَذْنَاهُ مِمَّنْ قَبْلَنَا: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَإِنَّهُ لَا يَكُونُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ»، قِيلَ لِابْنِ عُيَيْنَةَ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟ قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ إِذَا؟

* وَقِيلَ لَهُ - أَيْضًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ تَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ؟ ﴿فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا﴾ [آل عمران: ١٧٣] فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، قِيلَ: يَنْقُصُ؟ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ يَزِيدُ إِلَّا وَهُوَ يَنْقُصُ».

* وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٥٧): كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ سَلَفِنَا لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ، الْعَمَلُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ مِنَ الْعَمَلِ.
[تهذيب الحلية (٢/٢٩١)]

(١) حَزَاوِرَةٌ: قال السندي: جمع الحَزْوَرِ، بفتح الحاء المهملة، وسكون زاي معجمة، وفتح واو، ثم راء، ويقال له: الحزور - بتشديد الواو - وهو: الغلام إذا اشتد وقوي وحزم. كذا في «الصحاح».

* وقال يحيى بن سعيد القطان رحمته الله (ت: ١٩٨): كان من أدركت من الأئمة يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. [تهذيب الحلية (٣/١٠٩)]

د - موقف السلف في باب القدر:

* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَيْرُوزٍ رحمته الله (ت: ٩٠) قَالَ: «وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ، خَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ دِينِي وَأَمْرِي، فَأَتَيْتُ أَبِي بِنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ: أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ فَخَشِيتُ عَلَى دِينِي وَأَمْرِي، فَحَدَّثَنِي مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، فَقَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ جَبَلٌ أَحَدٍ ذَهَبًا - أَوْ مِثْلُ جَبَلٍ أَحَدٍ - تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا قُبِلَ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ، فَتَعَلَّمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ»، وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ أَخِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَتَسْأَلَهُ، فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ، فَسَأَلْتُهُ، فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قَالَ أَبِي، وَقَالَ لِي: وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ حُذَيْفَةَ، فَأَتَيْتُ حُذَيْفَةَ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَا، وَقَالَ: ائْتِ زَيْدَ بْنَ نَابِتٍ فَاسْأَلْهُ، فَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ نَابِتٍ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا - أَوْ مِثْلُ جَبَلٍ أَحَدٍ ذَهَبًا - تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ، فَتَعَلَّمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ».

* وَقِيلَ لِسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه (ت: ٣٣): مَا قَوْلَ النَّاسِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؟ قَالَ: «حِينَ تُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ، تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَلَا تَقُولُ: لَوْ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَوْ لَمْ أَفْعَلْ كَذَا وَكَذَا، لَمْ يَكُنْ كَذَا وَكَذَا».

[الشریعة (٢٢٠)]

* وَقَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه (ت: ٣٤) لَوْلَدِهِ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: «يَا بُنَيَّ، أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ عز وجل، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَلَنْ تَطْعَمَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ وَلَنْ تَبْلُغَ الْعِلْمَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَتِ، وَكَيْفَ لِي أَنْ أُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؟

قَالَ: «تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»، أَيْ بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ قَالَ: اكْتُبْ، قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ يَا رَبِّ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ، فَجَرَى الْقَلَمُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا كَانَ وَمَا هُوَ كَاتِبٌ إِلَّا إِلَى الْأَبَدِ».

[الشریعة (٢٢٣)]

* وَعَنْ ابْنِ عَمَرَ رضي الله عنهما (ت: ٧٣) أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْقَدَرِ؟ فَقَالَ: «شَيْءٌ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَلَّا يُطْلِعَكُمْ عَلَيْهِ، فَلَا تُرِيدُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَا أَبِي عَلَيْكُمْ».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَجْرِيُّ رحمته الله (ت: ٣٦٠) - مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا الْأَثَرِ: «هَذَا مَعْنَى مَا قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمته الله (ت: ١٠١)، فِي رِسَالَتِهِ لِأَهْلِ الْقَدَرِ^(١)، قَوْلُهُ: «فَلَيْنَ قُلْتُمْ: قَدْ قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ كَذَا

(١) أخرجها كاملة مطولة: أبو داود في: «سننه» (٤٦١٢)، وصححها المحدث العلامة الألباني رحمته الله.

وَكَذَا، يُقَالُ لَهُمْ: لَقَدْ قَرَوُوا مِنْهُ - يَعْنِي: الصَّحَابَةَ - مَا قَدْ قَرَأْتُمْ، وَعَلِمُوا مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا جَهَلْتُمْ، ثُمَّ قَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ كُلهُ: كُلهُ كِتَابٌ وَقَدَرٌ، وَكَتَبَ الشَّقْوَةَ، وَمَا قُدِّرَ يَكُنْ، وَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا نَمَلِكُ لِأَنْفُسِنَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، ثُمَّ رَغِبُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَرَهَبُوا وَالسَّلَامُ.

[الشریعة (٢٤٥)]

* وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما (ت: ٦٨) أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى وَضَعْتَ يَدَكَ عَلَى خَدِّكَ».

[الشریعة (٢٢٥)]

* وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ رضي الله عنه (ت: ١١٠): أَنَّهُ قَالَ: مَا يُنْكِرُ قَوْمٌ أَنَّ اللَّهَ سبحانه عَلِمَ شَيْئًا فَكَتَبَهُ؟.

[الشریعة (٢٣٠)]

* وَعَنْ إِيَّاسَ بْنِ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه (ت: ١٢٢)، قَالَ: «لَمْ أُخَاصِمْ بِعَقْلِي كُلهُ مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ غَيْرَ أَهْلِ الْقَدَرِ، قُلْتُ: أَخْبِرُونِي عَنِ الظُّلْمِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَا هُوَ؟ قَالُوا: أَنْ يَأْخُذَ الرَّجُلُ مَا لَيْسَ لَهُ، قُلْتُ: «فَإِنَّ اللَّهَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ».

[الشریعة (٢٣١)]

* وقال بعضهم:

وعاجزُ الرَّأْيِ مُضِياعٌ لِفُرْصَتِهِ حتى إذا فات أمرٌ عاتبَ القَدْرًا^(١)

[عيون الأخبار (٢/٥٤٠)]

* وَقِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ رضي الله عنه (ت: ١٢٣): مَا تَقُولُ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ سبحانه لَا يَسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِبَادَهُ عَنْ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، إِنَّمَا يَسْأَلُهُمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ.

[تهذيب الحلية (١/٤١٥)]

(١) قال ابن القيم رحمته الله: العاقِلُ خَضَمُ نَفْسِهِ، وَالْجَاهِلُ خَضَمُ أَقْدَارِ رَبِّهِ. «مدراج السالكين» (١٠١/١)

* وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠)، قَالَ: «مَنْ كَذَّبَ بِالْقَدْرِ فَقَدْ كَفَرَ». [الزهد لأحمد (٤٨١)]

هـ - موقف السلف في باب الاستواء وعلو الله:

* قَالَ عَبَادُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٦): «قَدِمَ عَلَيْنَا شَرِيكُ الْقَاضِي النَّخَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧٧)، وَاسِطَ فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّ عِنْدَنَا قَوْمًا يُنْكِرُونَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ: «إِنَّ اللَّهَ وَجَدَكَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»^(١)، فَقَالَ شَرِيكٌ: «إِنَّمَا جَاءَنَا بِهِذِهِ الْأَحَادِيثَ مَنْ جَاءَ بِالسُّنَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَإِنَّمَا عَرَفْنَا اللَّهَ وَجَدَكَ بِهِذِهِ الْأَحَادِيثَ». [الشرعة (٦٩٥)]

* وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩): «اللَّهُ وَجَدَكَ فِي السَّمَاءِ وَعَلِمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]». [«السُّنَّة» لعبد الله (١١)]، [«الشرعة» (٦٥٢)، مختصراً]

* وقال سفيان بن عيينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سأل رجل الإمام مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فقال: ﴿عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [ظه: ٥] كيف استوى يا أبا عبد الله؟

فقال: الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب.

وقال الوليد بن مسلم: سألت مالكا عن هذه الأحاديث فقال:

(١) متفق عليه: البخاري (١١٤٥)، مسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أقرأها كما جاءت، وكره أن يحدث بها عوام الناس الذين لا يعرفون وجهه، ولا تبلغه عقولهم، فينكروه، أو يضعوه في غير موضعه.

[ترتيب المدارك (١/١٦٦)]

• وَعَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مَزَاحِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٥): ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] قَالَ: هُوَ عَلَى الْعَرْشِ وَعِلْمُهُ مَعَهُمْ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَذِهِ السُّنَّةُ. [طبقات الحنابلة (٢/١٩١)]

و - موقف السلف في باب الصفات:

• عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَالَ: آيَةٌ أَرْضٍ تُقَلِّبُنِي، وَآيَةٌ سَمَاءٍ تُظَلِّبُنِي، وَأَيِّنْ أَذْهَبُ أَوْ كَيْفَ أَصْنَعُ إِذَا أَنَا قُلْتُ فِي آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَا؟

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) قَرَأَ عَلَى الْمُنْبَرِ ﴿وَفِكَهَةٌ وَأَبًا﴾ [عبس: ٣١] فَقَالَ: هَذِهِ الْفَاكِهَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا فَمَا الْأَبُّ؟ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: لَعَمْرُكَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكْلُفُ يَا عُمَرُ.

قال ابن أبي يعلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حسبك لشيخني الإسلام، وإمامي الهدى، وخليفتي رسول الله ﷺ، الهاديين الراشدين، توقفهما وإحجامهما عن تفسير آية من كتاب الله جلَّ وعزَّ، وهما أعلم الخلق بالله ﷻ بعد رسول الله ﷺ، وبرسوله وبكتاب الله وتأويله، فماذا عسى أن نقول في جسارة المعتزلة والأشاعرة، وبقية المتكلمين الضالين في تأويل صفات الرحمن ﷻ، التي نطق بها القرآن، ونقلها الأئمة الأثبات، والعلماء الثقات؟

[طبقات الحنابلة (٣/٢٦٣ - ٢٦٤)]

• وَقَالَ رَجُلٌ لِلزُّهْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٢٤): يَا أَبَا بَكْرٍ، حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ»^(١)، «وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوقَرْ كَبِيرَنَا»^(٢)، وَمَا أَشْبَهَ مِنَ الْحَدِيثِ؟

فَأُطْرَقَ سَاعَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «مِنَ اللَّهِ وَعَلَى الْعِلْمِ، وَعَلَى الرَّسُولِ ﷺ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ»^(٣).

[السُّنَّةُ لِلخَلَالِ (١٠٠١)، وَعَلِقَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ بِصِيغَةِ الْجَزْمِ (١٥٤/٩)، بِلَفْظٍ: «مِنَ اللَّهِ الرَّسَالَةُ»]

* وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٩٥): سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ: (ت: ١٥٧)، وَالثَّوْرِيَّ: (ت: ١٦١)، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: (ت: ١٧٩)، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ: (ت: ١٧٥) - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - عَنِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا الصِّفَاتُ؟ فَكُلُّهُمْ قَالُوا: «أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ بِهَا تَفْسِيرًا»^(٤).

[الشريعة (٧٢٠)، قَالَ الْأَبَانِيُّ فِي مُخْتَصَرِ الْعُلُو (١٤٢): وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ]

* وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩)، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]، كَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: فَمَا رَأَيْنَا مَالِكًا وَجَدَ مِنْ شَيْءٍ كَوَجَدِهِ مِنْ مَقَالَتِهِ، وَعَلَاهُ الرَّحَضَاءُ^(٥)، وَأُطْرَقَ، وَجَعَلْنَا نَنْتَظِرُ مَا يَأْمُرُ بِهِ فِيهِ، قَالَ: ثُمَّ سُرِّي^(٦)

(١) متفق عليه: البخاري (١٢٩٤)، مسلم (١٠٣) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في: «مسنده» (٦٩٣٥ - ٦٩٣٧)، وأصله في «السنن» بلفظ آخر: من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) وَأُسْنَدُهُ الْإِمَامُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «التمهيد» (١٤/٦): عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ: «مِنَ اللَّهِ تَعَالَى التَّنْزِيلُ، وَعَلَى رَسُولِهِ التَّبْلِيغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ».

(٤) أي: تفسير الكيفية، لا تفسير معاني الألفاظ.

(٥) أي: علاه العرق الكثير من عظم السؤال.

(٦) أي: حتى زال عنه ما به من الهم.

عَنْ مَالِكٍ، فَقَالَ: الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالِاسْتِوَاءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهُولٍ،
وَالِإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَإِنِّي لِأَخَافُ أَنْ تَكُونَ ضَالًّا،
ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ. [الرد على الجهمية للدارمي (١٠٤)]

* وقال الوزير ابن هبيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٦٠): تفكرت في أخبار
الصفات، فرأيت الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين - رحمهم الله - سكتوا عن
تفسيرها، مع قوة علمهم، فنظرت السبب في سكوتهم فإذا هو قوة الهيئة
للموصوف، ولأن تفسيرها لا يتأتى إلا بضرب الأمثال لله، وقد قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾. [ذيل الطبقات (٢/١٥٥)]

ز - موقف السلف في باب التكفير، والتبديع، والتفسيق:

* قيل لأبي وائل شقيق بن سلمة الأسدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٢): يَا أَبَا
وَائِلٍ أَيُّ شَيْءٍ تَشْهَدُ عَلَى الْحَجَّاجِ؟ تَشْهَدُ أَنَّهُ فِي النَّارِ؟ فَقَالَ:
«سبحان الله! أتاؤموني أَنْ أَحْكَمَ عَلَى اللَّهِ!». [الطبقات لابن سعد (٨/٢١٩)]

* وقال الذهبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٤٨) كَانَ شَيْخَنَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت:
٧٢٨) فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ يَقُولُ: أَنَا لَا أَكْفُرُ أَحَدًا مِنَ الْأُمَّةِ، وَيَقُولُ: قَالَ
النَّبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»^(١)، فَمَنْ لَازَمَ الصَّلَوَاتِ
بِوُضُوءٍ فَهُوَ مُسْلِمٌ. [تهذيب السير (٣/١١٧٤)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَخْطَأَ فِي اجْتِهَادِهِ - مَعَ صِحَّةِ
إِيمَانِهِ، وَتَوَخُّيهِ لِاتِّبَاعِ الْحَقِّ - أَهْدَرْنَا، وَبَدَّعْنَا، لَقَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنَ الْأُمَّةِ
مَعَنَا، رَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ». [تهذيب السير (٣/١١٦٢)]

(١) أخرجه: ابن ماجة في «سننه» (٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩)، من حديث ثوبان، وعبد الله بن عمرو، وأبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والحديث صححه الشيخ العلامة المحدث الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره.

ح - موقف السلف من الصحابة، وبيان منزلتهم ومكانتهم:

* قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٣): «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةٌ خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ».

[فضائل الصحابة للإمام أحمد (١٥)، وحسنه الألباني]

* وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أصحاب محمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم فذلك حين هلكوا. [الزهد لابن المبارك (٧٦٤)]

* ودخل المقدم بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٠) المسجد ورأى الناس يصلون التطوع في المسجد، فقال: صلاة كصلاة الملائكة، والله لأنتم أكثر صلاة منا، ولنحن كنا خيراً منكم. [الزهد لأبي داود (ص٣٣٦)]

* وعن أبي عتبة الخولاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٠) أنه قال: ألا أخبركم عن خلال كان عليها إخوانكم^(١):

أولها: لقاء الله كان أحب إليهم من الشَّهد.

والثانية: لم يكونوا يخافون عدواً قُلُوا أو كَثُرُوا.

والثالثة: لم يكونوا يخافون عِوزاً من الدنيا، كانوا واثقين بالله أن يرزقهم.

والرابعة: إن نزل بهم الطاعون لم يبرحوا حتى يقضي الله فيهم ما قضى. [الزهد لابن المبارك (٤٨٠)]

* وَكَانَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) فِي مَجْلِسٍ فَذُكِرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا أَبْرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوباً، وَأَعَمَّقَهَا عِلْماً،

(١) يعني: الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَأَقْلَهَا تَكْلُفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ وَجَّكَ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ
وَطَرَائِفِهِمْ، فَإِنَّهُمْ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ».

[جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٤٧)]

* وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٦): قَالَ: «لَمْ يُدْخَرْ لَكُمْ
شَيْءٌ خُبِّيٌّ عَنِ الْقَوْمِ لِفَضْلِ عِنْدَكُمْ».

[جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٤٦)]

ي - معنى الشهادة وفضلها وأهميتها، والحذر مما يضادها:

* قَالَ شَدَادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): أَخَوْفٌ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ
الشرك والشهوة الخفية.

قيل له: بعد الإسلام تخاف علينا الشرك؟

قال: ما من الشرك إلا أن تجعل مع الله إلهاً آخر؟^(١)

[الزهد لأبي داود (ص ٣٠٦)]

* وَقِيلَ لَوْهَبُ بْنُ مَنْبِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٤): أَلَيْسَ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: بَلَى! وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْ مِفْتَاحٍ إِلَّا وَلَهُ أَسْنَانٌ، مِنْ أَتَى الْبَابَ
بَأَسْنَانِهِ فَتَحَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ الْبَابَ بِأَسْنَانِهِ لَمْ يَفْتَحْ لَهُ.

[تهذيب الجلية (٢/٥٠)]

* وَعَنْ سَفْيَانَ بْنِ عَيِّنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٩٨) قَالَ: مَا أَنْعَمَ اللَّهُ ﷻ
عَلَى الْعِبَادِ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ عَرَفَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ كَالْمَاءِ فِي الدُّنْيَا.

[ابن أبي الدنيا (١/٤٩٤)]

(١) المعنى: ليس الشرك مقتصرًا على أن تجعل مع الله إلهًا آخر؛ بل هو أشمل وأعم،
فقد يقع فيه من يصلي ويسجد لله، كمن يستغيث بالأموات، ويتوسل إليهم، وكمن
يحب أحدًا كحب الله، أو يخافه كخوفه من الله.

ك - الولاة والبراء :

* عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت لعمر رضي الله عنه (ت: ٢٣):
 إن لي كاتباً نصرانياً، قال: مالك؟، أما سمعت الله يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١] ألا اتخذت
 حنيفاً؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، لي كتابته وله دينه، قال: لا
 أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ
 أقصاهم الله. [اقتضاء الصراط المستقيم (٨٤ - ٨٥)]

* وَقَالَ أَبُو الْفَوَارِسِ شَاهُ بْنُ شَجَاعٍ الْكُرْمَانِيُّ رضي الله عنه (ت: ٢٧٠):
 «مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ طَمِعَ فِي عَفْوِهِ، وَرَجَا فَضْلَهُ، وَمَا تَعَبَّدَ مُتَعَبِّدٌ بِأَكْثَرَ مِنْ
 التَّحَبُّبِ إِلَىٰ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ بِمَا يُحِبُّونَ؛ لِأَنَّ مَحَبَّةَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ
 مَحَبَّةِ اللَّهِ». [تهذيب الجلية (٣/٣٥٩)]

ل - ذم الحلف بغير الله :

* عَنْ جَبَلَةَ بْنِ سُوَيْمٍ رضي الله عنه (ت: ١٢٥)، قَالَ: أَقْبَلْتُ مَعَ زِيَادِ بْنِ
 حُدَيْرٍ الْأَسَدِيِّ رضي الله عنه مِنَ الْكُنَاسَةِ^(١)، فَقُلْتُ فِي كَلَامِي: لَا وَالْأَمَانَةِ،
 فَجَعَلَ زِيَادٌ يَبْكِي وَيَبْكِي، فَظَنَنْتُ أَنِّي أَتَيْتُ أَمْرًا عَظِيمًا، فَقُلْتُ لَهُ: أَكَانَ
 يُكْرَهُ هَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، كَانَ يُنْهَىٰ عَنِ الْحَلْفِ بِالْأَمَانَةِ أَشَدَّ النَّهْيِ».

[ابن أبي الدنيا (٧/٣٣٩)]

م - أصول السنة مُجَمَلَةٌ :

• قال الإمام مالك رضي الله عنه (ت: ١٧٩): الإيمان قول وعمل، يزيد
 وينقص، وبعضه أفضل من بعض، والله في السماء وعلمه في كل مكان.

(١) الكُنَاسَةُ: الموضع الَّذِي يُرْمَى فِيهِ التَّرَابُ وَالْأَوْسَاحُ وَمَا يُكْنَسُ مِنَ الْمَنَازِلِ.

وقال: القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس من الله شيء مخلوق، ومن قال: القرآن مخلوق فهو كافر، والذي يقف أشد منه، يستتاب وإلا ضربت عنقه. [ترتيب المدارك (١/١٦٥)]

• وقال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١) إمام أهل السنة والصابر تحت المحنة: أجمع تسعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين وأئمة السلف وفقهاء الأمصار، عَلَى أن السنة التي توفي عنها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

أولها الرضا بقضاء الله وَعَزَّ وَجَلَّ، والتسليم لأمره، والصبر عَلَى حُكْمِهِ.
والأخذ بما أمر الله به والانتهاه عما نهى الله عنه.
والإيمان بالقدر خيره وشره.
وترك المراء والجدال فِي الدين.
والمسح عَلَى الخفين.
والجهاد مع كل خليفة بَرٍّ وفاجر.
والصلاة عَلَى مَنْ مات مِن أهل القبلة.
والإيمان قولٌ وعمل يَزِيدُ بالطاعة وينقص بالمعصية.
والقرآن كلام الله منزل عَلَى قلب نبيه مُحَمَّدٍ ﷺ غير مخلوق، من حيثما تلي.

والصبر تحت لواء السلطان عَلَى ما كان فيه من عدل أو جور، وأن لا نخرج عَلَى الأمراء بالسيف وإن جاروا.
وأن لا نكفر أحداً من أهل التوحيد وإن عملوا الكبائر.
والكف عما شجر بين أصحاب رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وأفضل الناس بعد رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ابن
عم رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

والترحم عَلَى جميع أصحاب رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وعلى أولاده وأزواجه
وأصهاره رضوان الله عليهم أجمعين.

فهذه السُّنَّة الزموها تسلموا، أخذها هدى وتركها ضلالة.

[طبقات الحنابلة (١/٣٤٩ - ٣٥٠)]



التمسك بالكتاب والسنة والأثر، وذم الأخذ بالرأي ورواية الأحاديث المكذوبة والواهية

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣): قلت لأبي بكر رضي الله عنه (ت: ١٣) زمن الحديبية: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق.

[صحيح البخاري (٢٧٣١)]

* وقال شيبه بن عثمان رضي الله عنه (ت: ٥٩): جَلَسَ إِلَيَّ عُمَرُ رضي الله عنه: فَقَالَ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَدَعَ فِيهَا - أَي: لِلْكَعْبَةِ - صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ»، قُلْتُ: مَا أَنْتَ بِفَاعِلٍ، قَالَ: «لِمَ؟»، قُلْتُ: لَمْ يَفْعَلْهُ صَاحِبَاكَ، قَالَ: «هُمَا الْمَرْءَانِ يُفْتَدَى بِهِمَا». [صحيح البخاري (٧٢٧٥)]

* وقال ابن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): «عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُذْهَبَ بِأَصْحَابِهِ، عَلَيَّكُمْ بِالْعِلْمِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ أَوْ يُفْتَقَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ فَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ».

[مصنف عبد الرزاق (٢١٣٨٩)]

* وَقَالَ ﷺ: إِذَا سَأَلْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاظْطَرُّوا فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷺ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوهُ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا أَجْمَعُ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا أَجْمَعُ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فَاجْتَهِدْ رَأْيَكَ، وَلَا تَقُلْ: إِنِّي أَخَافُ وَأَخْشَى؛ فَإِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ الْحَرَامِ بَيْنَ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ، فَدَعِ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ.

[مسند الدارمي (١٧١)]

* وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ (ت: ٦٨): أَمَا تَخَافُونَ أَنْ تَعَذِّبُوا أَوْ يَخْشَفَ بِكُمْ، أَنْ تَقُولُوا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ فُلَانٌ؟

[مسند الدارمي (٤٤٥)]

* وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ ﷺ (ت: ٥٧): أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ: لَا تَخْذِفْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْخَذْفِ^(١) وَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يُصَادُ بِهِ صَيْدٌ، وَلَا يُنْكَى بِهِ عَدُوٌّ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَكْسِرُ السِّنَّ، وَتَفْقَأُ الْعَيْنَ». ثُمَّ رَأَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْخَذْفِ، وَأَنْتَ تَخْذِفُ؟

لَا أَكَلِمَكَ كَذَا وَكَذَا. [صحيح البخاري (٥٤٧٩)]، [صحيح مسلم (١٩٥٤)]

* وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ (ت: ٧٣): قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمْ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَكُمْ إِلَيْهَا»، فَقَالَ بِلَالُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَاللَّهِ لَمَنْعُهُنَّ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا، وَقَالَ: أَخْبِرْكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَقُولُ: وَاللَّهِ لَمَنْعُهُنَّ؟.

[صحيح مسلم (١٠١٧)]

(١) معناه: هُوَ رَمِيكَ حَصَاةً أَوْ نَوَاةً تَأْخُذُهَا بَيْنَ سُبَابَتَيْكَ وَتَرْمِي بِهَا، أَوْ تَتَّخِذُ مِخْدَفَةً مِنْ حَسَبٍ ثُمَّ تَرْمِي بِهَا الْحَصَاةَ بَيْنَ إِبْهَامِكَ وَالسَّبَابَةِ.

* وعن حذيفة رضي الله عنه (ت: ٣٦) قال: يا معشر القراء استقيموا،
[وخذوا طريق مَنْ كان قبلكم، فوالله لئن استقمتم] ^(١) فقد سبقتم سبقاً
بعيداً، فإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتهم ضلالاً بعيداً

[«صحيح البخاري» (٦٨٥٣)]

* وَكَانَ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رضي الله عنه: إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ الزَّائِعُونَ فِي
الدِّينِ يَقُولُ: قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه (ت: ١٠١): سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
وَوَلَاةُ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَنًا، الْأَخْذُ بِهَا اتِّبَاعُ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاسْتِكْمَالُ
لِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ تَغْيِيرُهَا، وَلَا
تَبْدِيلُهَا، وَلَا النَّظْرُ فِي شَيْءٍ خَالَفَهَا، مَنْ اهْتَدَى بِهَا فَهُوَ مُهْتَدٍ، وَمَنْ
اسْتَنْصَرَ بِهَا فَهُوَ مَنْصُورٌ، وَمَنْ تَرَكَهَا اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَاةُ اللَّهِ
مَا تَوَلَّى، وَأَضْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا.

[الشرعية (٧٢)]

* وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه إِلَى النَّاسِ: أَنَّهُ لَا رَأْيَ لِأَحَدٍ
فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا رَأْيُ الْأُئِمَّةِ فِيمَا لَمْ يَنْزَلْ فِيهِ كِتَابٌ، وَلَمْ تَمْضُ بِهِ
سُنَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَلَا رَأْيَ لِأَحَدٍ فِي سُنَّةِ سَنَّا رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

[مسند الدارمي (٤٤٦)]، [الشرعية (٦٢)]

* وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رضي الله عنه (ت: ١١٠): «كَانَ وَاللَّهِ مَنْ أَدْرَكْتُ
مِنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَا قَالُوا بِالْسِّنَّةِ فَكَذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ، كَانُوا وَاللَّهِ
مُؤَافِقِينَ لِكِتَابِ رَبِّهِمْ، وَلِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ صلى الله عليه وسلم، فَإِذَا جَنَّهِمُ اللَّيْلُ فَقِيَامٌ عَلَى
أَطْرَافِهِمْ يَقْتَرِشُونَ وَجُوهَهُمْ، تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ، يَرْعَبُونَ إِلَى
رَبِّهِمْ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ، إِذَا أَشْرَفَ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ أَخَذُوا مِنْهُ قُوَّتَهُمْ،

(١) ما بين المعقوفتين من «الزهد» لابن المبارك (٣٩).

وَوَضَعُوا الْفَضْلَ فِي مَعَادِهِمْ، وَأَدُّوا إِلَى اللَّهِ فِيهِ الشُّكْرَ، وَإِنْ زُوِيَ عَنْهُمْ اسْتَبَشَرُوا وَقَالُوا: هَذَا نَظْرٌ مِنَ اللَّهِ، وَاخْتِبَارٌ مِنْهُ لَنَا، إِنْ عَمِلُوا بِالْحُسْنَى سَرَّتْهُمْ، وَدَعَوْا اللَّهَ أَنْ يَتَقَبَّلَهَا مِنْهُمْ، وَإِنْ عَمِلُوا بِالسَّيِّئَةِ سَاءَتْهُمْ، وَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ مِنْهَا». [ابن أبي الدنيا (١/٣٣١)]

* وَعَنْ الزُّهْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٢٤) قَالَ: «كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: الْإِعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ».

[الزهد لابن المبارك (٧٦٦)], [مسند الدارمي (٩٧) واللفظ له]

* وَعَنْ مُجَاهِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٤) قَالَ: لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيَتْرَكَ، إِلَّا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[تهذيب الجلية (١٣/٢)]

* وَعَنْ ابْنِ سِيرِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) أَنَّهُ كَانَ لَا يَقُولُ بِرَأْيِهِ إِلَّا شَيْئاً سَمِعَهُ.

[مسند الدارمي (١٠٥)]

* وَقَالَ أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا دَامَ عَلَى الْأَثَرِ فَهُوَ عَلَى الطَّرِيقِ.

[مسند الدارمي (١٤٣)]

* وَقَالَ أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوَّلُ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسَ، وَمَا عُبِدَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ إِلَّا بِالْمَقَائِسِ.

[مسند الدارمي (١٩٥)]

* وَحَدَّثَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا بِحَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: قَالَ فُلَانٌ: كَذَا وَكَذَا.

فَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: أَحَدَثَكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَقُولُ: قَالَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ: كَذَا وَكَذَا! لَا أَكَلِمَكَ أَبَدًا.

[مسند الدارمي (٤٥٥)]

* وَعَنْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٨) قَالَ: مَا قَلَّتْ بِرَأْيِي مِنْذُ ثَلَاثِينَ

[مسند الدارمي (١٠٧)]

سنة .

* ورأى سعيد بن المسيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٤) رجلاً يصلي بعد العصر الركعتين، فقال له: يا أبا محمد! أيعذبنى الله على الصلاة؟ قال: لا، ولكن يعذبك الله بخلاف السنة.

[مسند الدارمي (٤٥٠)]

* وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٥٧): عَلَيْكَ بِأَثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَأَرَاءِ الرَّجَالِ وَإِنْ زَخَرَفُوا لَكَ بِالْقَوْلِ.

[تهذيب السير (٦٨٣/٢)]

* وقال رجل للإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤): يا أبا عبد الله تأخذ بهذا الحديث؟ فقال: متى رويت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثاً صحيحاً ولم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب.

• وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا وجدتم سنةً فاتبعوها، ولا تلتفتوا إلى قول أحد.

[طبقات الشافعيين (٤٦/١ - ٤٧)]

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أجمع الناس على أن من استبانته له سنة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس.

[الرسالة (ص ٤٢٥)]

• وقال أبو عبيد القاسم بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٢٤): الْمُتَّبِعُ لِلسُّنَّةِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، وَهَذَا الْيَوْمَ أَفْضَلُ عِنْدِي مِنْ ضَرْبِ السِّيفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلَيْكُمْ. [عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٥٢)]، [طبقات الحنابلة (٢/٢١٨)]

• وقال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١): طَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَعَلَيْكُمْ فِي ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ مَوْضِعاً، قَالَ اللَّهُ وَعَلَيْكُمْ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التور: ٦٣]. [طبقات الحنابلة (١/٢٥٣)]

• وقيل له: أحياءك الله يا أبا عبد الله على الإسلام، قال: والسنة.

[طبقات الحنابلة (١/٣٥١)]

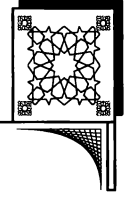
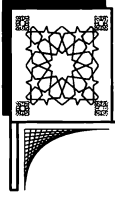
* وقال أبو عثمان الحيري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٠٠): من أَمَرَ السُّنَّةَ عَلَى نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالحكمة، ومن أَمَرَ الهوى على نفسه نطق بالبدعة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

[تهذيب السَّيَر (٢/٧٢٣)]

* وقال الجنيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٩٧): علمنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به.

[تهذيب الحلية (٣/٣٧١)]





ذم البدع والمبتدعة، والهوى وأهله، والجدال والمرء

أ - ذم البدع:

* قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم، كلّ بدعة ضلالة. [الزهد لوكيع (٣١٣)]

* وقال أبو موسى الأشعري لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: رأيت في المسجد قوماً حلّقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصا، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة.

قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظرَ رأيك.

ثم مضى حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟

قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصا نعد به التكبير والتهليل والتسبيح.

قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء،

ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبَل، وأنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد صلى الله عليه وسلم أو مُفتحو باب ضلالة.

قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير.

قال: وكم من مرید للخیر لن یصیبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً یقرءون القرآن لا یجاوز تراقیهم، وایم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم.

فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج. [مسند الدارمي (٢١٠)]

* وقال سفيان الثوري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيضاً (ت: ١٦١): البدعة أحبّ إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها.

[تهذيب الجلية (٢/٣٨١)]

* وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: من سمع ببدعة فلا يحكها لجلسائه، لا يُلقها في قلوبهم.

قال الذهبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة والشبه خطافة. [تهذيب السير (٢/٦٩٨)]

* وعن مطرف بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٥) قال: لأن يسألني ربي ﷻ يوم القيامة، فيقول: يا مطرف ألا فعلت؟ أحبّ إلي من أن يقول: لم فعلت.

[صفة الصفوة (٣/١٥٨)]

ب - ذم المبتدعة:

* قال عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليه (ت: ٢٣): إن ناساً يجادلونكم بشبه القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله ﷻ. [الشرعة (٥٧)]، [مسند الدارمي (١٢١)]

* وعن أبي البختری قال: أخبر رجل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) أن قوماً يجلسون في المسجد بعد المغرب وفيهم رجل يقول:

كبروا لله كذا وكذا وسبحوا لله كذا وكذا واحمدوا لله كذا وكذا، فقال عبد الله: فيقولون؟ قال: نعم، قال: فإذا رأيتمهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم، فأتاهم وعليه برنس فجلس فلما سمع ما يقولون قام وكان رجلاً حديداً فقال: أنا عبد الله بن مسعود والذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماء، أو لقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علماً؟ فقال معضد: والله ما جئنا ببدعة ظلماء ولا فضلنا أصحاب محمد ﷺ علماً، فقال عمرو بن عتبة: يا أبا عبد الرحمن نستغفر الله قال: عليكم بالطريق فالزموه فوالله لئن فعلتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً وإن أخذتم يميناً وشمالاً لتضلوا ضلالاً بعيداً. [الزهد لأحمد (٢٠٨١)]

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما (ت: ٦٨) قال: لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب. [الشرية (٧٠)]

* وعن أيوب السخثياني رضي الله عنه (ت: ١٣١) قال: ما ازداد صاحب بدعةً اجتهاداً إلا زاد من الله ويعجزك بعدا. [صفة الصفوة (٣/٢١١)]

* وقال أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربيعي رضي الله عنه (ت: ٨٣): لأن أجالس الخنازير أحب إليّ من أن أجالس أحداً من أهل الأهواء. [تهذيب السير (٢/٥١٢)]

* وعن يحيى بن أبي كثير رضي الله عنه (ت: ١٢٩) قال: إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في غيره. [الشرية (٧٢)]

* وقال سفيان الثوري رضي الله عنه (ت: ١٦١): مَنْ أصغى بإذنه إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله، ووُكِّلَ إليها - يعني: البدع - .

[شرح السنّة (١٢٦ - ١٢٩)]

* وقال عمرو بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٦): لا تجالس صاحب زيغ فيزيغ قلبك. [تهذيب الجلية (٢/١٥٥)]

* وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧): من جالس صاحب بدعة لم يُعْطِ الحكمة. [شرح السنة (١٢٦ - ١٢٩)]

* وذكر قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٨) عمرو بن عبيد^(١)، فوقع فيه ونال منه.

فقيل له: ألا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض!

فقال: ألا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعة فينبغي لنا أن نذكره حتى يُحذَر. [تاريخ الإسلام (٣/٩٤٢)]

* وقال المرؤذي: قُلْتُ لأبي عبد الله - يعني: الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - (ت: ٢٤١): ترى للرجل أن يشتغل بالصوم والصلاة ويسكت عن الكلام في أهل البدع؟ فَكَلَحَ وَجْهُهُ وَقَالَ: إِذَا هُوَ صَامَ وَصَلَى وَاعْتَزَلَ النَّاسَ أَلَيْسَ إِنَّمَا هُوَ لِنَفْسِهِ؟ قُلْتُ: بلى، قَالَ: فَإِذَا تَكَلَّمَ كَانَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ، يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ. [طبقات الحنابلة (٣/٤٠٨)]

ج - ذم الهوى، وفضل من خالفه:

* قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): الهوى إله معبود وقرأ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ [البجائية: ٢٣]. [عيون الأخبار (١/٧٨)]

* وقيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى (ت: ١٠١): أي الجهاد أفضل؟ فقال: جهادك هواك. [الكامل في اللغة (١٤٩)]

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا

(١) وهو من المبتدعة الذين ينفون القدر.

خالف هواه، فإذا أنت لا تثاب على ما اتبعته من الحق، وتعاقب على ما خالفته. [مجموع الفتاوى (١٠/٢٤٤)]

* وقال إبراهيم بن أدهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦١): أشد الجهاد جهاد الهوى، من منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلائها، وكان محفوظاً ومعافى من أذاها. [تهذيب الحلية (٢/٤٨٤)]

* وكان يقال: الهوى شريك العمى. [عيون الأخبار (١/٧٨)]

* وقال مالك بن دينار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣١): جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم.

* وقال بعض العلماء: رَغِبَ اللهُ الملائكة من عقل بلا شهوة، وركب البهائم من شهوة بلا عقل، ورَغِبَ ابن آدم من كليهما؛ فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته على عقله فهو شر من البهائم.

وقال الشاعر:

إذا المرء أعطى نفسه كلما اشتتهت ولم ينهها تاقت إلى كلِّ باطل
وساقت إليه الإثم والعار بالذي دعته إليه من حلاوة عاجل

[أدب الدين (ص ٦٣ - ٦٤)]

* وقال ابن المُقَفَّع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٤): على العاقل أن يعرف أن الرأي والهوى متعاديان، وأن من شأن الناس تسويق الرأي، وإسعاف الهوى، فيخالف ذلك، ويلتمس أن لا يزال هواه مُسَوِّقاً ورأيه مسعفاً.

[الأدب الصغير (٢٠)]

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا بدهك^(١) أمران لا تدري أيهما أصوب، فانظر

(١) أي: فاجأك.

أيهما أقرب إلى هواك فخالفه؛ فإن أكثر الصواب في خلاف الهوى.

[الأدب الكبير (١١٩)]

د - ذم المرء والجدال بوجه عام:

* قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): المرء لا تعقل حكمته

ولا تؤمن فتنته. [ابن أبي الدنيا (٩٤/٧)]

* وقال أبو الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢): كفى بك إثماً أن لا تنزال

ممارياً. [مسند الدارمي (٢٦٠)]

* وقال الأوزاعي رضي الله عنه (ت: ١٥٧): إذا أراد الله بقوم شرّاً فتح

عليهم الجدَل ومنعهم العمل. [تهذيب السّير (٦٨٣/٢)]

* وعن مسلم بن يسار رضي الله عنه (ت: ٩٩) أنه كان يقول: إياكم

والمرء، فإنها ساعة جهل العالم، وبها يتغيى الشيطان زلته. [الشریعة (٦٥)]

* وقال بعض السلف: والله ما رأيت من شيء أذهب لدين، ولا

أنقص لمروءة، ولا أضيع للذّة، ولا أشغل لقلب من خصومة.

[ابن أبي الدنيا (٣٢٥/٤)]

* وقال الحسن البصري رضي الله عنه (ت: ١١٠): المؤمن لا يداري ولا

يماري، ينشر حكمة الله ويعلمك، فإن قبّلت حمد الله ويعلمك وإن رُدّت

حمد الله ويعلمك. [الشریعة (٧٩)]

• وقال البربهاري رضي الله عنه (ت: ٣٢٩): المجالسة للمناظرة تُغلق باب

الفائدة. [طبقات الحنابلة (٧٦/٣)]

هـ - ذم المرء والجدال في الدين:

* سئل ابن عمر رضي الله عنهما (ت: ٧٣) عن استلام الحجر، فقال: «رأيتُ

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ» قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ زُحِمْتُ، أَرَأَيْتَ إِنْ غُلِبْتُ، قَالَ: «اجْعَلْ أَرَأَيْتَ بِالْيَمَنِ^(١)، رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ». صحيح البخاري (١٦١١).

* وقال الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠): شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل يُعمون بها عباد الله. [الإبانة الكبرى (٣٠٤)]

* وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٨): «إِيَّاكُمْ وَالْخُصُومَةَ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهَا تَشْغَلُ أَوْ تُفْسِدُ الْقَلْبَ، وَتُورِثُ النِّفَاقَ».

[الإبانة الكبرى (٦٣٥)]

* وانصرف مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩) يوماً من المسجد، وهو متكئ على يدي، فلحقه رجل يُتهم بالإرجاء، فقال: يا عبد الله، اسمع مني شيئاً، أكلمك به، وأحاجك، وأخبرك برأيي، قال: فإن غلبتني؟ قال: إن غلبتك اتبعني، قال: فإن جاء رجل آخر، فكلمنا فغلبنا؟ قال: نتبعه، فقال مالك رحمه الله تعالى: يا عبد الله: بَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مُحَمَّدًا ﷺ بدين واحد، وأراك تنتقل من دين إلى دين.

قال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التثقل. [الشرعية (٦٦)]

* وقال الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الجِدَالُ فِي الدِّينِ يُنْشِئُ المِرَاءَ، وَيَذْهَبُ بنور العلم من القلب ويقسِّي، ويورث الضغن. [تهذيب السيِّر (٧٣٥/٢)]

* وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعِيبُ الجِدَالَ فِي الدِّينِ، وَيَقُولُ: كَلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ أَرَادَنَا أَنْ نَرُدَّ مَا جَاءَ بِهِ جَبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

[الإبانة الكبرى (٥٨٢)]

(١) أي: اترك هذا التعذر واتبع السُّنَّةَ.

* وقيل له رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الرجل له علمٌ بالسُّنَّةِ يجادل عنها؟

قال: لا، ولكن يُخبر بالسُّنَّةِ، فإن قُبِلَ منه، وإلا سَكَتَ^(١).

[ترتيب المدارك (١/١٦٢)]

* وقال الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤): المراء في الدين يُقَسِّي القلبَ،

ويُورِثُ الضغائن. [تهذيب السَّير (٢/٨٤٦)]

* وقيل للحكم بن عتيبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٣): ما اضطر الناس إلى

الأهواء؟ قال: الخصومات. [الشرعية: ٦٦]

• وقيل للإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١): يا أبا عبد الله، أكون

في المجلس ليس فيه مَنْ يعرف السُّنَّةَ غيري، فيتكلم مُبتدع فيه، أَرَدَ عليه؟

فقال: لا تَنْصِبَ نفسك لهذا، أخبره بالسُّنَّةِ ولا تُخاصم. طبقات

الحنابلة (٢/١٥٦)

و - التحذير من مجادلة أهل البدع والأهواء:

* قال أبو قلابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٠٤): لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا

تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يُلبِّسُوا عليكم في الدين بعض ما لُبِّسَ عليهم.

[الشرعية (٦٥ - ٦٥)] واللفظ له، [مسند الدارمي (٤٠٥)]

* وجاء رجل إلى الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) فقال: يا أبا

سعيد، تعال حتى أخاصمك في الدين، فقال الحسن: أما أنا فقد

أبصرت ديني، فإن كنت أضللت دينك فالتمسه. [الشرعية (٦٦)]

(١) من الحكمة ألا تُجادل صاحب الباطل؛ بل اذكر الحق بدليله، فإن جادلَكَ فأسكت؛ لأنَّ غرضه الإثارة والثَّرثرة وتضييع الوقت، إلا في حالاتٍ محدودة يقتضيها المقام.

* وعن أيوب السخثياني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣١) أنه قال: لست براد عليهم أشد من السكوت. [الشريعة (٦٩ - ٧٠)]

* وقال له رجل من أصحاب الأهواء: يا أبا بكر: أسألك عن كلمة، فولّى وهو يشير بإصبعه: ولا نصف كلمة. [مسند الدارمي (٤١٢)]

* وَعَنْ مَعْمَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٥٣)، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ طَاوُوسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣٢)، وَعِنْدَهُ ابْنٌ لَهُ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: صَالِحٌ، يَتَكَلَّمُ فِي الْقَدْرِ، فَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ ابْنُ طَاوُوسٍ إِصْبَعِيهِ فِي أُذُنِيهِ، وَقَالَ لِابْنِهِ: «أَدْخِلْ أَصَابِعَكَ فِي أُذُنَيْكَ وَاشْدُدْ، فَلَا تَسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ شَيْئًا، فَإِنَّ الْقَلْبَ ضَعِيفٌ».

[مصنف عبد الرزاق (٢١٠١٦)]

* وَدَخَلَ رَجُلَانِ مِنَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠)، فَقَالَا: يَا أَبَا بَكْرٍ نَحْدُثُكَ بِحَدِيثٍ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَا: فَتَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، لَتَقُومَانِ عَنِّي أَوْ لَأَقُومَنَّ»، قَالَ: فَخَرَجَا، فَقَالَ: بَعْضُ الْقَوْمِ، يَا أَبَا بَكْرٍ، وَمَا كَانَ عَلَيْكَ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْكَ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيَّ آيَةٌ فَيَحْرَفَانِيهَا، فَيَقْرَأُ ذَلِكَ فِي قَلْبِي».

[مسند الدارمي (٤١١)]

* وقال محمد بن سيرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وماراه^(١) رجل في شيء -: إني قد أعلم ما تريد، وأعلم بالممارسة منك، ولكنني لا أماريك. [الشريعة (٧٠)]

• وقال الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩): المرء والجدال في العلم يذهب بنور العلم من قلب العبد.

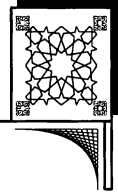
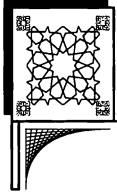
وقال: إنه يقسي القلب ويورث الضغن.

(١) أي: جادله.

قال الزهري: رأيت مالكاً وقوماً يتجادلون عنده فقام ونفض رداءه وقال: إنما أنتم حرب. [ترتيب المدارك (١/١٦١ - ١٦٢)]

• ويقول إذا جاءه بعض أهل الأهواء: أما أنا فعلى بينة من ربي، وأما أنت فشاك، فاذهب إلى مثلك فخاصمه، ثم قرأ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]. [ترتيب المدارك (١/١٦٣)]





حال السلف مع ولاة الأمور

أ - طاعتهم، والحث على لزوم الجماعة:

* كتب رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما (ت: ٧٣) أن اكتب إليّ بالعلم كله. فكتب إليه: إن العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دمائه الناس، خميص البطن من أموالهم، كاف اللسان عن أعراضهم، لازماً لأمر جماعتهم فافعل. [تهذيب السير (١/٣٧٠)]

* وقال أبو زرعة الرازي رحمته الله (ت: ٢٦٤): الجمعة والجهاد عندنا مع البر والفاجر ممن يتولى ذلك من الولاة. [طبقات الحنابلة (٢/٦٠)]

ب - مداراتهم، والرفق واللين في التعامل معهم:

* قيل لأسماء بن زيد رضي الله عنه (ت: ٥٩): ألا تدخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه فتكلمه؟ فقال: أترون أنني لا أكلّمه إلا أسمعكم؟ والله لقد كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، مَا دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَاباً^(١) أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفْتَحُهُ^(٢).

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: أي كَلَّمْتُهُ فِيمَا أَسْرُتُمْ إِلَيْهِ، لَكِنْ عَلَى سَبِيلِ الْمَصْلَحَةِ وَالْأَدَبِ فِي السَّرِّ، بَعِيرٌ أَنْ يَكُونَ فِي كَلَامِي مَا يُبَيِّرُ فِتْنَةً أَوْ نَحْوَهَا.

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: يَعْنِي: لَا أَكَلَّمُهُ إِلَّا مَعَ مِرَاعَاةِ الْمَصْلَحَةِ بِكَلَامٍ لَا يَهِيجُ بِهِ فِتْنَةً. وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ أَسْمَاءَ كَانَ يَخْشَى عَلَى مَنْ وُلِّيَ وَلايَةً وَلَوْ صَغُرَتْ أَنَّهُ لَا يَأْتِي لَهُ مِنْ أَنْ يَأْمُرَ الرَّعِيَّةَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، ثُمَّ لَا يَأْمَنُ مِنْ أَنْ يَقَعَ مِنْهُ تَقْصِيرٌ، فَكَانَ أَسْمَاءَ يَرَى أَنَّهُ لَا يَتَأَمَّرُ عَلَى أَحَدٍ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: «لَا أَقُولُ لِلْأَمِيرِ إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ»؛ أَي: بَلْ غَايَتُهُ أَنْ يَنْجُو كَفَافًا.

وَمَا أَنَا بِالَّذِي أَقُولُ لِرَجُلٍ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَى رَجُلَيْنِ: أَنْتَ خَيْرٌ، بَعْدَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُجَاءُ بِرَجُلٍ فَيَطْرَحُ فِي النَّارِ، فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطْحَنِ الْجِمَارِ بِرَحَاهُ»^(١)، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ^(٢) فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ، أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي كُنْتُ أَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا أَفْعَلُهُ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ».

[صحيح البخاري (٣٢٦٧)]، [صحيح مسلم (٢٩٨٩)]

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما (ت: ٧٣) قال: دخلتُ على حفصة فقلت: قد كان من الناس ما ترين، ولم يجعل لي من الأمر شيءً، قالت: فالحق بهم فإنهم ينتظرونك، وإني أخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة، فلم يرعه حتى ذهب.

فلما تفرق الناس، خطب معاوية، فقال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر، فليطلع إليّ قرنه، فنحن أحقُّ بذلك منه ومن أبيه^(٣).

قال حبيب بن مسلمة: فهلاً أجبته فذاك أبي وأمي؟ فقال ابن عمر:

= وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: مُرَادُ أُسَامَةَ أَنَّهُ لَا يَفْتَحُ بَابَ الْمُجَاهَرَةِ بِالنِّكِيهِ عَلَى الْإِمَامِ لِمَا يَخْشَى مِنْ عَاقِبَةِ ذَلِكَ؛ بَلْ يَتَلَطَّفُ بِهِ وَيُنْصَحُهُ سِرًّا فَذَلِكَ أَجْدَرُ بِالْقَبُولِ. وَقَوْلُهُ: «لَا أَقُولُ لِأَحَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ» فِيهِ دَمٌ مُدَاهَنَةٌ الْأُمَرَاءَ فِي الْحَقِّ وَإِظْهَارٌ مَا يُبْطِنُ خِلَافَهُ كَالْمُتَمَلِّقِ بِالْبَاطِلِ، فَأَشَارَ أُسَامَةُ إِلَى الْمُدَارَاةِ الْمَحْمُودَةِ وَالْمُدَاهَنَةِ الْمَذْمُومَةِ، وَصَابِطِ الْمُدَارَاةِ أَنْ لَا يَكُونَ فِيهَا فَدَحٌ فِي الدِّينِ، وَالْمُدَاهَنَةِ الْمَذْمُومَةُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا تَزْيِينُ الْقَبِيحِ وَتَضْوِيبُ الْبَاطِلِ وَنَحْوُ ذَلِكَ. «فتح الباري» (١٣/٦٥ - ٦٧).

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: تَقَدَّمَ فِي رِوَايَةِ سُفْيَانَ وَأَبِي مُعَاوِيَةَ: «فَتَنَدَّلِقُ أَقْتَابَهُ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْجِمَارُ» وَالْأَقْتَابُ جَمْعُ قَتَبٍ بِكَسْرِ الْقَافِ هِيَ الْأَمْعَاءُ، وَأَنْدِلَاقُهَا خُرُوجُهَا بِسُرْعَةٍ.

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: أَيُّ: يَجْتَمِعُونَ حَوْلَهُ، يُقَالُ: أَطَافَ بِهِ الْقَوْمُ إِذَا حَلَقُوا حَوْلَهُ حَلَقَةً وَإِنْ لَمْ يَدُورُوا، وَطَافُوا إِذَا دَارُوا حَوْلَهُ.

(٣) في مصنف عبد الرزاق: يُعْرَضُ بَابِنِ عُمَرَ.

حَلَلْتُ حَبُوتِي، فَهَمِمْتُ أَنْ أَقُولَ: أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ مِنْ قَاتَلِكَ وَأَبَاكَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَخَشِيتُ أَنْ أَقُولَ كَلِمَةً تُفَرِّقُ الْجَمْعَ، وَيُسْفِكُ فِيهَا الدَّمَ، فَذَكَرْتُ مَا أَعَدَّ اللَّهُ فِي الْجَنَانِ. [صحيح البخاري (٣٨٨٢)]

ج - الصدع بالحق وعدم المداهنة في النصح لهم:

* عَادَ عَبِيدُ اللَّهِ بِنُ زِيَادٍ^(١) مَعْقِلَ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه (ت: ٦٠) فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرَعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحْطُهَا»^(٢) بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ.

[صحيح البخاري (٧١٥٠)]، [صحيح مسلم (١٤٢)]

* وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ رضي الله عنه (ت: ١٢٣)، مَعَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ بِخِرَاسَانَ غَازِيًّا، فَاسْتَأْذَنَهُ لِلْحُجِّ فَأَذَّنَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: نَأْمُرُكَ؟ قَالَ: تَأْمُرُ بِهِ لِلْجَيْشِ كُلِّهِمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي بِهِ. [تهذيب الجلية (١/٤١٥)]

* وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي حَازِمٍ رضي الله عنه (ت: ١٤٠) فِي الصَّائِفَةِ فَأَرْسَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ خَالِدٍ إِلَى أَبِي حَازِمٍ أَنْ آتِنَا حَتَّى نَسْأَلَكَ وَتَحْدِثْنَا، فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ: مَعَاذَ اللَّهِ، أَدْرَكَتْ أَهْلَ الْعِلْمِ لَا يَحْمِلُونَ الدِّينَ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، فَلَنْ أَكُونَ بِأَوَّلِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ لَكَ حَاجَةٌ فَأَبْلِغْنَا، فَتَصَدَّى لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَأَلَ مِنْهُ، وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ أَزْدَدَتْ عَلَيْنَا بِهَذَا كِرَامَةً. [تهذيب الجلية (١/٥٢٥)]

* وَقِيلَ لِلْإِمَامِ مَالِكٍ رضي الله عنه (ت: ١٧٩): إِنَّكَ تَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ،

(١) أمير البصرة في زمن معاوية وولده يزيد.

(٢) قال الحافظ رضي الله عنه: أَي: يَكْلُؤُهَا أَوْ يَصْنُهَا.

وهم يظلمون، ويجورون، فقال: يرحمك الله، فأين المكلّم بالحق.

[تهذيب السّير (٧٣٦/٢)]

• وقال الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنْ عُرِضْتُ عَلَى السِّيفِ لَا أُجِيبُ^(١)،

وقال: إذا أجاب العالم تقيّة، والجاهل بجهل، فمتى يتبين الحق؟!

[الآداب الشرعية (١/١٢٨)]

د - توجيهات ونصائح السلف لمن أراد الدخول معهم:

* عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: إياكم ومواقف

الفتن، قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير، فيصدّقه بالكذب ويقول ما ليس فيه.

[صفة الصفوة (١/٢٩٢)]

* وقال مسلم بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٦٠): ينبغي لمن خدم

السلطان ألا يغترّ بهم إذا رَضُوا عنه ولا يتغير لهم إذا سخطوا عليه ولا يستقلّ ما حمّله ولا يلحف في مسألتهم.

[عيون الأخبار (١/٦٢)]

* وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٥٧): مَنْ حَضَرَ سُلْطَانًا، فَأَمَرَ بِأَمْرٍ

لَيْسَ بِحَقٍّ، وَلَا يَتَخَوَّفُ فِيهِ الْقُوَّةَ، فَلَا يُكَلِّمُهُ فِيهِ عِنْدَ تِلْكَ الْحَالِ، وَلِيُخَلِّ بِهٖ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ يَأْمُرُ بِأَمْرٍ يَخَافُ فِيهِ الْقُوَّةَ فَلَا بُدَّ لَكَ مِنْ كَلَامِهِ، أَصَابَكَ مِنْهُ مَا أَصَابَكَ.

[أخبار الشيوخ (٣٠)]

هـ - الصبر على ظلمهم، وعدم الخروج عليهم، ودم من فعل ذلك:

* قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) في خطبته: يا أيها الناس،

(١) أي: لا أجيبهم بجواب - وهو مخالف لدين الله - يريده الوالي أو الأمير، إرضاء

لهم، أو خوفاً منهم.

عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها جبل الله ﷻ الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة. [الشريعة (١٩)]

* وقال ابن عمر رضي الله عنهما (ت: ٧٣) حين أته بيعة يزيد: إن كان خيراً رضيينا، وإن كان بلاء صبرنا. [ابن أبي الدنيا (٤/٦٠)]

* وَعَنْ نَافِعٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا خَلَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَزِيدَ بَنَ مُعَاوِيَةَ، جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه حَشَمَهُ^(١) وَوَلَدَهُ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «يُنْصَبُ لِكُلِّ عَادِرٍ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ»، وَإِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ عَدْرًا أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُبَايَعَ رَجُلٌ عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُنْصَبُ لَهُ الْقِتَالُ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْكُمْ خَلَعَهُ، وَلَا بَايَعَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، إِلَّا كَانَتْ الْفَيْضَلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ^(٢). [صحيح البخاري (٧١١)]

* وقيل للحسن البصري رضي الله عنه (ت: ١١٠): يا أبا سعيد، خرج خارجي بالخريبة - محلة عند البصرة - فقال: المسكين رأى منكراً فأنكره، فوقع فيما هو أنكرو منه. [الشريعة (٣٥)]

* وقال أبو الحارث: سَأَلْتُ الْإِمَامَ أَحْمَدَ رضي الله عنه (ت: ٢٤١) فِي أَمْرٍ كَانَ حَدَثَ بَبْعَدَادَ، وَهَمَّ قَوْمٌ بِالْخُرُوجِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا تَقُولُ فِي الْخُرُوجِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؟

فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، الدِّمَاءُ، الدِّمَاءُ، لَا أَرَى ذَلِكَ، وَلَا أَمْرٌ بِهِ، الصَّبْرُ عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْفِتْنَةِ يُسْفِكُ فِيهَا الدِّمَاءَ، وَيُسْتَبَاحُ فِيهَا الْأَمْوَالُ، وَيُنْتَهَكُ فِيهَا الْمَحَارِمُ، أَمَا عَلِمْتَ مَا كَانَ النَّاسُ فِيهِ؟ يَعْنِي: أَيَّامَ الْفِتْنَةِ.

(٢) أي: القاطعة.

(١) أي: خدمه ومن يعصب له.

قُلْتُ: وَالنَّاسُ الْيَوْمَ، أَلَيْسَ هُمْ فِي فِتْنَةٍ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟
 قَالَ: وَإِنْ كَانَ، فَإِنَّمَا هِيَ فِتْنَةٌ خَاصَّةٌ، فَإِذَا وَقَعَ السَّيْفُ عَمَّتِ
 الْفِتْنَةُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، الصَّبْرَ عَلَى هَذَا، وَيَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ خَيْرٌ لَكَ،
 وَرَأْيُهُ يُنَكِّرُ الْخُرُوجَ عَلَى الْأَيْمَةِ.

وَقَالَ: الدِّمَاءُ، لَا أَرَى ذَلِكَ، وَلَا أَمُرُّ بِهِ. [السُّنَّةُ لِلْخَلَالِ (٨٩)]

* وَقَالَ حَنْبَلٌ فِي وِلَايَةِ الْوَائِقِ: اجْتَمَعَ فُقَهَاءُ بَعْدَادَ إِلَى أَبِي
 عَبْدِ اللَّهِ، فَجَاءُوا إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، فَاسْتَأْذَنَتْ لَهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَبَا
 عَبْدِ اللَّهِ، هَذَا الْأَمْرُ قَدْ تَفَاقَمَ وَفَشَا، يَعْنُونَ: إِظْهَارَهُ لِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ
 ذَلِكَ.

فَقَالَ لَهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «فَمَا تُرِيدُونَ؟

قَالُوا: أَنْ نُشَاوِرَكَ فِي أَنَّا لَسْنَا نَرْضَى بِإِمْرَتِهِ، وَلَا سُلْطَانِهِ!

فَنَاطَرَهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سَاعَةً، وَقَالَ لَهُمْ: عَلَيْكُمْ بِالنَّكِرَةِ بِقُلُوبِكُمْ،
 وَلَا تَخْلَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، وَلَا تَشُقُّوا عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَسْفِكُوا
 دِمَاءَكُمْ وَدِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ مَعَكُمْ، انظُرُوا فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكُمْ، وَاصْبِرُوا حَتَّى
 يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، أَوْ يُسْتَرَّاحَ مِنْ فَاجِرٍ. [السُّنَّةُ لِلْخَلَالِ (٩٠)]

و - الدعاء لهم، والبعث عن الثناء عليهم إلا بحق:

* قال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧): لو أن لي دعوة

مستجابة ما جعلتها إلا في إمام، فصلاح الإمام صلاح البلاد والعباد.

[تهذيب السير (٧٧٧/٢)]

* وعن عُمر بن الفضل قال: سألت أبا العلاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - والحجاج في

عِبَائِهِ^(١) - فقلت: يا أبا العلاء أسب الحجاج؟ فقال: ادع له بالصلاح فإن صلاحه خير لك .
[الزهد لأحمد (٤٢٢)]

ز - فوائد أخرى :

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت : ٢٣) : « لَا يَنْبَغِي أَنْ يَلِيَّ هَذَا الْأَمْرَ - يَعْنِي : أَمْرَ النَّاسِ - إِلَّا رَجُلٌ فِيهِ أَرْبَعُ خِلَالٍ : اللَّيْنُ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَالشَّدَّةُ فِي غَيْرِ عُنْفٍ ، وَالْإِمْسَاكُ فِي غَيْرِ بُخْلِ ، وَالسَّمَاحَةُ فِي غَيْرِ سَرَفٍ ، فَإِنْ سَقَطَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ فَسَدَتِ الثَّلَاثُ » .

[مصنف عبد الرزاق (١٥٢٨٨)]

* وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت : ٣٢) : إذا كان الإمام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر، وإذا كان جائراً فعليه الوزر وعليك الصبر .

[عيون الأخبار (٤٩/١)]

* وقال عبد الملك بن مروان رضي الله عنه (ت : ٨٦) : أنصفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ! ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر! نسأل الله أن يعين كلاً على كل .

[عيون الأخبار (٥٣/١)]

* وعن ابن هشام أنه قال: قال لي المأمون رضي الله عنه (ت : ٢١٨) : يا علي، الملوك تحتمل لأصحابها كل شيء خلا ثلاث خصال، قلت: وما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: القدح في الملك، وإفشاء السر، والتعرض للحرمة .

[المنتظم (٥٩/١٠)]

(١) عَبَا الْمَتَاعَ عَبَوًّا وَعَبَاهُ : هَيَّأَهُ ، وَعَبَّى الْجَيْشَ : أَضْلَحَهُ وَهَيَّأَهُ تَعْبِيَةً وَتَعْبِيَةً وَتَعْبِيَةً ، وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : عَبَّأْتُهُ بِالْهَمْزَةِ . لِسَانَ الْعَرَبِ ، مَادَّةُ عَبَا .

وفي الأصل: عِبَائَةٍ ، بالتاء . ولعل المثبت هو الصواب .

علوُّ الهمة

* عن ابن عباس رضي الله عنهما (ت: ٦٨) قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار: هلم، فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجباً لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم؟ قال: فتركت ذلك، وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحديث، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل، فأتي بابه وهو قائل، فأتوسد التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يا بن عمّ رسول الله، ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليّ فأتيك؟ فأقول: لا، أنا أحقّ أن أتيك فأسألك عن الحديث.

فعاش ذلك الفتى الأنصاري حتى رأيته، وقد اجتمع الناس حولي يسألوني فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني.

[المستدرک للحاکم (٣٦٣)]، [مسند الدارمي (٥٩٠)]

* وعن أبي الزناد قال: اجتمع في الحجر مصعب وعروة وعبد الله بنو الزبير، وعبد الله بن عمر، فقالوا: تمنوا، فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا، فأتمنى الخلافة. وقال عروة: أما أنا، فأتمنى أن يؤخذ عني العلم، وقال مصعب: أما أنا، فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين قال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة قال: فنالوا ما تمنوا، ولعل ابن عمر غفر له.

[صفة الصفوة (١/٢٦٧)]

* وعن الشعبي قال: خرج مسروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٣) إلى البصرة، إلى رجل يسأله عن آية، فلم يجد عنده فيها علماً، فأخبر عن رجل من أهل الشام فقدم علينا ها هنا، ثم خرج إلى الشام إلى ذلك الرجل في طلبها. [تهذيب الجلية (١/٣٠٥)]

* وعن سعيد بن جبیر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٤) قال: ربما أتيتُ ابنَ عباس، فكتبْتُ في صحيفتي حتى أملاًها، وكتبْتُ في نعلي حتى أملاًها، وكتبْتُ في كفي. [تهذيب السيرة (٢/٥٠٧)]

* وقال سعيد بن المسيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٤): إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلبِ الحديث الواحد. [تهذيب السيرة (١/٤٨٢)]

* وقال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠١): كانت لي نفس تواقة، فكنت لا أنال منها شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أعظم، فلما بلغت نفسي الغاية، تاقت إلى الآخرة. [تهذيب الجلية (٢/٢٣٧)]

* وعن الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: من استطاع منكم أن يكون إماماً لأهله، إماماً لحيه، إماماً لمن وراء ذلك، فإنه ليس شيء يؤخذ عنك إلا كان لك منه نصيب. [الزهد لابن المبارك (٨٠٣)]

* وقال السري السقطي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٥١): من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل. [صفة الصفوة (٢/٦٣٠)]

* وعن أبي محمد ابن أخت الشافعي قال: قالت أمي: ربما قدمنا في ليلة واحدة ثلاثين مرة أو أقل أو أكثر المصباح إلى بين يدي الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤)، وكان يستلقي ويتفكر، ثم ينادي يا جارية هلمي المصباح، فتقدمه ويكتب ما يكتب، ثم يقول: ارفعيه. فقلت لأبي محمد: ما أراد برد المصباح؟ قال: الظلمة أجلى للقلب. [تهذيب الجلية (٣/١٢٤)]

* وقال مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩): كان الرجل يختلف إلى الرجل ثلاثين سنة يتعلم منه . [تهذيب الجلية (٢/٣٥٤)]

* وعن محمد بن يوسف قال: كنت عند محمد بن إسماعيل البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٥٦) في منزله ذات ليلة، فأحصيت أنه قد قام وأسرج يستذكر أشياء يُعَلِّقُهَا فِي لَيْلَةٍ ثَمَانِي عَشْرَةَ مَرَّةً . [المستظم (١٢/١١٥)]

* وقال قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١١٨): يَا بَنَ آدَمَ، إِنْ كُنْتَ لَا تُرِيدُ أَنْ تَأْتِيَ الْخَيْرَ إِلَّا عَنْ نَشَاطٍ فَإِنَّ نَفْسَكَ مَائِلَةٌ إِلَى السَّامَةِ وَالْفُتُورِ وَالْمَلَلِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ هُوَ الْمُتَحَامِلُ، وَالْمُؤْمِنُ هُوَ الْمُتَقَوِّي . [الجلية (٢/٣٣٥)]

* وقيل للعتابي كلثوم بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٨): فلان بعيد الهمة قال: إذن لا يكون له غاية دون الجنة . [عيون الأخبار (١/٢٦٧)]

* وقال بعضهم:

والنفسُ راغبةٌ إذا رَغَبَتْهَا وإذا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

[عيون الأخبار (٢/٥٨٨)]

* وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢٧): كنا بمصرَ سبعة أشهر، لم نأكل فيها مرقة، كُلُّ نَهَارِنَا مَقْسَمٌ لِمَجَالِسِ الشُّيُوخِ، وَبِاللَّيْلِ: النَّسْخُ وَالْمَقَابِلَةُ، قَالَ: فَآتَيْنَا يَوْمًا أَنَا وَرَفِيقٌ لِي شَيْخًا، فَقَالُوا: هُوَ عَلِيلٌ، فَرَأَيْنَا فِي طَرِيقِنَا سَمَكَةً أَعْجَبْتُنَا، فَاشْتَرَيْنَاهَا، فَلَمَّا صَرْنَا إِلَى الْبَيْتِ، حَضَرَ وَقْتُ مَجْلِسِ بَعْضِ الشُّيُوخِ، فَلَمْ يُمَكِّنَّا إِصْلَاحَهُ، وَمَضَيْنَا إِلَى الْمَجْلِسِ، فَلَمْ نَزَلْ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، لَمْ يَكُنْ لَنَا فِرَاحٌ أَنْ نُعْطِيَهُ مِنْ يَشْوِيهِ .

ثم قال: لَا يَسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجَسَدِ . [تهذيب السير (٣/١٠٧٩)]

* وقال أبو جعفر الطبري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣١٠) لأصحابه: هل تَنَشُّطُونَ لِتَارِيخِ الْعَالَمِ مِنْ آدَمَ إِلَى وَقْتِنَا؟ قَالُوا: كَمْ قَدْرُهُ؟ فَذَكَرْنَا نَحْوَ

ثلاثين ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تبنى الأعمار قبل تمامه! فقال: **إنا لله! ماتت الهمم.** فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة ولما أن أراد أن يملّي التفسير قال لهم نحواً من ذلك، ثم أملاه على نحو من قدر التاريخ. [تهذيب السّير (٣/١١٥١)]، [طبقات الشافعيين (١/٢١٠)]

* وقال ابن حبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٥٤) في أثناء كتاب « الأنواع »: **لعلنا قد كتبنا عن أكثر من ألفي شيخ.**

قال الذهبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كذا فلتكن الهمم، هذا مع ما كان عليه من الفقه والعربية، والفضائل الباهرة، وكثرة التصانيف. [تهذيب السّير (٣/١٢٦٩)]

* وقال أبو حاتم الرازي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٧٧) لابنه عبد الرحمن: **أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ، لم أزل أحصي حتى لما زاد على ألف فرسخ تركته.** [الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/٣٥٩)]

• وكان أبو يعلى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٤٥٨): يقسم ليله كله أقساماً، فقسم للمنام، وقسم للقيام، وقسم لتصنيف الحلال والحرام.

[طبقات الحنابلة (٣/٣٨٠)]

• ولزم العلامة النووي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٦٧٦) المشايخ تصحيحاً وشرحاً، فكان يقرأ في كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ.

وقد كان من الزهادة والعبادة والورع والتحري والانجماع عن الناس على جانب كبير لا يقدر عليه أحد من الفقهاء غيره، وكان يصوم الدهر، ولا يجمع بين إدامين، وكان غالب قوته مما يحمله إليه أبوه من نوى، وكان لا يضيع شيئاً من أوقاته، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للملوك وغيرهم. [البداية والنهاية (١٧/٥٤٠)]

ذم الكسل

* قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): «إني لأبغض الرجل أن أراه فارغاً، ليس في شيء من عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة».

[مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٥٦٢)]

* وقال محمد بن علي رضي الله عنه (ت: ١١٨) لابنه: يا بني، إياك والكسل والضحجر، فإنهما مفتاح كل شر، إنك إن كسلت لم تؤد حقاً، وإن ضجرت لم تصبر على حق.

[تهذيب الحلية (١/٥٠٧)]

* ومما قيل:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وتتعب فيما سوف تكره غيبه
وليئك نوم والردى لك لازم كذلك في الدنيا تعيش البهائم

[العمدة في محاسن الشعر (١/٣٧)]

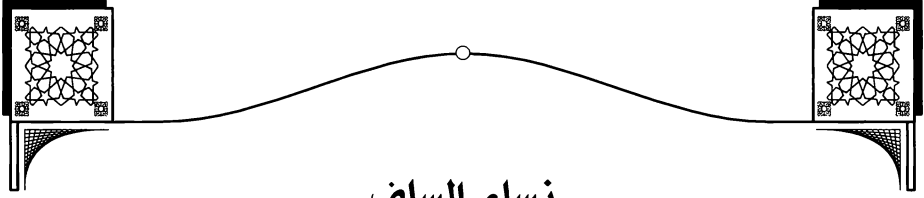
* ومرّ شريح رضي الله عنه (ت: ٨٠) بقوم وهم يلعبون، فقال: ما لكم؟ قالوا: فرغنا يا أبا أمامة اليوم، قال: ما بهذا أمر الفارغ.

[الزهد لوكيع (٣٦٨)]

* وقال يحيى بن أبي كثير رضي الله عنه (ت: ١٢٩): لا يُستطاع العلم

براحة الجسد. [صحيح مسلم (٦١٢)]





نساء السلف

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرض ابنُ لأبي طلحة من أم سليم رضي الله عنها (ت: ٤٠)، قال: فمات الصبي في المخدع فسجته، ثم قامت فهيأت لأبي طلحة إفطاره كما كانت تهيء له كل ليلة، فدخل أبو طلحة وقال لها: كيف الصبي؟ قالت: بأحسن حال، فحمد الله ثم قامت فقربت إلى أبي طلحة إفطاره، ثم قامت إلى ما تقوم إليه النساء فأصاب أبو طلحة من أهله، فلما كان السحر قالت: يا أبا طلحة ألم تر آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها، فلما طلبت منهم شق عليهم، قال: ما أنصفوا قالت: فإن ابنك كان عارية من الله ﷻ وإن الله تعالى قد قبضه، فحمد الله واسترجع ثم غداً على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا طلحة بارك الله لكما في ليلتكما»، فحملت بعبد الله بن أبي طلحة.

[مسند الإمام أحمد (١٢٠٢٨)، وصحح إسناده محققوه]

* وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: مرّ رسول الله ﷺ بامرأةٍ من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نُعوا لها قالت: فما فعل رسول الله؟ قالوا: خيراً يا أمّ فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرؤنيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رآته قالت: كلُّ مصيبة بعدك جليل! ^(١). [تاريخ الطبري (٥٣٣/٢)]

(١) أي: هيّن، ويكون في غير ذا بمعنى عظيم. «السَّير» (١/٤٢٤).

* وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنه: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى! قال: هذه المرأة السوداء أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت أن يعافيك» قالت: أصبر ولكن ادع الله أن لا أتكشف. فدعا لها. [صحيح البخاري (٥٣٢٨)]

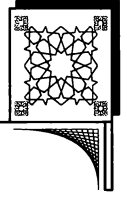
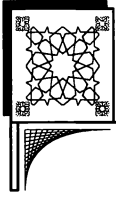
* وعن إبراهيم بن عقبة قال: سمعت أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنها تقول لنسائها في الليل: أحلّلن عقد الشيطان، ليس هذا ساعة نوم. [ابن أبي الدنيا (١/٣١٠)]

* وعن ثابت البناني: أن صلة بن أشيم كان في مغزى له، ومعه ابن له فقال: أي بني تقدّم فقاتل حتى أحسّسبك، فحمل فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه، ثم تقدّم فقتل، فاجتمعت النساء عند امرأته مُعَاذَةَ الْعَدَوِيَّةَ رحمها الله (ت: ٨٣)، فقالت: مرحباً، إن كنتن جئتن لتتهنئني فمرحباً بكم، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن. [صفة الصفوة (٢/١٥٣)]

* وعن جويرية بنت أسماء رحمها الله (ت: ٥٦) قالت: أن إخوة ثلاثة من بني قطيعة شهدوا يوم تُسْتَر، فاستشهدوا، فخرجت أمهم يوماً إلى السوق لبعض شأنها، فتلقاها رجل قد حَضَرَ أمر تُسْتَر فعرفته فسألته عن بنيتها، فقال: استشهدوا، فقالت: أمّقبلين أم مُدبرين؟ فقال: مُقبلين. فقالت: الحمد لله نالوا الفوز وحاطوا الذمار، بنفسي هم وأبي وأمي.

* وعن السري بن بكير رضي الله عنه قال: أدركت عواتق الحي يقمن بالليل.

[ابن أبي الدنيا (١/٣١٩)]



أطفال السلف

* عن ابن عباس رضي الله عنه (ت: ٦٨) قال: كان عمر رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم، ودعاني معهم، وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليربهم مني. فقال: ما تقولون: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله تعالى ونستغفره، إذا جاء نصر الله وفتح علينا. وقال بعضهم: لا ندرى؟ ولم يقل بعضهم شيئاً. فقال لي: يا ابن عباس كذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة، فذاك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم. [صحيح البخاري (٤٠٤٣)]

* وقال أسلم: بينا أنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يعُصّ المدينة إذ عيبي فاتكأ إلى جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنتها: يا ابنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامدقيه بالماء، فقالت لها: يا أماه أو ما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عزمته يا بنية؟ قالت: إنه أمر مناديه فنأدى: أن لا يُشَابَ اللبن بالماء. فقالت لها: يا بنية قومي إلى ذلك اللبن فامدقيه بالماء، فإنك بموضع لا يراكِ عُمر ولا مُنادي عمر، فقالت الصبية لأُمها: يا أماه والله ما كنت لأطيعه في الملاء وأعصيه في الخلاء.

* ومرَّ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه بالصبيان وفيهم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه (ت: ٧٣)، ففرَّوا ووقف، فقال له عمر: ما لك لم تفرَّ مع أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لم أجرم فأخافك، ولم يكن بالطريق ضيقٌ فأوسع لك. [عيون الأخبار (٢/٥٩٥)]

* وقدم وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من العراق، فنظر إلى شاب منهم يتحوّز يريد الكلام، فقال عمر: كبروا، فقال الفتى: يا أمير المؤمنين إن الأمر ليس بالسن، ولو كان كذلك كان في المسلمين من هو أسنّ منك، قال: صدقت فتكلّم. [عيون الأخبار (١/٢٦٤)]



الجهاد والتضحية في سبيل الله

* كان النبي ﷺ يصلي يوماً في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه (ت: ١٣) حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ، قال: ﴿أَنفَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]. [صحيح البخاري (٣٨٥٦)]

* ووجه عمر رضي الله عنه جيشاً إلى الروم، فأسروا عبد الله بن حذافة رضي الله عنه (ت: ٣٣)، فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد، فقال: هل لك أن تتنصر وأعطيك نصف ملكي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ملك العرب، ما رجعت عن دين محمد طرفة عين، قال: إذا أقتلك، قال: أنت وذاك، فأمر به فُصِّلَ، وقال للرَّمَّة: ارموه قريباً من بدنه، وهو يعرضُ عليه، ويأبى، فأنزله، ودعا بقدر، فصب فيها ماء حتى احترقت، ودعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما، فألقي فيها، وهو يعرضُ عليه النصرانية، وهو يأبى، ثم بكى، فقيل للملك: إنه بكى، فظنَّ أنه قد جزع، فقال: رُدُّوه، ما أبكاك؟ قال: قلت: هي نفس واحدة تُلقى الساعة فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفُسُ تُلقى في النار في الله، فقال له الطاغية: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟ فقال له عبد الله: وعن جميع الأسارى؟ قال: نعم، فقبَّلَ رأسه، وقدم بالأسارى على عمر، فأخبره خبره، فقال عمر: حقُّ على كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافة، وأنا أبدأ، فقبَّلَ رأسه. [تهذيب السير (٢١١/١)]

* وعن ابن عمر قال: فقدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه (ت: ٨) يوم مؤتة فطلبناه في القتلى، فوجدنا به بين طعنة ورمية بضعا وتسعين، ووجدنا ذلك فيما أقبل من جسده.

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة».

قال عبد الله: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه (ت: ٨)، فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية. [صحيح البخاري (١٤٣/٥)]

* وقال خالد بن الوليد رضي الله عنه (ت: ١٨): ما من ليلة يُهدى إليَّ فيها عروسٌ أنا لها مُحبٌّ أحبُّ إليَّ من ليلة شديدة البرد، كثيرة الجليد في سريةٍ أصبح فيها العدو.

* وقال رضي الله عنه: «لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية».

* وعن أنس أن أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه (ت: ٣٤) قرأ سورة براءة فلما أتى على هذه الآية: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] قال: أرى ربنا ﷻ يستنفرنا شيوخاً وشباناً جهزوني أي بني، فقال بنوه: يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ومع أبي بكر حتى مات ومع عمر رضي الله عنه فنحن نغزو عنك، فأبى فجهزوه فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفونوه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير دفنوه فيها.

* ونظر يونس بن عُبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٩) عند موته إلى قدميه فبكى، ف قيل له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت أنهما لم تغبرا في سبيل الله!.
[ابن أبي الدنيا (٣٥٨/٥)]



الدعوة إلى الله

* عن أنس رضي الله عنه أن أبا طلحة خطب أم سليم رضي الله عنها (ت: ٤٠)، فقالت: يا أبا طلحة ألسنت تعلم أن إلهك الذي تعبده خشبة نبتت من الأرض نَجَرَهَا حبشيُّ بني فلان؟ إن أنت أسلمت لم أُرِدْ منك من الصداق غيره.
قال: حتى أنظر في أمري، فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قالت: يا أنس زوج أبا طلحة.

[السنن الكبرى للنسائي (٥/١٧٩)]، [المستدرک للحاكم (٢/١٩٥)] وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

* وعن الحسن البصري رضي الله عنه (ت: ١١٠): أئنه كان إذا تلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٣٣] ﴿فُصِّلَتْ: ٣٣﴾ قَالَ:

هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته وقال: إنني من المسلمين لربه، هذا خليفة الله.

وكان إذا تلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [الأحقاف: ١٣]

قال: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة. [الزهد لابن المبارك (١١٢٠)]

* وقال رضي الله عنه: من أفاد أخاً في الله رفعه بها درجة.

[الزهد لوكيع (٣٣٠)]

* ولَمَّا عاد الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٨٩) من الهند شرع في القراءة على شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم آل شيخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فسمع في مجالس شيخه الجهل المطبق، والظلام الدامس في جنوب المملكة العربية السعودية، قال عن نفسه: «فاستخرت الله تعالى، واستشرت شيخي بالتوجه إلى تلك المنطقة، فاستحسن ذلك وأوصاني بتقوى الله، ودعا لي وودَّعته، وحجبت ذلك العام، وتوجَّهت إلى صامطة».

فتوجَّه الشيخ عبد الله إلى تلك البلدان الغارقة في الجهل. وبفضل الله تعالى ورعايته، ثمَّ عناية حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وتوجيه وإرشاد صاحب السماحة محمد بن إبراهيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ونية صادقة من الشيخ عبد الله القرعاوي وإخلاص، فقد قام بدعوة إسلامية سلفية صحيحة في تلك الأمة الجاهلة، وفتح فيها المدارس، وأنشأ لديهم المجالس العلميَّة، بتوصية من الملك عبد العزيز، وبثَّ فيهم العقيدة السلفية.

وهكذا فتح عام (١٣٦٠) خمسين مدرسة، وفي عام (١٣٦١) بلغت مائتي مدرسة، وفي عام (١٣٦٣) بلغت ثلاث مائة مدرسة، وفي عام (١٣٧٣) بلغت سبع مائة مدرسة، ثم إلى ألف وخمسة مائة مدرسة، وهو جادٌّ في الإشراف والعمل التعليمي والإرشاد التوجيهي، هو ونخبة من أعيان الخريجين.

وزادت عدد المدارس حتى بلغت ألفين ومائتي مدرسة، يتعلَّم فيها خمس مائة وسبعون ألف طالب، منهم عشرة آلاف طالبة، ويقوم على تعليمهم ثلاثة آلاف معلم ومعلمة.

ووالله إنني لا أعلم عملاً صالحاً يتقرب به الإنسان إلى ربه أولى من

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أ- أهمية وفضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعاقبة من تركه :

* قرأ أبو بكر رضي الله عنه (ت: ١٣) هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، ثم قال: إن الناس يضعون هذه الآية على غير موضعها، ألا وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن القوم إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، والمنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقابه».

[سنن أبي داود (٤٣٣٨)] و[الترمذي (٢١٦٨)]، وصححه الترمذي والألباني]

* وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (ت: ٣٦): إن الرجل ليدخل المدخل الذي يجب عليه أن يتكلم فيه لله، فلا يتكلم، فلا يعود قلبه إلى ما كان أبداً.

* وقال رضي الله عنه: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقاً، وإني لأسمعها من أحدكم اليوم في المقعد الواحد أربع مرات، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتَحَاضُنَّ^(١) على الخير، أو لِيُسْحِتَنَّكُمْ^(٢) الله جميعاً بعذاب، أو ليؤمرن عليكم شراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم.

[مسند الإمام أحمد (٢٣٣١٢)، وحسنه محققوه]

(١) الحض: الحث والتشجيع على فعل الخير.

(٢) يسحت: يهلك.

* وقال أبو الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢): ما تصدق مؤمن بصدقة أحب إلى الله وَعَجَّلَ من موعظة يعظ بها قومه، فيفترقون قد نفعهم الله وَعَجَّلَ بها.

[صفة الصفة (١/٣٠١)]

* وقال الفضيل رضي الله عنه (ت: ١٨٧): لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة.

[تهذيب الجلية (٣/٢٠)]

* وعن الضحاک رضي الله عنه (ت: ١٠٥) قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الله تبارك وتعالى.

[ابن أبي الدنيا (٢/٢١)]

* وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (ت: ١٠١) قال: كان يُقال: إن الله لا يعذبُ العامة بذنوب الخاصة، ولكن إذا عمل المنكر جهاراً استحقوا العقوبة كلهم.

[الزهد لابن المبارك (١٠٦٢)]، [ابن أبي الدنيا (٢/٣١٢)]

ب - آداب ونصائح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

* مرّ أبو الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢) على رجل قد أصاب ذنباً، فكانوا يسبّونه، فقال: أرايتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى، قال: فلا تسبوا أحاكم، واحمدوا الله وَعَجَّلَ الذي عافاكم.

قالوا: أفلا تبغضه؟

قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي. [الزهد لأبي داود (٢٣٢)]

* وقال سعيد بن جبیر رضي الله عنه: قلت لابن عباس رضي الله عنه (ت: ٦٨): أمر السلطان بالمعروف وأنهاه عن المنكر؟ قال: إن خفت أن يقتلك فلا، قال: ثم عدت، فقال لي مثل ذلك، ثم عدت، فقال لي مثل ذلك،

وقال: إن كنت لا بدّ فاعلاً ففيما بينك وبينه.

[ابن أبي الدنيا (٢/٢١٥)، [جامع العلوم والحكم (١٠٨/١)]

* وقال طاووس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أتى رجل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: ألا أقوم إلى هذا السلطان فأمره وأنهاه؟ قال: لا تكن له فتنة، قال: أفرأيت إن أمرني بمعصية الله عَزَّ وَجَلَّ؟ قال: ذلك الذي تريد، فكن حينئذٍ رجلاً.

[ابن أبي الدنيا (٢/٢١٩)، [جامع العلوم والحكم (١٠٨/١)]

* وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧): المؤمن يستر ويعظ وينصح، والفاجر يهتك ويعير ويفشي.

[تهذيب الحلية (٣/١٤)]

* وقال بشر بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٢٧): لا ينبغي أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، إلا من يصبر على الأذى.

[تهذيب الحلية (٣/٩٠)]

* ومَرَّ طلحة بن مصرف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٢٠) على حجر بن وائل، وهو جالس على باب داره، فأصغى إليه، ثم مضى، فقال حجر: جزاك الله خيراً ودعا له، ثم قال: أتدرون ما قال؟ قال: رأيتك في الجمعة تلتفت، لا تفعل.

[ابن أبي الدنيا (٢/٢١٠)]

• وقيل للإمام مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩): إن من الناس من إن أمرتهم يطيعونني، ومنهم من إن أمرتهم أتأذى منهم، فكيف أصنع؟ فقال: إن خفت وطمّنت أنهم لا يطيعونك فدع، وأنكر بقلبك، ولك في ذلك سعة.

ومن لم تخش منه فأمره وانهم، وخاصة إذا أردت به الله تبارك وتعالى، فإذا كنت كذلك لم تر إلا خيراً، وبخاصة إذا كان فيك شيءٌ من لين.

ألا ترى قول الله تعالى لموسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾
[طه: ٤٤] الآية .

فإذا قسوتَ في أمرِكَ لم يُقبل منك، وتعرّضتَ لِمَا تكرهه، وخرجت
من جملة أهل القرآن .
[ترتيب المدارك (١/ ١٨٠)]

• وعن أبي عبد الله بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلتُ على سفيان
الثوري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤١) بالبصرة، فقلت: يا أبا عبد الله، إني أكون مع
هؤلاء المحتسبة فندخل على هؤلاء الخيشين^(١)، ونسلق على الحيطان؟
قال: أليس لهم أبواب؟ قلت: بلى، ولكن ندخل عليهم لكيلا
يفرّوا، فأنكر ذلك إنكاراً شديداً، وعابَ فعالنا .

ثم قال: لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه
خصال ثلاث: رفيقٌ بما يأمر رفيقٌ بما ينهى، عدلٌ بما يأمر عدلٌ بما
ينهى، عالمٌ بما يأمر عالمٌ بما ينهى .

[الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال (٢٤)]

• وسُئِلَ الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١) الناس يحتاجون إلى
مدارة، ورفق في الأمر بالمعروف، بلا غلظة، إلا رجلاً معلناً بالفسق
فإنه لا حرمة له .
[الجامع المنتخب (٦٨)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يتعرّض إلى السلطان؛ فإن سيفه مسلول .

[جامع العلوم والحكم (٤٢٧)]

• وقال أبو العباس: صلى بأبي عبد الله الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوماً
جوين، فكان إذا سجد جمع ثوبه بيده اليسرى، وكنت بجنبه، فلما صلينا

(١) يعني: أصحاب المعاصي والفسق والمجون .

قال لي - وقد خفض من صوته - : قال النبي ﷺ: «إذا قام أحدكم في الصلاة فلا يكف شعراً ولا ثوباً»، فلما قمنا قال لي جوين: أي شيء كان يقول لك؟ قلت: قال لي: كذا وكذا، وما أحسب المعنى إلا لك.

[الآداب الشرعية (١/١٥٠)]

* وقال الوزير ابن هبيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٥٦٠) لبعض من يأمر بالمعروف: اجتهد أن تستر العصاة؛ فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام، وأولى الأمور ستر العيوب.

[ذيل الطبقات (٢/١٥٧)]

ج - وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كان مقصراً:

* قال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٠١): لو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يحكم أمر نفسه، ويكمل الذي خلق له من عبادة ربه: إذن لتواكل الناس الخير، وإذن لرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقل الواعظون والساعون لله وَجَّعَ بالنصيحة في الأرض.

[ابن أبي الدنيا (٢/٢٢٢)]

د - وجوب الأمر بالمعروف وإن لم يعمل بكل ما يقول:

* عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إني لآمركم بالأمر وما أفعله، ولكن لعل الله يأجرني فيه.

[تهذيب السَّير (١/٢٧١)]

* وقال مالك بن دينار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣١): إني آمركم بأشياء لا يبلغها عملي، ولكنني إذا نهيتكم عن شيء ثم خالفتكم إليه فأنا يومئذ كذاب.

[تهذيب الحلية (٤٢٨)]

هـ - قصص ووقائع:

* عن عمرو بن مهاجر قال: قال لي عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(ت: ١٠١): إذا رأيتني قد ملتُ عن الحق، فضع يدك في تلبابي، ثم هزني، ثم قل: يا عمر ما تصنع؟. [صفة الصفة (٢/٤٦٧)]

* وقال شجاع بن الوليد: كنت أحجُّ مع سُفيان الثوري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٦١)، فما يكادُ لسانه يُفتَرُّ من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ذاهباً وراجعاً. [تهذيب السير (٢/٦٩٦)]

* وكان صلة بن أشيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٧٠) يخرج إلى الجبانة فيتعبد فيها، فكان يمر على شباب يلهون ويلعبون فيقول لهم: أخبروني عن قوم أرادوا سفرأ فحادوا النهار عن الطريق وناموا بالليل متى يقطعون سفرهم؟ فكان كذلك يمر بهم ويعظهم، فمر بهم ذات يوم فقال لهم هذه المقالة، فانتبه شاب منهم فقال: يا قوم إنه لا يعني بهذا غيرنا، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام، ثم أتبع صلة فلم يزل يختلف معه إلى الجبانة فيتعبد معه حتى مات.

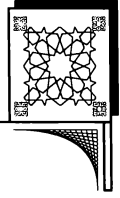
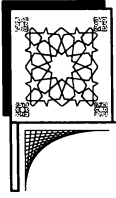
[الزهد لابن المبارك (٨٩٥)]، [تهذيب الحلية (١/٣٧٥) واللفظ له]

* وعن موسى بن إبراهيم قال: حضرت معروفاً الكرخي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢١٠) وعنده رجل يذكر رجلاً وجعل يفتابه، وجعل معروف يقول له: اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك. [تهذيب الحلية (٣/١٠٣)]

* ومراً محمد بن المنكدر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٠) بشاب يقاوم امرأة، فقال: يا بني، ما هذا جزاء نعمة الله وَعَلَيْكَ عَلَيْكَ!

[ابن أبي الدنيا (١/٤٩١)]

• وكان ابن جرير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣١٠) ممن لا تأخذه في الله لومة لائم، مع عظيم ما يلحقه من الأذى، والشناعات، من جاهل، وحاسد، ومُلحد. [طبقات الشافعيين (١/٢٠٩)]



عبادة السلف

أ - الحث على العبادة والخشوع، وأقوالهم في ذلك :

* قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت : ٣٢) : ما دمت في صلاة فأنت تفرح باب الملك، ومن يفرح باب الملك يفتح له .

[مصنف عبد الرزاق (٤٧٣٥)]

* وصلىّ عمار بن ياسر رضي الله عنه (ت : ٣٧) ركعتين، فقيل له : يا أبا اليقظان، لا أراك إلا قد خففتها! قال : هل نقصت من حدودها شيئاً؟ قال : لا، ولكن خففتها، قال : إني بادرت بهما السهو .

[مسند أحمد (١٨٨٧٩) وصححه محققوه]

* وسمع عامر بن عبد قيس رضي الله عنه (ت : ٨٠) ما يذكرونه من أمر الضيعة في الصلاة، قال : أتجدونه؟ قالوا : نعم! قال : والله لأن تختلف الأسنه في جوفي أحب إليّ من أن يكون هذا مني في صلاتي .

[تهذيب الحلية (٣٠٣/١)]

* وقال مجاهد رضي الله عنه (ت : ١٠٤) في قوله تعالى : ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح : ٢٩] : ليس بهذا الأثر الذي في الوجه، ولكنه الخشوع .

[الزهد لوكيع (٣٢٧)]

* وقيل لأبي مسلم الخولاني رضي الله عنه (ت : ٦٢) حين كبر ورقاً : لو قصرت عن بعض ما تصنع، فقال : أرايتم لو أرسلتم الخيل في الحلبة

ألستم تقولون لفارسها: دُعها وارْفُق بها، حتى إذا رأيتم الغاية لم تَسْتَبْقُوا منها شيئاً؟ قالوا: بلى، قال: فَإِنِّي قد أبصرت الغاية، وإنَّ لكل ساعةٍ غايةً، وغايةُ كلِّ ساعةٍ الموتُ، فسابقٌ ومسبقٌ. [صفة الصفة (٤/٤٢٧)]

ب - الصلاة وأهميتها وفضلها، وحالهم فيها:

* قال عمر رضي الله عنه (ت: ٢٣): إذا رأيتم الرجل يضيع الصلاة، فهو والله لغيرها من حق الله أشد تضييعاً. [ابن أبي الدنيا (١/٣٤٠)]

* ودخل عليه المسور بن مخرمة وابن عباس رضي الله عنهما، فلما أصبح أفزعوه، فقالوا: الصلاة، الصلاة، فقال: نعم، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، فخرج والجرح يثعب دماً. [موطأ الإمام مالك (١٠١)]

* وتزوج رجل امرأة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه (ت: ٨) فقال لها: تدرين لم تزوجتك؟ لتخبريني عن صنيع عبد الله بن رواحة في بيته، قالت: كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين، وإذا دخل بيته صلى ركعتين، لا يدع ذلك أبداً^(١). [السيرة (٢/٩١)]

* وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): من سره أن يلقي الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهنَّ؛ فإن الله شرع لنبِيِّكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد^(٢) إلى مسجد من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة،

(١) صحح سنده الحافظ ابن حجر رحمته الله في «الإصابة» (٦/٧٨ - ٧٩).

(٢) أي: يمسه رجلان من جانيه بعضديه يعتمد عليهما.

ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين^(١) حتى يقام في الصف».

[صحيح مسلم (٦٥٤)]

* وقال رضي الله عنه: المصلي يقرع بابه، ومن يدم قرع باب الملك يوشك أن يفتح له.

[الزهد لأبي داود (١٤٧)]

* وقال عمرو بن دينار: رأيت عبد الله بن الزبير رضي الله عنه (ت: ٧٣) يصلي في الحجر خافضاً بصره، فجاءه حجر قدّامه فذهب ببعض ثوبه فما انفتل.

[الزهد لأبي داود (ص ٣٢٤)]

* وقال محمد بن المنكدر: لو رأيت عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يصلي تحت ظل شجرة كأنه غصن من أغصانها، ويجيئه المنجنيق من هاهنا، فما يلتفت إليه.

[الزهد لأبي داود (ص ٣٢٤)]

* وقال إبراهيم النخعي (ت: ٩٦) ووكيع بن الجراح (ت ١٩٧) رحمهما الله: إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبير الأولى فاغسل يدك منه.

[صفة الصفوة (٦٠/٣)]، [تهذيب الجلية (١٠٧/٣)]

• وعن أبي العالية رضي الله عنه (ت: ٩٣) قال: كنا نأتي الرجل لناخذ عنه، فننظر إذا صلى، فإن أحسنها جلسنا إليه، وقلنا: هو غيرها أحسن، وإن أساءها قمنا عنه، وقلنا: هو غيرها أسوأ.

[مسند الدارمي (٤٣٧)]

* وقيل لعامر بن عبد قيس رضي الله عنه (ت: ٨٠): أتحدث نفسك في الصلاة؟ قال: أحدثها بالوقوف بين يدي الله، ومنصرفي.

[تهذيب السيرة (١/٤٣٣)]

* وعن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: يابن آدم وماذا يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك؟
[ابن أبي الدنيا (١/٣٤١)]

* وكان سعيدُ بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧٦) إذا فاتته صلاة الجماعة بكى.
[تهذيب السير (٢/٧٢٣)]

* وقال بكر بن عبد الله المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٦): مَنْ مثلك يابن آدم؟ خَلِي بينك وبين المحراب والماء؟ كلما شئت دخلت على الله وَعَبَدَكَ ليس بينك وبينه ترجمان.
[صفة الصفوة (٣/١٧٦)]

* وعن أبي عبد الرحمن السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٤) أنه كان يأمرهم أن يحملوه في الطين والمطر إلى المسجد وهو مريض.

ودخلوا عليه وهو يقضي - أي: ينزع - في المسجد، فقالوا له: لو تحولت إلى الفراش فإنه أوثر؟ قال: حدثني فلان أن النبي ﷺ قال: «لا يزال أحدكم في صلاة ما دام في مصلاه ينتظر الصلاة».

[الزهد لابن المبارك (٤٠٠ - ٤٠١)]

* وقال وكيع: كان الأعمش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٨) قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، واختلفت إليه قريباً من سنتين فما رأته يقضي ركعة.
[المنتظم (٨/١١٣)]

* وعن سعيد بن المسيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٤) قال: ما فاتتني الصلاة في جماعة منذ أربعين سنة.
[تهذيب السير (١/٤٨٢)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد.
[تهذيب السير (١/٤٨٢)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة.
[تهذيب الحلية (١/٣٤٣)]

* وكان بعض السلف إذا صلى كأنه يخاطب رجلاً من إقباله على صلاته .
[مصنف ابن أبي شيبة (٧/٢٠٥)]

* وكان الإمام مالك بن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩) يطيل الركوع والسجود في ورده، وإذا وقف في الصلاة كأنه خشبة يابسة لا يتحرك منه شيء .
[ترتيب المدارك (١/١٧٠)]

• وقال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١): اعلم أن حظك من الإسلام وقدر الإسلام عندك بقدر حظك من الصلاة وقدرها عندك، واحذر أن تلقى الله وَعَلَيْكَ ولا قدر للإسلام عندك؛ فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك .
[طبقات الحنابلة (٢/٤٤٥)]

* وقال البزار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٧٢٨):
أما تعبده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فإنه قل أن سُمِعَ بمثله؛ لأنه كان قد قطع جل وقته وزمانه فيه، حتى إنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله - تعالى - ما يراد له، لا من أهل ولا من مال .

وكان في ليله متفرداً عن الناس كلهم، خالياً بربه وَعَلَيْكَ ضارعاً، مواظباً على تلاوة القرآن العظيم، مكرراً لأنواع التعبيدات الليلية والنهارية، وكان إذا ذهب الليل وحضر مع الناس بدأ بصلاة الفجر، يأتي بسُنَّتِها قبل إتيانه إليهم، وكان إذا أحرم بالصلاة تكاد تتخلع القلوب لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام، فإذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يميله يمنة ويسرة، وكان إذا قرأ يمد قراءته مدّاً كما صح في قراءة رسول الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان ركوعه وسجوده وانتصابه عنهما من أكمل ما ورد في صلاة الفرض .

فإذا فرغ من الصلوة أثنى على الله وَعَلَيْكَ هوَ ومن حضر بما ورد .
ثم يدعُو الله تعالى له ولهم وللمسلمين .

وَكَانَ غَالِبَ دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ انصُرْنَا وَلَا تَنْصُرْ عَلَيْنَا، وامكر لنا وَلَا تَمْكُرْ عَلَيْنَا، واهدنا وَيَسِّرْ الْهُدَى لَنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لَكَ شَاكِرِينَ، لَكَ ذَاكِرِينَ، لَكَ أَوَْاهِينَ، لَكَ مَخْبِتِينَ، إِلَيْكَ رَاغِبِينَ، إِلَيْكَ رَاهِبِينَ، لَكَ مَطَاوِيعَ، رَبَّنَا تَقْبَلْ تَوْبَاتَنَا، وَاغْسِلْ حَوْبَاتَنَا، وَثَبِّتْ حَجَجَنَا، وَاهْدِ قُلُوبَنَا، وَاَسْلِلْ سَخِيمَةَ صُدُورِنَا.

يفتتحه ويختتمه بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَشْرَعُ فِي الذِّكْرِ.

وَكَانَ قَدْ عَرَفَتْ عَادَتَهُ لَا يَكْلِمُهُ أَحَدٌ بَعْدَ ضُرُورَةٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَلَا يَزَالُ فِي الذِّكْرِ يُسْمِعُ نَفْسَهُ، وَرُبَّمَا يَسْمَعُ ذِكْرَهُ مِنْ إِلَى جَانِبِهِ، مَعَ كَوْنِهِ فِي خِلَالِ ذَلِكَ يَكْثُرُ مِنْ تَقْلِيلِ بَصَرِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، هَكَذَا دَأْبُهُ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ وَيَزُولُ وَقْتُ النَّهْيِ عَنِ الصَّلَاةِ.

وَكَانَتْ أَسْمَعُ مَا يَتْلُو وَمَا يَذْكَرُ، فَرَأَيْتَهُ يَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ وَيَكْررها، وَيَقْطَعُ ذَلِكَ الْوَقْتَ كُلَّهُ، أَعْنِي مِنَ الْفَجْرِ إِلَى ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ فِي تَكْرِيرِ تِلَاوَتِهَا. [الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (٣٦ - ٣٨)]

• وكان الشيخ عبد الله بن جار الله آل جار الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤١٤)

يُبَكِّرُ لِلصَّلَاةِ وَيُطِيلُ الْجُلُوسَ فِي الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَصُومُ مَعَ مَا بِهِ مِنْ أَمْرَاضٍ، وَيُصِرُّ عَلَى الصُّومِ حَتَّى إِنَّهُ يَتَعَبُ كَثِيرًا مِنَ الصُّومِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ.

أما قيام الليل فهو من الأمور التي اتصف بها الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع ما كان به من مرض، يقول ابنه محمد: «لقد اعتاد الوالد أن يقوم كل ليلة مبكراً لكي يُوتر في الثلث الأخير». [علماء نجد (٤/٤٧)]

ج - فضل قيام الليل وقصص المتهجدين :

* كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣) يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله، يقول لهم: الصلاة، الصلاة، ويتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [١٣٢]. [الزهدي لأبي داود (٩٤)]

* وقال رضي الله عنه: الشتاء غنيمة العابدين. [مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٤٦٨)]

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه (ت: ٧٣)، أنه كان إذا دخل الشتاء قال: يا أهل القرآن طال الليل لصلاتكم، وقصر النهار لصيامكم، فاغتنموا. [ابن أبي الدنيا (٣٢٣/١)]

* وقال رضي الله عنه: كان الرجل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى رؤيا قصّها على النبي صلى الله عليه وسلم قال: وكنت غلاماً عزباً، فكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار فإذا هي مطوية كطي البئر وإذا لها قرنان، وأرى فيها ناساً قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار. فلقيهما ملك آخر فقال لي: لن تُرْعَ، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل»، قال سالم: فكان عبد الله بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً.

[صحيح البخاري (١١٠٥)]

* وكان رضي الله عنه يحيي الليل صلاةً، ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فأقول: لا، فيعاود الصلاة، ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فأقول: نعم، فيقعد، ويستغفر، ويدعو حتى يصبح. [المعجم الكبير للطبراني (١٣٠٤٣)]

* وعن أسيد بن حضير رضي الله عنه (ت: ٢٠) أنه بينما هو ليلاً يقرأ إذ

جَالَتْ فَرَسُهُ، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضاً، قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَّأَ يَحْيَى، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظِّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجْتُ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، فَعَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي، إِذْ جَالَتْ فَرَسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟»، قُلْتُ: لَا، قَالَ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ».

[صحيح البخاري (٥٠١٨)، [صحيح مسلم (٧٩٦)]

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢) قال: فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية.

[مصنف عبد الرزاق (٤٧٣٥)]

* وعن أبي عثمان النهدي قال: تضيّفت أبا هريرة رضي الله عنه (ت: ٥٩) سبعاً، فكان هو وامراته وخادمه يتعقبون الليل أثلاثاً، يصلي هذا، ثم يوقظ هذا، ويصلي هذا، ثم يوقظ هذا.

[صحيح البخاري (٥٤٤١)]

* وعن عبد الله بن أبي مليكة قال: سافرت مع ابن عباس رضي الله عنه (ت: ٦٨) من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى المدينة، فكان يقوم شطر الليل.

[الزهدي لأبي داود (ص٢٨٩)]

* وعن عطاء الخرساني رضي الله عنه (ت: ١٣٥) قال: كان يقال: قيام الليل محياة للبدن، ونور في القلب، وضياء في البصر، وقوة في الجوارح، وإن الرجل إذا قام من الليل متهجداً: أصبح فرحاً يجد لذلك فرحاً في قلبه، وإذا غلبته عيناه فنام عن حزبه: أصبح حزيناً منكسر القلب كأنه قد فقد شيئاً، وقد فقد أعظم الأمور له نفعاً.

[ابن أبي الدنيا (١/٢٤٩)]

* وعن قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال (ت: ١١٨): كان يقال: قلما ساهرٌ بالليل منافق.
[ابن أبي الدنيا (١/٣٤١ - ٣٤٢)]

* وعن سفيان الثوري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦١) قال: أدركت الجفاة وهم يقومون الليل.
[ابن أبي الدنيا (١/٣١٩)]

* وكان عطاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٤) بعدما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ ماتي آية من البقرة وهو قائم ما يزول منه شيء ولا يتحرك.
[الزهد لأحمد (٦٢٥)]

* وكان الربيع بن خثيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٠) بعد ما سقط شقُّه يُهادى بين رجلين إلى مسجد قومه، وكان أصحاب عبد الله يقولون له: يا أبا يزيد لقد رخص الله لك لو صليت في بيتك، فيقول: إنه كما تقولون، ولكنني سمعته ينادي: «حيّ على الفلاح» فمن سمع منكم، فليجبه ولو زحفاً، ولو حبواً.
[صفة الصفوة (٣/٤٢)]

* وقال ثابت البناني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣٣): كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعّمت بها عشرين سنة.
[صفة الصفوة (٣/١٨٦)]

* وقال الأوزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٥٧): من أطال قيام الليل، هوّن الله عليه وقوف يوم القيامة.
[تهذيب السّير (٢/٦٨٣)]

* وكان الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤) قد جزأ الليل، فثلثه الأول يكتب، والثاني يُصلي، والثالث ينام.
قال الذهبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٤٨): أفعاله الثلاثة عبادةً بالنية.

[تهذيب السّير (٢/٨٤٨)]

* وعن إبراهيم بن شماس قال: كنت أعرف أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١) وهو غلام يُحيي الليل.
[صفة الصفوة (٢/٦٠٩)]

* وقال أبو سليمان الداراني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٥): لَأَهْلُ الطَّاعَةِ فِي لَيْلِهِمْ أَلَدُّ مِنْ أَهْلِ اللّهُوِ بَلْهُوِهِمْ، وَلَوْلَا اللَّيْلُ مَا أَحْبَبْتُ الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا.
[صفة الصفوة (٤/٤٤٥)]

* وقال محمد بن أبي حاتم: دُعِيَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٨٠) إِلَى بَسْتَانٍ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا صَلَّى بِالْقَوْمِ الظَّهْرِ، قَامَ يَتَطَوَّعُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ، رَفَعَ ذَيْلَ قَمِيصِهِ، فَقَالَ لِبَعْضٍ مِنْ مَعِهِ: انظُرْ هَلْ تَرَى تَحْتَ قَمِيصِي شَيْئاً؟ فَإِذَا زَنْبُورٌ قَدْ أَبْرَهُ فِي سِتَّةِ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ مَوْضِعاً، وَقَدْ تَوَرَّمُ مِنْ ذَلِكَ جَسَدُهُ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: كَيْفَ لَمْ تَخْرُجْ مِنَ الصَّلَاةِ أَوَّلَ مَا أَبْرَكَ؟ قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةٍ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُتِمَّهَا!!
[تهذيب السَّيَر (٣/١٠١٦)]

د - فضل صلاة الضحى:

* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): مَنْ فَاتَهُ وَرَدَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَلْيَصِلْ بِهِ فِي صَلَاةٍ قَبْلَ الظَّهْرِ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ صَلَاةَ اللَّيْلِ.
[الزهد لابن المبارك (٩٨٨)]

* وكان عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) يَصَلِّي قَبْلَ الظَّهْرِ صَلَاةً طَوِيلَةً، فَإِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ شَدَّ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ وَخَرَجَ.
[الزهد لابن المبارك (٩٩٠)]

هـ - شهر رمضان، والصيام:

* كان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) وَأَصْحَابُهُ إِذَا صَامُوا جَلَسُوا فِي الْمَسْجِدِ، قَالُوا: نَظَّهَرُ صِيَامَنَا.
[الزهد لهناد (١٢٠٤)]

* وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٤)

لا يصوم على عهد النبي ﷺ من أجل الغزو، فلما قبض النبي ﷺ لم أره مفطراً إلا يوم فطر أو أضحى. [صحيح البخاري (٢٦٧٣)]

* وكان الأحنف بن قيس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٧٢) يريد الصوم، ف قيل له في ذلك، فقال: إني أعده ليوم شرّه طويل، ثم تلا: ﴿فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ [الإنسان: ١١]. [ابن أبي الدنيا (١٣٦/٦)]

* وكان بعض السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يختم القرآن في رمضان في كل ليلة، وينام بين المغرب والعشاء.

وبعضهم يختمه في رمضان في ليلتين، وينام فيما بين المغرب والعشاء. [ابن أبي الدنيا (٣٦٨/١)، (٣٣٤/١)]

* وعن أبي العالية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قال: الصائم في عبادة ما لم يغترب وإن كان نائماً على فراشه. [الزهد لهناد (١٢٠١)]

* وقال مُسَبِّحُ بْنُ سَعِيدٍ: كان محمدُ بنُ إسماعيلَ البخاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٨٠) يختم في رمضان في النهار كُلِّ يومٍ خَتْمَةً ويقومُ بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بِخَتْمَةٍ. [تهذيب السَّير (١٠١٥/٣)]

و - التهيؤ للعبادة والاستعداد لها:

* اشترى تميم الداري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) رِذَاءً بِأَلْفِ دَرَاهِمٍ فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ. [رواه الطبراني (١٢٤٨)]، [صحح إسناده ابن كثير في تفسيره (٤٠٦/٣)]

* وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا قام من الليل دعا بسواكه، ثم دعا بأطيب حلة كان لا يلبسها إلا إذا قام من الليل يتهجده. [ابن أبي الدنيا (٣١١/١)]

* وقال وكيع بن الجراح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٩٧): من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها لم يكن وقرها. [تهذيب الحلية (١٠٧/٣)]

* وكان المغيرة بن حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٢) إذا أراد أن يقوم للتهجد لبس من أحسن ثيابه وتناول من طيب أهله، وكان من المتهجدين. [ابن أبي الدنيا (١/٣١١)]

ز - فوائد أخرى:

* قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): كونوا لقبول العمل أشدَّ همًّا منكم بالعمل؛ ألم تسمعوا الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. [ابن أبي الدنيا (١/١٧٥)]

* وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: لو قيل لحمام بن سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦٧) إنك تموت غداً، ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً. [تهذيب الحلية (٢/٣٣٥)]

* وسئل سفيان الثوري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦١) عن الرجل يصلي أي شيء ينوي بصلاته؟ قال: ينوي أن يناجي ربه. [تهذيب الحلية (٢/٤٠٢)]



القصد في العبادة، والتيسير وعدم التشدد والتنطع

* آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة^(١)، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا^(٢)، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال: كل؟ قال: فإني صائم، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصلياً، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان».

[صحيح البخاري (١٩٦٨)]

* وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة.

[الزهدي لأحمد (٢٩٣)]، [مسند الدارمي (٢٢٣)]

* وقال رضي الله عنه: والذي لا إله إلا هو ما رأيت أحداً كان أشد على المتنطعين من رسول الله ﷺ، وما رأيت أحداً كان أشد عليهم [بعده] من أبي بكر رضي الله عنه.

[مسند الدارمي (١٤٠)]، [مسند ابن أبي شيبه (٤٢٨)] وما بين المعقوفين منه]

(١) أي: لابسثة ثياب البذلة وهي المهنة، أي: تاركة لباس الزينة.

(٢) أي: ومنها زينة المرأة لزوجها، وهو لا يأبه لذلك.

* وَكَانَ ﷺ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمْلِكَكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا^(١)، مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا^(٢).

[صحيح البخاري (١٩٦٨)]، [صحيح مسلم (٢٨٢١)]

* وَقَالَ ﷺ: لَا تَغَالِبُوا هَذَا اللَّيْلَ فَإِنَّكُمْ لَا تَطِيقُونَهُ، فَإِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَنْصَرَفْ إِلَى فِرَاشِهِ فَإِنَّهُ أَسْلَمَ لَهُ. [الزهد لأبي داود (١٤٤)]

* وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي أَمَامَةَ ﷺ (ت: ٨٦) فَقَالَ: إِنَّهُ أَتَانِي آتٍ فَقَالَ: اْعْمَلْ مِثْلَ عَمَلِ أَبِي أَمَامَةَ، فَقَالَ أَبُو أَمَامَةَ: وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَ عَمَلُ أَبِي أَمَامَةَ، أَصْلِي الْخَمِيسَ، وَأَصُومُ رَمَضَانَ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَإِذَا صَوَّتَ الطَّيْرُ صَوْتَ مَعَهَا؛ يَعْنِي: مِنَ السَّحْرِ.

[ابن الدنيا (٣٠٨/١)]

* وَعَنْ عَمِيرِ بْنِ إِسْحَاقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَ أَدْرَكَ أَكْثَرَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - قَالَ: مَا رَأَيْتُ قَوْمًا أَيْسَرَ سِيرَةٍ، وَلَا أَقْلَّ تَشْدِيدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

[مسند الدارمي (١٢٨)]

* وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ تَلَطُّفًا لِلْعِبَادَةِ مِنَ الرَّبِيعِ بْنِ خَثِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٠).

[الزهد لابن المبارك (١٠٤٩)]

* وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: إِنَّ لِهَذِهِ الْقُلُوبِ تَنَافُرًا كَتَنَافُرِ الْوَحْشِ، فَتَأَلَّفُوهَا بِالْاِقْتِصَادِ فِي التَّعْلِيمِ، وَالتَّوَسُّطِ فِي التَّقْدِيمِ؛ لِتَحْسُنَ طَاعَتَهَا، وَيُدُومَ نَشَاطُهَا.

(١) يَعْنِي: فَيُذَكِّرُهُمْ أَيَّامًا وَيَتْرَكُهُمْ أَيَّامًا.

(٢) أَي: مَخَافَةَ أَنْ تَقَعَ مِنَّا السَّامَةُ.

وقال بعض الحكماء: إياك ومفارقة الاعتدال؛ فإن المسرف مثل المقصر في الخروج عن الحدّ.

وقالت الحكماء: طالب العلم وعامل البرّ كآكل الطعام، إن أخذ منه قوتاً عصمه، وإن أسرف فيه أبشّمه^(١).

وربما كان فيه منيته، كأخذ الأدوية التي القصد فيها شفاء، ومجاوزة القصد فيها السمّ المميت. [أدب الدين (١٠٦، ١١٤)]

* وعن مخلد بن الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت ١٩١) قال: ما ندب الله العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين؛ ما يبالي بأيهما ظفر: إما غلواً فيه، وإما تقصيراً عنه. [تهذيب الجلية (٣/٦٣)]



(١) أي: أتخمه، وقد يُمرضه أو يقتله شدة الانتفاخ.

حال السلف مع القرآن وتعليمه، وأثره عليهم

* كان عمر رضي الله عنه (ت: ٢٣) إذا جلس عنده أبو موسى، ربما قال له: ذكرنا يا أبا موسى، فيقرأ.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَزَلَّ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُذْنِبُهُمْ عُمَرُ رضي الله عنه، وَكَانَ الْفُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُھُولًا كَانُوا أَوْ شُبَانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ، فَاسْتَأْذَنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنْ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَعَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صلوات الله عليه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهُ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ»^(١).

* وَلَقِيَ عُمَرَ رضي الله عنه نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ بَعْسَفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنُ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنْ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلَى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَحْلَفْتَ

(١) أي: إذا سمع آياته التزم أحكامه ووقف عندها ولم يتجاوزها.

عَلَيْهِمْ مَوْلَى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ ﷻ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ».

[صحيح مسلم (٨١٧)]

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢) قال: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس فرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون.

وينبغي لحامل القرآن: أن يكون باكياً محزوناً حليماً حكيماً سكيناً، ولا ينبغي لحامل القرآن: أن يكون جافياً، ولا غافلاً، ولا سخاباً، ولا صيحاءً، ولا حديداً.

[مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٥٨٤)]

* وقال أيضاً رضي الله عنه: إن هذه القلوب أوعية، فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره.

[الزهد لأحمد (٢٩٨)]

* وقال أيضاً رضي الله عنه: إذا أردتم العلم فاثيروا القرآن؛ فإن فيه علم الأولين والآخرين^(١).

[الزهد لابن المبارك (٧٦٣)]

* وقال له رجل: إِنِّي لَأَقْرَأُ الْمُفْصَلَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ لَهُ: «هَذَا كَهَذَا الشُّعْرِ؟»^(٢) إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَافِيهِمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعٌ.

[صحيح مسلم (٨٢٢)]

* وعن ابن عباس رضي الله عنه (ت: ٦٨) قال: لأن أقرأ البقرة أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله.

[الزهد لابن المبارك (٩٤٣)]

(١) «أي: ليُتَقَرَّ عنه ويُفَكَّرَ في معانيه وتفسيره وقراءته». «النهاية» لابن الأثير (١/٢٢٩).

وأصله من ثار الشيء يُتَوَّرُ إذا انتشر وارتفع.

(٢) أراد: أتهد القرآن هدأً فُتْسِرَ فيه كما تُسْرَعُ في قراءة الشعر؟

* وعن أبي عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه قال: أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلّموا عشر آياتٍ لم يجاوزوهنَّ إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهنَّ، فكُنَّا نتعلّم القرآن والعمل به، وسيرتُ القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوزُ تراقيهم. [تهذيب السير (١/٤٩٥)]

* وأقرأ رضي الله عنه القرآن في المسجد أربعين سنة. [تهذيب الحلية (٢/٨٢)]

* وقال بعض السلف: «من أحب أن يعلم ما هو فليعرض نفسه على القرآن».

• وقال نافع بن أبي نعيم المقرئ رضي الله عنه (ت: ١٦٩): إنَّ هذا القرآن عظيم، جاء من عند عظيم، فإذا قرأتَ فلا تنشغلنَّ بغيره، وانظر من تُخاطب. [معرفة القراءة (١/٢٤٤)]

• وكان ابن كثير المقرئ رضي الله عنه (ت: ١٢٢) إذا أراد أن يُقرئ أصحابه جمعهم ووعظهم، ويقول: إنما أفعل هذا حتى تتقدموا إلى تلاوة القرآن بقلوب خاشعة، ونفوس خاضعة، وعيون دامعة. [معرفة القراءة (١/٢٠١)]

• ولما احتضر عبد الله بن إدريس المقرئ رضي الله عنه (ت: ١٧٢) بكَّت بنته، فقال لها: لا تبكي، فقد ختمتُ القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة. [معرفة القراءة (١/٣١١)]

• وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه (ت: ٢٤١): عزيز عليّ أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورهم القرآن. [الآداب الشرعية (٢/١٨)]

• وقال القاضي عبد الله بن طالب رضي الله عنه (ت: ٢٧٥): إنما العزُّ لمن كان معه القرآن والعلم، هذا العزيز، وأمّا من كان معه عزُّ السلطان فليس بعزير. [ترتيب المدارك (٢/٣١٦)]

* وقال الفضل الرقاشي رضي الله عنه (ت: ٢٠٠): ما تلذذ العابدون ولا

استطارت قلوبهم بشيء كحسن الصوت بالقرآن، وكل قلب لا يجيب على حسن الصوت بالقرآن فهو قلب ميت.

وقال الفضل: وأيّ عينٍ لا تهمل^(١) على حسن الصوت إلا عينٌ غافلٍ أو لاهٍ.

[ابن أبي الدنيا (٣/١٨٥)]

* وقال إياسُ بنُ معاويةَ رضي الله عنه (ت: ١٢١): مَثَلُ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ تَفْسِيرَهُ كَمَثَلِ قَوْمٍ جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ مَلِكِهِمْ لَيْلًا وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِصْبَاحٌ، فَتَدَاخَلْتَهُمْ رَوْعَةٌ وَلَا يَدْرُونَ مَا فِي الْكِتَابِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَعْرِفُ التَّفْسِيرَ كَمَثَلِ رَجُلٍ جَاءَهُمْ بِمِصْبَاحٍ فَقَرَأُوا مَا فِي الْكِتَابِ.

[تفسير القرطبي (١/٤٧)]

* وعن الشعبي رضي الله عنه (ت: ١٠٣) قال: من قرأ القرآن لم يخرف.

[ابن أبي الدنيا (٧/٥٧١)]

* وكان خيثمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه (ت: ٨٠) يختم القرآن في ثلاث.

[تهذيب الحلية (١/٦٣)]

* وكان ابن محيريز رضي الله عنه (ت: ١٠٠) يختم القرآن في كل سبع.

[تهذيب الحلية (٢/١٦٩)]

* عن عمار بن عمرو البجلي، قال: خرجنا مع محمد بن النضر الحارثي رضي الله عنه (ت: ١٦٣) إلى مكة، فما كنا نستيقظ ساعة من الليل إلا وهو على بعيره قاعد يقرأ، قال: فكنا نرى أنه لم ينم حتى دخل مكة، قال: وكان إذا نزل فإنما هو في خدمة أصحابه، ف قيل له: يا أبا عبد الرحمن نحن نكفيك هذا، فيأتي عليهم ويقول: أتبخسون علي بالشواب؟! . [ابن أبي الدنيا (١/٢٧٤)]

(١) أي: فاضت دموعاً وسالت.

* وعن قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٨) أنه كان يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة. فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة. [تهذيب الحلية (١/٤١٠)]

* وعن سعيد بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٤) أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين. [الزهد لأحمد (٦١٤)]

* وقال مالك بن دينار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣١): إن الصّديقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة. [صفة الصفة (٣/٢٠٤)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا حملة القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض، فإن الله ينزل الغيث من السماء إلى الأرض، فيصيب الحش فتكون فيه الحبة فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضر وتحسن، فيا حملة القرآن ماذا زرع في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة؟ أين أصحاب سورتين؟ ماذا عملتم فيهما؟

[تهذيب الحلية (١/٤١٨)]

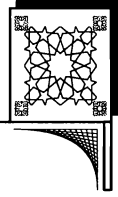
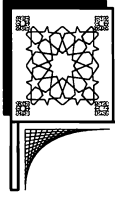
* وقال محمد بن واسع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٢٣): القرآن بستان العارفين، فأينما حلوا منه حلوا في نزهة. [تهذيب الحلية (١/٤١٢)]

* وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧): حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي له أن يلغو مع من يلغو، ولا أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو. [تهذيب الحلية (٣/١٢)]

* وعن وهيب بن الورد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦٠) قال: نظرنا في هذا الحديث، فلم نجد شيئاً أرق لهذه القلوب، ولا أشد استجلاباً للحق، من قراءة القرآن لمن تدبره. [تهذيب الحلية (٣/٣١)]

* وقال بعض السلف: كنت أقرأ القرآن ولا أجد له حلاوة، فقلت
 لنفسي: اقرئيه كأنك سمعته من رسول الله ﷺ، فجاءت حلاوة قليلة،
 فقلت لنفسي: اقرئيه كأنك سمعته من جبريل ﷺ حين يخبر به
 النبي ﷺ، قال: فازدادت الحلاوة، ثم قلت لها: اقرئيه كأنك سمعته
 حين تكلم به، قال: فازدادت الحلاوة كلها. [تهذيب الحلية (٦٩/٣)]





عناية السلف بالقلب، والحذر من قسوته

أ - ضعف القلب وسرعة تقلبه وتغيره:

* عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه (ت: ١٨) قال: مثل قلب المؤمن مثل العصفور يتقلب كل يوم كذا وكذا مرة.

[مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٦٢٣)]

ب - الحذر من قسوة ومرض القلب، وأسباب ذلك:

* باع عبد الله بن عمر رضي الله عنه (ت: ٧٣) جملاً، فقيل: لو أمسكته فقال: قد كان لنا موافقاً، ولكنه قد أذهب بشعبة من قلبي، فكرهت أن يشتغل قلبي بشيء.

[الْحَلِيَّة (١٤٨/٨)]

* وعن أبي حازم رضي الله عنه (ت: ١٤٠) قال: إن العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها، وما خلق الله من سيئة هي عليه أضر منها، وإن العبد ليعمل السيئة تسوؤه حين يعملها، وما خلق الله ﷻ من حسنة أنفع له منها، وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة يتجبر فيها، ويرى أن له فضلاً على غيره، ولعل الله ﷻ يُحبطها ويحبط معها عملاً كثيراً، وإن العبد ليعمل السيئة تسوؤه، ولعل الله ﷻ يُحدث له فيها وجلاً، فيلقى الله وإن خوفها لفي جوفه باقٍ. [الزهد لهناد (٨٩٧)]، [صفة الصفوة (٤٩٣/٢) واللفظ له]

• وسئل الحسن البصري رضي الله عنه (ت: ١١٠): ما عقوبة العالم؟

قال: موت القلب.

قيل: وما موت القلب؟

قال: طلب الدنيا بعمل الآخرة. [الآداب الشرعية (٢/٣٥)]

* وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: والله لقد أدركت أقواماً لو شاء أحدهم أن يأخذ هذا المال من حله أخذه، فيقال لهم: ألا تأتون نصيبكم من هذا المال فتأخذونه حلالاً؟ فيقولون: لا، إنا نخشى أن يكون أخذه فساداً لقلوبنا.

[الزهد لأحمد (١٠٤)]

• وقال الإمام مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩): ما أسرَّ عبدٌ سريرةً خير إلا ألبسه الله رداءها، ولا أسرَّ سريرةً سوء إلا ألبسه الله رداءها.

[ترتيب المدارك (١/١٨١)]

* وقال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي سليمان الداراني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٥): إن فلاناً وفلاناً لا يقعان على قلبي^(١)، قال: ولا على قلبي، ولكن لعلنا أتينا من قلبي وقلبك، فليس فينا خير، وليس نحب الصالحين.

[صفة الصفوة (٤/٤٤٧)]

* وقال حذيفة المرعشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٧): ما أصيب أحد بمصيبة أعظم من قساوة قلبه.

[صفة الصفوة (٤/٤٧٦)]

* وعن محمد بن عبادة المعافري قال: كُنَّا عند أبي شريح الخزاعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) فكثرت المسائل، فقال: قد دَرَنْتْ قُلُوبَكُمْ، فقوموا إلى خالد بن حميد المهري استَقِلُّوا قلوبكم، وتعلَّموا هذه الرغائبَ والرقائقَ فإنها تُجَدِّدُ العبادة، وتورث الزهادة، وتجر الصدقة، وأقِلُّوا المسائل، فإنها في غير ما نزل تُقَسِّي القلب، وتورث العداوة.

(١) أي: لا أجد في قلبي محبة لهما.

قال الذهبي رحمته الله (ت: ٧٤٨): صدق والله، فما الظنُّ إذا كانت مسائل الأصول، ولوازم الكلام في معارضة النص، فكيف إذا كانت من تشكيكات المنطق، وقواعد الحكمة، ودين الأوائل؟! .

[تهذيب السير (٢/٦٩١)]

ج - نصائح وتوجيهات وقصص في إصلاح القلب وتصحيح النية والصدق مع الله:

* قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسماً وأمراضه قلباً، وتلقون المؤمن من أصح الناس قلباً وأمراضه جسماً، وأيم الله لو مرضت قلوبكم وصحت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجعلان.

[صفة الصفوة (١/١٩٠)]

* وخرج عبد الله بن سلام رضي الله عنه (ت: ٤٣) من حائط له بحزمة حطب يحملها، فلما أبصره الناس، قالوا: يا أبا يوسف، قد كان في ولدك وعبيدك من يكفيك هذا، قال: أردت أن أجرب قلبي، هل يُنكر هذا؟

[الزهد لابن المبارك (٧٨٢)]

* وقال عبد الله بن المبارك رحمته الله (ت: ١٨٤): ربَّ عمل صغير تُكثِّره النية، ورب عمل كثير تُصغِّره النية.

[تهذيب السير (٢/٧٦٩)]

* وقال أبو حازم رحمته الله (ت: ١٤٠): عند تصحيح الضمائر تُغفر الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أتته الفتوح^(١).

[صفة الصفوة (٢/٤٩٣)]

(١) قال ابن رجب رحمته الله: يشير إلى ما يُفتح عليه، بتيسير الإنابة، والطاعة، ومقامات العارفين. «مجموع رسائل ابن رجب» (١/٣٤٨).

- * وقال جعفر بن حيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٦٥): «ملاك هذه الأعمال النيات؛ فإن الرجل يبلغ بنيته ما لا يبلغ بعمله». [الزهد لابن المبارك (١٨٩)]
- * وقال بعض السلف: من سره أن يكمل له عمله فليحسن نيته، فإن الله سُبْحَانَهُ يأجر العبد إذا أحسن نيته. [الزهد لابن المبارك (١١٧٥)]
- * وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧) لرجل: لأعلمنك كلمة هي خير من الدنيا وما فيها: والله لئن علم الله منك إخراج الآدميين من قلبك حتى لا يكون في قلبك مكان لغيره، لم تسأله شيئاً إلا أعطاك. [صفة الصفوة (٥٤٦/٢)]
- * وقال بعض السلف رحمهم الله قال: كانت العلماء إذا التقوا تواصلوا بهذه الكلمات، وإذا غابوا كتب بها بعضهم إلى بعض أنه: من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن اهتم بأمر آخرته كفاه الله أمر دنياه. [ابن أبي الدنيا (١٧٧/١)]، [تهذيب الحلية (٩٧/٢)]
- * وقال يحيى بن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٥٨): تقويم الأعمال في تصحيح العزائم. [صفة الصفوة (٣٤٠/٤)]
- * وقال أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتفكير، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين. [صفة الصفوة (٣٤١/٤)]
- * وقال بعض السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذا صارت المعاملة إلى القلب استراحت الجوارح^(١). [تهذيب الحلية (٣/٢٠١)]

(١) فمن اعتنى بصلاح قلبه وصدقته مع ربه: خفَّ على الجوارح القيام بالأعمال الصالحة، وتلذَّذ القلب والبدن بذلك.

• وقال عبد الله ابن الإمام أحمد (ت: ٢٤١) رحمهما الله لأبيه يوماً:
أوصني يا أبت، فقال: يا بني انو الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير.
قال ابن مفلح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٧٦٣): هذه وصية عظيمة، سهلة على
المسؤول، سهلة الفهم والامثال على السائل، وفاعلها ثوابه دائم مستمر
لدوامها واستمرارها، وهي صادقة على جميع أعمال القلوب المطلوبة
شرعاً، سواء تعلقت بالخالق أو بالمخلوق، وأنها يُثاب عليها، ولم أجد
في الثواب عليها خلافاً. [الآداب الشرعية (١/٨٨)]

د - أهمية انصراف القلب إلى الله، وتعلقه به، والثقة به:

* عن سعيد بن المسيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال (ت: ٩٤): من استغنى بالله
افتقر إليه الناس. [صفة الصفة (٢/٤٣٨)]

* وقال بعض السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لو أن رجلاً انقطع إلى رجل لعرف
ذلك فكيف بمن له السموات والأرضون. [ابن أبي الدنيا (٢/٢٧٠)]

* وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧): بقدر ما يصغر
الذنبُ عندك يَعْظُمُ عند الله، وبقدر ما يَعْظُمُ عندك يصغر عند الله.

[تهذيب السير (٢/٧٧٤)]

* وقال سهل بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٨٣): ما من ساعة إلا
والله وَعَلَيْكَ مَطَّلَع على قلوب العباد، فأَيُّ قلبٍ رأى فيه غيره سلَّط عليه
إبليس. [ذم الهوى (٧٧)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حرامٌ على قلبٍ أن يشمَّ رائحةَ اليقين وفيه
سُكون إلى غير الله، وحرام على قلب أن يَدْخُلَه النورُ وفيه شيء مما
يكره الله وَعَلَيْكَ. [الزهد للخطيب (٥٩)]

* وقال بعض السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: تركتموه، وأقبل بعضكم على بعض! لو أقبلتم عليه لرأيتم العجائب! .
[ذم الهوى (٧٧)]

• وقال بعض الحكماء: إن الناس سمعوا بالله ولم يعرفوه .

وقال بعض السلف: إنما رجع القوم من الطريق قبل الوصول، ولو وصلوا إلى الله تبارك وتعالى ما رجعوا . [المجالسة وجواهر العلم (٤٣)]

• وقال ابن عقيل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٥١٣) في الفنون: والله ما أعتمدُ على أنني مؤمن بصلاتي وصومي؛ بل أعتمدُ إذا رأيت قلبي في الشدائد يفرع إليه، وشكري لما أنعم علي^(١) .
[الآداب الشرعية (١/١٢٣)]

• وقال رجل لبعض السلف: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟

قال: كانوا يعملون يسيراً ويؤجرون كثيراً.

قال: ولم ذاك؟

قال: لسلامة صدورهم.

هـ - فوائد أخرى:

* قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): والله لقد لان قلبي في الله حتى لهو أليّن من الزبد، ولقد اشتد قلبي في الله حتى لهو أشد من الحجر .

[تهذيب الحلية (١/٧١)]

* وعن ابن سيرين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: إذا أراد الله وَعَلَى بعبده خيراً جعل له واعظاً من قلبه يأمره وينهاه .
[صفة الصفوة (٣/١٧٢)]

(١) إنّ عبادات الإنسان من صلاة وصيام وذكر ليست دليلاً كافياً على قوة إيمانه، وصدقه وصلاح قلبه، وإنما الدليل الواضح: إذا ألمّت به شدة أو انفتحت عليه الدنيا كان قلبه متعلقاً بالله عائداً به في زوال الشدة، وكبح جماح نفسه عن التعلق بزخارف الدنيا والميل إليها .

* وعن بعض السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قال: إن الله وَعَلَّمَكَ جعل قوة المؤمن في قلبه، ولم يجعلها في أعضائه، ألا ترون أن الشيخ يكون ضعيفاً يصوم الهواجر، ويقوم الليل، والشاب يعجز عن ذلك. [تهذيب الحلية (١/٤٨٠)]

* وقال حاتم الأصم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣٧): القلوب جَوَّالَةٌ، فإمَّا أَنْ تجول حول العرش، وإمَّا أَنْ تجول حول الحُشِّ. [تهذيب السير (٢/٩٦٢)]

* وعن ثابت البناني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٣) قال: نية المؤمن أبلغ من عمله، إن المؤمن ينوي أن يقوم الليل، ويصوم النهار، ويخرج من ماله، فلا تتابعه نفسه على ذلك، فنيته أبلغ من عمله. [تهذيب الحلية (١/٤٠٦)]

* وعن حسان بن عطية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٠) قال: إن القوم ليكونون في الصلاة الواحدة، وإن بينهم كما بين السماء والأرض، وتفسير ذلك: أن الرجل يكون خاشعاً مقبلاً على صلاته، والآخر ساهياً غافلاً.

[تهذيب الحلية (٢/٢٦٦)]

* وعن شهر بن حوشب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٠٠) قال: إذا حدث الرجل القوم، فإن حديثه يقع من قلوبهم موقعه من قلبه. [تهذيب الحلية (٢/٢٦٣)]

* وعن سفيان الثوري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٦١) قال: لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي، لطار فرحاً وحنناً شوقاً إلى الجنة، أو خوفاً من النار. [تهذيب الحلية (٢/٣٧٩)]

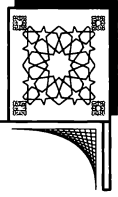
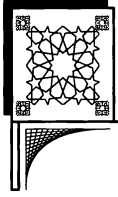
* وسئل بعض السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: ما كانت أعمال القوم؟ قال: كانت أعمالهم قليلة، وكانت قلوبهم سليمة. [تهذيب الحلية (٢/١٢٣)]

* وقال أبو سليمان الداراني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٥): والله ما يريد الله ممَّا أَنْ تبيس جلودنا على عظامنا، ولا يريد منا إلا صدق النية فيما عنده.

[تهذيب الحلية (٣/١٨٦)]

- * وقال السري السقطي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٥١): تصفية العمل من الآفات أشد من العمل. [تهذيب الحلية (٣/٢٨٧)]
- * وسئل بعض السلف: ما خير ما أعطي العبد؟ قال: فراغ القلب عما لا يعنيه ليتفرغ إلى ما يعنيه. [تهذيب الحلية (٣/٤٥٤)]
- وقال بعض حكماء العرب: كل إناء يُفَرِّغُ فيه يضيق ويمتلئ إلا القلب؛ فإنه كلما أُفْرِغَ فيه اتسع، وهذا من أدل الدلائل على اللطيف الخبير. [المجالسة وجواهر العلم (٢٩٤)]





الصدق مع الله

* قال بكر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) لَمْ يُفْضَلِ النَّاسَ بِأَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَهُمْ صَلَاةً وَصَوْمًا، وَإِنَّمَا فَضَّلَهُمْ بِشَيْءٍ كَانَ فِي قَلْبِهِ.
[الزهد لأبي داود (٥٩)]

* وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قَالَ: أَنْتُمْ أَطْوَلُ صَلَاةً وَأَكْثَرُ اجْتِهَادًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهَمَّ كَانُوا أَفْضَلَ مِنْكُمْ!
قِيلَ لَهُ: بِأَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا أَزْهَدَ فِي الدُّنْيَا وَأَرْغَبَ فِي الْآخِرَةِ مِنْكُمْ.
[الزهد لابن المبارك (٤٦٢)]

* وقال مالك بن دينار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣١): إِنْ الصَّدَقَ يَبْدُو فِي الْقَلْبِ ضَعِيفًا، كَمَا يَبْدُو نَبَاتُ النَّخْلَةِ يَبْدُو غَصْنًا وَاحِدًا، فَإِذَا نَتَفَهَا صَبِي، ذَهَبَ أَصْلُهَا وَإِنْ أَكَلَتْهَا عَنَزَ ذَهَبَ أَصْلُهَا فَتَسْقَى فَتَنْشُرُ، وَتَسْقَى فَتَنْشُرُ حَتَّى يَكُونَ لَهَا أَصْلٌ أَصِيلٌ يُوْطَأُ، وَظِلٌّ يَسْتُظِلُّ بِهِ، وَثَمَرَةٌ يُؤْكَلُ مِنْهَا، كَذَلِكَ الصَّدَقُ يَبْدُو فِي الْقَلْبِ ضَعِيفًا، فَيَتَفَقَدُهُ صَاحِبُهُ وَيَزِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى. وَيَتَفَقَدُهُ صَاحِبُهُ فَيَزِيدُهُ اللَّهُ حَتَّى يَجْعَلَهُ اللَّهُ بَرَكَةً عَلَى نَفْسِهِ، وَيَكُونُ كَلَامُهُ دَوَاءً لِلخَاطِئِينَ.

ثم يقول: أما رأيتموهم؟ ثم يرجع إلى نفسه، فيقول: بلى! والله لقد رأيناهم؛ الحسن، وسعيد بن جبير وأشباههم، الرجل منهم يحيي الله بكلامه الفئام من الناس.
[تهذيب الحلية (٤١٨/١)]

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُولُوا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ صَادِقًا: لَا يَتَعَنَّى.

[صفة الصفوة (٢٠١/٣)]

* وقال أبو زرعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قلت لأحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١):
كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط الواثق؟
فقال لي: يا أبا زرعة لو جعل الصدق على جرح لبرأ.

[تاريخ دمشق لابن عساكر (٥/٣٢١)]

• وقيل للإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بم نال مَنْ نال ما نال حتى
ذُكر به؟

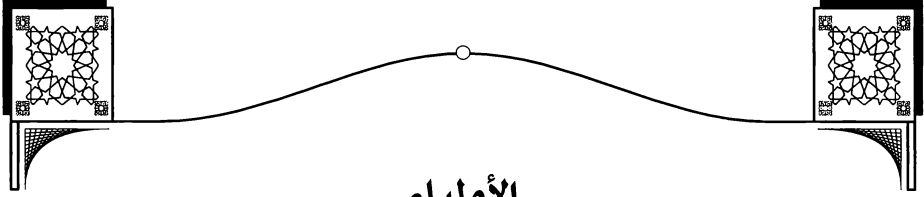
فقال: بالصدق. [طبقات الحنابلة (١/١٤١)]

• وذُكر له رجلُ الصدق والإخلاص فقال: بهذا ارتفع القوم.

[طبقات الحنابلة (١/١٤٧)]

* وقال أبو سُلَيْمَانَ الداراني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٥): مَنْ صَدَقَ فِي تَرْكِ
شَهْوَةٍ ذَهَبَ اللَّهُ بِهَا مِنْ قَلْبِهِ. [الزهد للبيهقي (٧٢٧)]





الأولياء

- * عن ابن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢) قال: إن من الناس مفاتيح ذكر الله، إذا رُؤوا ذكر الله. [ابن أبي الدنيا (٢/٣٩٤)]
- * وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه (ت: ٨٦) قال: خيار عباد الله الذين يحبون الله والذين يحبون الله إلى عباده. [ابن أبي الدنيا (٢/٣٩٤)]
- * وقال بعض السلف رضي الله عنهم: وليُّ الله إذا زاد جاهه زاد تواضعه وإذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده. [الحلبي (١٠/٣١٥)]



الإخلاص، وذم النفاق والرياء، والخوف منهما

* كتب عمر (ت: ٢٣) إلى أبي موسى رضي الله تعالى عنهما:
 «مَنْ يُخْلِصُ نَيْتَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ يَكْفِهِ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .
 وَمَنْ تَزَيَّنَ لِلنَّاسِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْهُ غَيْرَ ذَلِكَ شَانَهُ اللَّهُ» .

[سنن الدارقطني (٤٤٧٢)]

* وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مِنْ أَصْحَابِي مَنْ لَا أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي بَعْدَ أَنْ أَمُوتَ أَبَدًا»، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه، فأتاها يشهد فقال لها: أنشدك بالله، أنا منهم؟ قالت: لا، ولن أبرئ بعدك أحداً أبداً .
 [مسند الإمام أحمد (٢٦٥٤٩) وصححه محققوه]

* وعن حذيفة رضي الله عنه (ت: ٣٦) قال: مر بي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأنا جالس في المسجد، فقال لي: يا حذيفة، إن فلاناً قد مات فاشهد، قال: ثم مضى حتى إذا كاد أن يخرج من المسجد، التفت إليّ فرآني وأنا جالس فعرف، فرجع إليّ فقال: يا حذيفة أنشدك بالله أمِن القوم أنا؟ قال: قلت: اللّهُمَّ لا، ولن أبرئ أحداً بعدك، قال: فرأيت عيني عمر جادتا^(١) .
 [الزهد لوكيع (٤٧٧)]

* وقال ابن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): من رأى في الدنيا راعى الله

(١) أي: سالتنا من الدموع فرحاً؛ حيث لم يذكره النبي صلى الله عليه وسلم من ضمن المنافقين الذين أخبر بأسمائهم حذيفة رضي الله عنه .

به يوم القيامة، ومن يسمع في الدنيا يسمع الله به يوم القيامة.

[تهذيب الحلية (١/١٢٤)]

* وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (ت: ٣٦): إن المنافقين اليوم شر

منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا يومئذ يُسرون واليوم يجهرون.

[صحيح البخاري (٧١١٣)]

* وقال له رجل: أخشى أن أكون منافقاً، فقال: لو كنت منافقاً لم

[عيون الأخبار (٢/٧٣٩)]

تخش.

* وقال أناس لابن عمر رضي الله عنه (ت: ٧٣): إنا ندخل على سلطاننا،

فنقول لهم خلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم، قال: كنا نعدّها نفاقاً.

[صحيح البخاري (٧١٧٨)]

* وقال مجاهد رحمه الله (ت: ١٠٤): طلبنا هذا العلم وما لنا فيه

[مسند الدارمي (٣٧١)]

كبير نية، ثم رزق الله بعد فيه النية.

* وقال هشام الدستوائي رضي الله عنه (ت: ١٥٢): والله ما أستطيع أن

أقول: إني ذهبت يوماً فظأ طلب الحديث أريد به وجه الله ويعلى.

قال الذهبي رضي الله عنه: والله ولا أنا، فقد كان السلف يطلبون العلم لله

فنبلوا، وصاروا أئمة يقتدى بهم، وطلبه قوم منهم أولاً لا لله، وحصلوه،

ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم، فجرّهم العلم إلى الإخلاص في أثناء

[تهذيب السير (٢/٦٨٧)]

الطريق.

* وعن الربيع بن خثيم رضي الله عنه (ت: ٩٠) قال: كل ما لا يُبتغى به

[صفة الصفوة (٣/٤١)]

وجه الله ويعلى يضمحلّ.

* وعن أبي العالية رضي الله عنه قال: قال لي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: لا

[صفة الصفوة (٣/١٤٨)]

تعمل لغير الله فيكلك الله ويعلى إلى من عملت له.

* وقال بعض السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن أقرب الناس من الرياء أمنهم له .

[تهذيب الحلية (٢/٢٧٨)]

* وقال مطرف بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٥): صلاح القلب بصلاح

العمل، وصلاح العمل بصحة النية. [تهذيب الحلية (١/٣٥٩)]

* وعن أبي العالية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قال: اجتمع إلي أصحاب

محمد ﷺ فقالوا: يا أبا العالية، لا تعمل عملاً تريد به غير الله فيجعل الله ثوابك على من أردت. [ابن أبي الدنيا (١/١٨٢)]

• وقال الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠): والله ما أصبح ولا

أمسى مؤمن إلا وهو يخاف النفاق على نفسه. [طبقات الحنابلة (٢/٥٢)]

* وكان شاب يقرأ عند الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكان يعجبه صوته فقال: يا

أبا سعيد أني قد رزقت هذا الصوت وإني أقوم من الليل فيجئ الشيطان فيقول: إنما تريد أن تُسَمَّع، فقال الحسن: نيتك حين تقوم من فراشك .

[ابن أبي الدنيا (١/٣٠٢)]

• وقيل للإمام مالك بن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩): شغلت نفسك

بهذا الكتاب، وقد شاركك فيه الناس وعملوا أمثاله .

فقال: لتعلمن ما أريد به وجه الله تعالى. [ترتيب المدارك (١/١٨٩)]

• وقال ابن المبارك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: رأيت مالك بن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فرأيت من

الخاشعين، وإنما رفعه الله بسريرة بينه وبينه، وذلك أني كثيراً ما كنت أسمعه يقول: من أحب أن يفتح له فرجة في قلبه وينجو من غمرات الموت وأهوال يوم القيامة؛ فليكن في عمله في السر أكثر منه في العلانية .

قال ابن وهب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وكان أكثر عبادة مالك في السر بالليل والنهار

حيث لا يراه أحد. [ترتيب المدارك (١/١٧٠، ١٧٢)]

* وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧): في قوله تعالى: ﴿لِبَلُوِكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]: أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة. [تهذيب الحلية (١٤/٣)]

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ترك العمل من أجل الناس رياءً، والعمل من أجل الناس شركاً، والإخلاص أن يعافيك الله عنهما. [تهذيب السير (٧٧٤/٢)]

* وقال عبد الله بن المبارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٤): لو أن رجلين اصطحبا في الطريق فأراد أحدهما أن يصلي ركعتين، فتركهما لأجل صاحبه، كان ذلك رياءً، وإن صلاهما من أجل صاحبه فهو شرك. [تهذيب الحلية (٤٠/٣)]

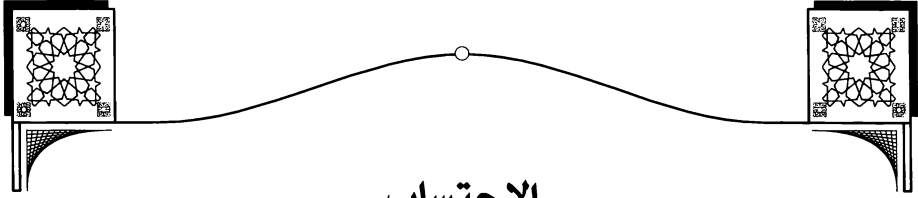
* وقال بعض السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أراد بعلمه وجه الله أقبل الله عليه بوجهه، وأقبل بقلوب العباد إليه، ومن عمل لغير الله تعالى صرف عنه وجهه، وصرف بقلوب العباد عنه. [تهذيب الحلية (٤٥١/١)]

* وقال يحيى بن أبي كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٢٩): تعلّموا النية فإنها أبلغ من العمل. [تهذيب الحلية (٤٥٦/١)]

* وعن أبي سليمان الداراني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٥) أنه قال: أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة غيره. [تهذيب الحلية (١٨٢/٣)]

* وقيل لإحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١): الرَّجُلُ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ فَيَرَى قَوْمًا فَيُحْسِنُ صَلَاتَهُ؟ يَعْنِي: الرِّيَاءَ.

قَالَ: لَا، تِلْكَ بَرَكَةٌ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ. [الفروع لابن مفلح (٢٩٨/٢)]



الاحتساب

* قال معاذ بن جبل رضي الله عنه (ت: ١٨): أما أنا فأنام وأقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي. [صحيح البخاري (٤٣٤١)]

* وعن الطفيل بن أبي كعب أنه كان يأتي عبد الله بن عمر رضي الله عنه (ت: ٧٣) فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمرّ عبد الله بن عمر على صاحب بيعة، ولا مسكين، ولا أحد إلا وسلم عليه.

فقلت: ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس في مجالس؟

قال: إنما نغدو من أجل السلام، فسلمّ على من لقيت.

[تهذيب الحلية (١/٢٢١)]

* وعاد مكحول رضي الله عنه (ت: ١١٢) رجلاً مريضاً فقال له: أترارك مرابطاً العام؟ قال: كيف تسألني عن هذا، وأنا على ذي الحال؟ قال: وما عليك أن تنوي ذاك، فإن شفاك الله مضيت لوجهك، وإن حال بينك وبينه أجل كتب لك نيتك. [تهذيب الحلية (٢/١٨١)]

* وعن زُبَيد بن الحارث الياامي رضي الله عنه (ت: ١٢٢) قال: يسرني أن يكون لي في كل شيء نية حتى في الأكل والنوم.

[الزهد لابن المبارك (ص٦٤)]

* وعن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: ما ضربت ببصري، ولا نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت على قدمي، حتى أنظر: على طاعة أو على معصية، فإن كانت طاعة تقدمت، وإن كانت معصية تأخرت. [ابن أبي الدنيا (١/٢٣١)]

* وقال محمد بن الفضل البلخي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣١٩): ما خطوت منذ أربعين سنة خطوة لغير الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١). [جامع العلوم والحكم (١٠٠ - ١٠١)]



(١) قال ابن رجب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فهؤلاء القوم لما صلحت قلوبهم، فلم يبق فيها إرادة لغير الله، صلحت جوارحهم فلم تتحرك إلا لله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبما فيه مرضاته، والله أعلم. «جامع العلوم والحكم» (١٠٠ - ١٠١).

رفعة الله للمؤمنين والصالحين

* قال عمر رضي الله عنه (ت: ٢٣): كان أبو بكر سيدنا وأعتق بلائاً

(ت: ٢٠) سيدنا، رضي الله عنه. [صحيح البخاري (٣٧٥٤)]

* وقدم هارون الرشيد الرقة فأنجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك رحمته الله (ت: ١٨١) وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة، وأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج من قصر الخشب، فلما رأت الناس قالت: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان قدم الرقة يقال له: عبد الله بن المبارك.

فقلت: هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان.

* ودخل سالم بن عبد الله رحمته الله (ت: ١٠٦) على سليمان بن عبد الملك، وعلى سالم ثياب غليظة رثة فلم يزل سليمان يُرحب به، ويرفعه حتى أقعده معه على سرير، وعمر بن عبد العزيز في المجلس، فقال له رجل من أخريات الناس: ما استطاع خالك أن يلبس ثياباً فاخرة أحسن من هذه، يدخل فيها على أمير المؤمنين؟ قال: وعلى المتكلم ثياب سريّة، لها قيمة، فقال له عمر: ما رأيت هذه الثياب التي على خالي وضعت في مكانك، ولا رأيت ثيابك هذه رفعتك إلى مكان خالي ذاك.

[تهذيب السيرة (٥٣٢/٢)]

كرامات العلماء والصالحين وحفظ الله لهم

* عن سلمان الفارسي رضي الله عنه (ت: ٣٣) قال: إنما مثل المؤمن في الدنيا كمثل المريض معه طبيبه الذي يعلم داءه ودواءه، فإذا اشتهى ما يضره منعه وقال: لا تقربه، فإنك إن أتيتَه أهلكك، فلا يزال يمنعه حتى يبرأ من وجعه، وكذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة مما قد فضل به غيره من العيش، فيمنعه الله وَجَلَّ إِيَاهُ، ويحجزه حتى يتوفاه، فيدخله الجنة.

[صفة الصفوة (١/٢٥٨)]

* وقال حذيفة رضي الله عنه (ت: ٣٦): إن الله تعالى ليحمي المؤمن من الدنيا، كما يحمي أهل المريض مريضهم الطعام. [تهذيب الحلية (١/٢٠٦)]

* وقال ابن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى ييسر له، فينظر الله إليه فيقول للملائكة: اصرفوه عنه، فإني إن يسرته له أدخلته النار فيصرفه الله عنه، فيظل يتطير، يقول: سبني فلان، دهاني فلان، وما هو إلا فضل الله وَجَلَّ.

[الجامع المنتخب (١٤٠)]

* وعن محمد بن كعب رضي الله عنه (ت: ١٠٨) قال: من قرأ القرآن مُتَّع بعقله، وإن بلغ مائتي سنة.

* وقال الحسن رضي الله عنه (ت: ١١٠): مَنْ أَحْسَنَ عِبَادَةَ اللَّهِ فِي شَبَابِهِ لَقَّاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فِي سِنِّهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَأَيْنَتْهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٤]. [الفصص: ١٤]. [عيون الأخبار (٢/٥٢٠)]

- * وعن محمد بن المنكدر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٠) قال: إن الله ليصلح
بصلاح العبد ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته، والدويرات التي حوله
ما دام فيهم. [الزهد لابن المبارك (٣١٤)]، [صفة الصفوة (٣/٤٨٠)]
- * وعن خيثمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٨٠) قال: طوبى للمؤمن كيف يحفظ في
ذريته من بعده. [تهذيب الحلية (٢/٦٤)]



التخفي وكتمان الأعمال الصالحة

أ - الحرص على الخمول وعدم البروز والظهور:

* عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه (ت: ٦٢) قال: شهدتُ خير، وكنْتُ فيمن صعد الثُّلْمة، فقاتلتُ حتى رُئي مكاني، وعليَّ ثوبٌ أحمر، فما أعلمُ أني ركبْتُ في الإسلامِ ذنباً أعظمَ عليَّ منه - أي: الشهرة - .

[تهذيب السَّير (١/٢٩١)]

* وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ (ت: ١٨)؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ» فَاسْتَغْفِرُ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ.

[صحيح مسلم (٢٥٤٢)]

* وكان بشر بن منصور رضي الله عنه (ت: ١٨٠) يصلي يوماً فأطال الصلاة، ورأى رجلاً ينظر إليه ففطن له بشر، فقال للرجل: لا يعجبك

ما رأيت مني، فإن إبليس قد عبد الله مع الملائكة كذا وكذا.

[تهذيب الحلية (٢/٣٣١)]

* وذكر لمسلم بن يسار رضي الله عنه (ت: ٩٩) قلة التفاته في الصلاة،

فقال: وما يدريكم أين قلبي؟ [صفة الصفوة (٣/١٦٩)]

* وعن الأعمش قال: كان إبراهيم النخعي رضي الله عنه (ت: ٩٦) يتوقى

الشهرة، فكان لا يجلس إلى الأسطوانة، وكان إذا سئل عن مسألة لم يزد عن جواب مسألته، فأقول له في الشيء يسأل عنه، أليس فيه كذا وكذا؟ فيقول: إنه لم يسألني عن هذا. [تهذيب الحلية (٢/٨٩)]

* وكان جواب التميمي يرتعد عند الذكر، فقال له إبراهيم

النخعي: إن كنت تملكه فما أبالي أن لا أعتد بك، وإن كنت لا تملكه فقد خالفت من هو خير منك. [تهذيب الحلية (٢/٩٣)]

* وقال إبراهيم النخعي رضي الله عنه: إن كانوا ليكرهون إذا اجتمعوا أن

يُخرج الرجل أحسن ما عنده. [الزهدي لابن المبارك (١٣٣)]

* وقال أيوب السخيتاني رضي الله عنه (ت: ١٣١): ذكرت وما أحب أن

أذكر. [صفة الصفوة (٣/٢١٠)]

* وعن إبراهيم بن أدهم (ت: ١٧٠) وأيوب السخيتاني رحمهما الله

قالا: ما صدق الله عبدٌ أحبَّ الشهرة. [تهذيب السير (٢/٧٠٨، ٢/٦٢٥)]

قال الذهبي رضي الله عنه (ت: ٧٤٨): علامة المخلص الذي قد يحبُّ

شهرةً، ولا يشعرُ بها، أنه إذا عوتبَ في ذلك، لا يحرُدُّ ولا يُبرئ نفسه؛ بل يعترفُ، ويقول: رَحِمَ اللهُ مَنْ أهدى إليَّ عيوبي، ولا يكن معجباً بنفسه، لا يشعرُ بعيوبها؛ بل لا يشعر أنه لا يشعر، فإن هذا داءٌ مُزمن.

[تهذيب السير (٢/٧٠٨)]

* وقال سفيان الثوري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٦١): أحب أن أعرف الناس ولا يعرفوني.

[ابن أبي الدنيا (٥٢٩/٦)]

* وقال الحسن: كنت مع عبد الله بن المبارك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٨٤) يوماً فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فَرَحَمَوه ودفعوه فلما خرج قال لي: ما العيش إلا هكذا - يعني: حيث لم نَعْرِفْ ولم نُوقَّرْ -.

[صفة الصفوة (٣٧٢/٤)]

* وقال عبدة بن سليمان المروزي: كنا سريةً مع ابن المبارك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصقان، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فطارده ساعةً قطعته فقتله فازدحم إليه الناس، فنظرتُ فإذا هو عبد الله بن المبارك، وإذا هو يكتُم وجهه بكممه، فأخذت بطرف كفه فمددته، فإذا هو هو، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يُسَنِّع علينا!

[تهذيب السير (٧٦٧/٢)]

* وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧): إن قدرت أن لا تُعرف فافعل، وما عليك إن لم يُثن عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً؟

[تهذيب الحلية (٧/٣)]

* وعن سُحنون رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٤٠) قال: كان بعضُ من مضى يُريد أن يتكلَّم بالكلمة ولو تكلم بها لا انتفع بها خلقٌ كثير، فيحبسها، ولا يتكلَّم بها مخافةً المباهاة.

[تهذيب السير (٩٨٣/٣)]

* وكان أبو العالية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام فتركهم.

[تهذيب السير (٤٧٩/١)]

* وقال بشر بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٢٧): لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس. [تهذيب الحلية (٣/٩٤)]

* وعن الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: إن كان الرجل ليكون فقيهاً جالساً مع القوم فيرى بعض القوم أن به عيباً وما به من عيبٍ إلا كراهية أن يشتهر. [الزهد لأحمد (٤٤٦)]

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزُّور وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواماً ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدر على أن يعملوه في سرٍّ فيكون علانية أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع لهم صوت، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم وَعَلَى، وذلك أن الله تعالى وَعَلَى يقول: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، وذلك أن الله تعالى ذكر عبداً صالحاً فرضي قوله فقال: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]. [تفسير الطبري (١٢/٤٨٥)]

* وقال الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤): لوددت أن الخلق يتعلمون مني ولا يُنسب إليّ منه شيء. [صفة الصفوة ٢/٥٥٣]

* وعن حسان بن عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣٠) قال: صلاة الرجل عند أهله من عمل السرِّ. [تهذيب الحلية (٢/٢٦٦)]

* وقال ابن المبرد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخبرت عن القاضي علاء الدين بن اللحام أنه قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذكر لنا مرة الشيخ - يعني: الحافظ ابن رجب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٩٥) - مسألة فأطنب فيها، فعجبتُ من ذلك، ومن إتقانه لها، فوَقَّعت بعد ذلك بمحضرٍ من أرباب المذاهب وغيرهم، فلم يتكلم فيها

الكلمة الواحدة، فلما قام قلت له: أليس قد تكلمت فيها بذلك الكلام؟
قال: إنما أتكلم بما أرجو ثوابه، وقد خفت من الكلام في هذا
المجلس. [الجوهر المنضد (٥٢)]

ب - كتمان الأعمال الصالحة:

* قال الزبير بن العوام رضي الله عنه (ت: ٣٦): من استطاع أن تكون له
خبئة من عمل صالح فليفعل. [الزهد لأبي داود (١٢٢)]

* وبكى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (ت: ٣٦) في صلاته، فلما فرغ
التفت فإذا رجل خلفه، فقال: لا تعلمن هذا أحداً. [المنتظم (١٠٦/٥)]

* وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢) إذا كان يوم صوم
أحدكم فليصبح دهيناً مترجلاً^(١).

[الزهد لأحمد (٢٩٢)]، [صحيح البخاري موقوفاً]

* وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه (ت: ٥٠) قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ
النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ، بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ^(٢)، فَتَقَبَّتْ^(٣) أَقْدَامَنَا،
وَنَقَبَتْ قَدَمَايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، وَكُنَّا نَلْفُ عَلَى أَرْجَلِنَا الْخِرْقَ،
فَسُمِّيتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَاعِ؛ لَمَا كُنَّا نَعْصَبُ^(٤) مِنَ الْخِرْقِ عَلَى أَرْجَلِنَا.

قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: وَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا الْحَدِيثِ ثُمَّ كَرِهَ ذَلِكَ، وَقَالَ:
مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكَرَهُ؟

كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه

[صحيح البخاري (٤١٢٨)]، [صحيح مسلم (١٨١٦)]

(١) لثلا يرى الناس أنه صائم.
(٢) أي: نركبه بالتناوب.
(٣) أي: تشققت.
(٤) أي: نلف ونشد.

* وأتى أبو أمامة رضي الله عنه (ت: ٨٦) على رجل في المسجد وهو ساجد يبكي في سجوده، ويدعو ربه، فقال أبو أمامة: أنت أنت، لو كان هذا في بيتك. [الزهد لابن المبارك (١٥٠)]

* وكان عمرو بن قيس رضي الله عنه (ت: ١٤٦) إذا حضرته الرقة يحول وجهه إلى الحائط، ويقول لجلسائه: ما هذا الزكام. [صفة الصفوة (٨٧/٣)]

* وكان أيوب السخيتاني رضي الله عنه (ت: ١٣١) يقوم الليل يُخفي ذلك، فإذا كان قبيل الصبح رفع صوته، كأنه إنما قام تلك الساعة.

[صفة الصفوة (٢١٠/٣)]

* وكان ابن المبارك رضي الله عنه (ت: ١٨١) إذا رقق فخاف أن يظهر ذلك منه قام، وربما أخذ في حديث آخر. [ابن أبي الدنيا (٢٠١/٣)]

* وكان حسان بن أبي سنان رضي الله عنه (ت: ١٥١) يحضر مسجد مالك بن دينار رضي الله عنه، فإذا تكلم مالك بكى حسان حتى يبيل ما بين يديه، لا يُسمع له صوت. [ابن أبي الدنيا (٢٠٢/٣)]

* وقال محمد بن واسع رضي الله عنه (ت: ١٢٣): لقد أدركت رجلاً كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة، قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجلاً يقوم أحدهم في الصف، فتسيل دموعه على خده، ولا يشعر به الذي إلى جانبه.

[تهذيب الحلية (٤١٢/١)]

* ودخل رجلٌ على إبراهيم النخعي رضي الله عنه (ت: ٩٦) وهو يقرأ في المصحف فغطاه، وقال: لا يرى هذا أنني أقرأ فيه كل ساعة.

[الزهد لوكيع (٣١٧)]

* وعن أبي حازم (ت: ١٤٠) وبشر بن الحارث (ت: ٢٢٧)

رحمهما الله قالاً: اَكْتُمُ حَسَنَاتِكُمْ، كَمَا تَكْتُمُ سَيِّئَاتِكُمْ.

[تهذيب السَّيَر (٢/٦٣٧، ٢/٨٨٦)]

* وعن عبد الله بن داوود الخُرَيْبِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢١٣) قال: كانوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ خَبِيئَةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ لَا تَعْلَمُ بِهِ زَوْجَتُهُ وَلَا غَيْرُهَا.

[تهذيب السَّيَر (٢/٨٢٧)]

* وعن الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيَجْلِسَ الْمَجْلِسَ فَتَجِيئَهُ عِبْرَتُهُ فِيرِدُهَا فَإِذَا خَشِيَ أَنْ تَسْبِقَهُ قَامَ.

[الزهد لأحمد (٤٤٨)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا ابْنَ آدَمَ إِنْ لَكَ قَوْلًا وَعَمَلًا، وَسِرًّا وَعِلَانِي، وَعَمَلُكَ أَوْلَى بِكَ مِنْ قَوْلِكَ، وَسِرُّكَ أَوْلَى بِكَ مِنْ عِلَانِيَّتِكَ.

[الزهد لأحمد (٤٧٦)]

ج - الحذر من تصنع الزهد والخمول وصالح الأعمال:

* عن علقمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٢)، فَأَتَانِي بِشْرَابٍ، فَقَالَ: نَاولُوا الْقَوْمَ، فَقَالُوا: نَحْنُ صِيَامٌ، فَقَالَ: «لَكِنِّي لَسْتُ بِصَائِمٍ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [التَّوْر: ٣٧].

[الزهد لابن المبارك (١١٠٤)]

* وقال عبد الله بن المبارك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٨١): كُنْ مُحِبًّا لِلْخُمُولِ كِرَاهِيَةَ الشَّهْرَةِ، وَلَا تَظْهَرِ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ تَحِبُّ الْخُمُولَ فَتَرْفَعِ نَفْسَكَ، فَإِنَّ دَعْوَاكَ الزُّهْدِ مِنْ نَفْسِكَ هُوَ خُرُوجُكَ مِنَ الزُّهْدِ؛ لِأَنَّكَ تَجَرَّ إِلَى نَفْسِكَ الثَّنَاءَ وَالْمَدْحَةَ.

[صفة الصفوة (٤/٣٧٢)]

* وقال أيوب السَّخْتِيَانِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣١): لِيَتَّقِ اللَّهُ رَجُلٌ، فَإِنْ زُهِدَ فَلَا يَجْعَلَنَّ زُهْدَهُ عَذَابًا عَلَى النَّاسِ، فَلَا أَنْ يُخْفِيَ الرَّجُلُ زُهْدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُعْلِنَهُ.

[تهذيب السَّيَر (٢/٦٢٦)]

بر الوالدين وصلة الرحم

* قال عمر رضي الله عنه (ت: ٢٣): تعلموا أنسابكم لتصلوا أرحامكم.

[الزهد لهناد (٩٩٦)]

* وإنما منع أويس بن عامر رضي الله عنه (ت: ١٨) أن يقدّم على

رسول الله صلى الله عليه وآله برّه بأمه.

[تهذيب الحلية (١/٣٠٠)]

* وقيل لعمر بن ذر رضي الله عنه (ت: ١٥٣): كيف كان برّ ابنك بك؟

قال: ما مشيتُ نهاراً قط إلا مشى خلفي، ولا ليلاً إلا مشى أمامي، ولا رقيّ سطحاً وأنا تحته.

[عيون الأخبار (٣/١٠١)]

* وقال محمد بن المنكدر رضي الله عنه (ت: ١٣٠): بات عمر؛ يعني:

أخاه، يصلي وبتّ أغمز رجل أمي، وما أحب أن ليلتي بليته.

[صفة الصفوة (٢/٤٨٠)]

* وكان محمد سيرين رضي الله عنه (ت: ١١٠) إذا دخل على أمه لم

يكلمها بلسانه كلّ تخشعاً لها.

[صفة الصفوة (٣/١٧٣)]

* ودخل عليه رجلٌ وهو عند أمه، فقال: ما شأن محمد؟ يشتكي

شيئاً؟ فقالوا: لا ولكن هكذا يكون إذا كان عند أمه. [صفة الصفوة (٣/١٧٣)]

* وقال بُندار رضي الله عنه (ت: ٢٥٢): أردتُ الخروجَ - يعني: الرحلة -

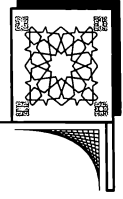
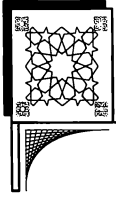
فمنعتني أمي، فأطعتها، فبورك لي فيه.

[تهذيب السيرة (٣/٩٨٩)]

* وعن أبي بكر بن عياش قال: ربما كنت مع منصور بن المعتمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٢) في منزله جالساً، فتصيح به أمه، وكانت فظة غليظة، فتقول: يا منصور يريدك ابن هبيرة على القضاء فتأبى عليه؟! وهو واضع لحيته على صدره ما يرفع طرفه إليها. [تهذيب الحلية (١٣٦/٢)]

* وقال الإمام أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١): برّ الوالدين كفارةٌ للكبائر. [الآداب الشرعية (١/٤٦٣)]





حال السلف مع الفتن والمحن

أ - حالهم مع فتن المصائب والأمراض، والصبر عليها:

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣): وجدنا خير عيشنا

الصبر. [صحيح البخاري معلقاً، الزهد لوكيع (١٩٨)]

* وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت: ٤٠): ألا إن الصبر من

الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس باد الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له. [ابن أبي الدنيا (٢٣/٤)]

• وقال رضي الله عنه:

إِنِّي رَأَيْتُ وَفِي الْأَيَّامِ تَجْرِبَةً لِلصَّبْرِ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةٌ الْأَثَرِ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي شَيْءٍ تَطَلَّبَهُ وَاسْتَشَعَرَ الصَّبْرَ إِلَّا فَارَّ بِالظَّفْرِ

[الآداب الشرعية (١٢٣/٢)]

* وعن عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنه:

ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: إني أضرع وإني أتكشّف، فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك» قالت: أصبر، قالت: فإني أتكشّف فادع الله أن لا أتكشّف فدعا لها.

[صحيح البخاري (٥٦٥٢)]، [صحيح مسلم (٢٥٧٦)] واللفظ له

* وعن سعيد بن وهب قال: دخلت مع سلمان الفارسي رضي الله عنه (ت: ٣٣) على صديق له من كندة نعوده، فقال له سلمان: إن الله عز وجل يتلي عبده المؤمن بالبلاء، ثم يعافيه فيكون كفارةً لما مضى، فَيَسْتَعْتَبُ^(١) فيما بقي، وإن الله عز وجل يتلي عبده الفاجر بالبلاء، ثم يعافيه فيكون كالبعير عَقَلَهُ^(٢) أهله، ثم أطلقوه فلا يدري فيم عقلوه، ولا فيم أطلقوه حين أطلقوه؟. [صفة الصفوة (١/٢٦٠)]

* وابتلي عمران بن حصين رضي الله عنه (ت: ٥٢) في جسده، فقال: ما أراه إلا بذنب، وما يعفو الله أكثر، وتلا ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]. [ابن أبي الدنيا (٤/٢٩٣)]

* وقال ابن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله. [الزهد لوكيع (٢٠٣)]

* وقال بعضهم: فتنة الضراء يصبر عليها البر والفاجر، ولا يصبر على فتنة السراء إلا صديق.

* ولما ابتلي الإمام أحمد رحمته الله (ت: ٢٤١) بفتنة الضراء صبر ولم يجزع، وقال: كانت زيادة في إيماني، فلما ابتلي بفتنة السراء جزع وخشي أن يكون نقصاً في دينه. [المنتخب من رسائل ابن رجب (٨٠)]

● وقال الشاعر:

اضْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلِّدِ
واضْبِرْ كَمَا صَبَرَ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرَ مُخَلِّدِ
فَإِذَا ذَكَرْتَ مُصِيبَةً تَشْجِي^(٤) بِهَا
نُوبٌ^(٣) تَنْوِبُ الْيَوْمَ تُكْشَفُ فِي غَدِ
فَإِذَا ذَكَرْتَ مُصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ

(١) أي: يرجع عن الإساءة ويتوب.

(٢) أي: مصائب.

(٣) أي: ربطه وشده أهله.

(٤) أي: تحزن.

وقال الآخر:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسَلْ اصْطَبَارًا وَحِسْبَةً سَلُوتَ عَلَى الْأَيَّامِ مِثْلَ الْبَهَائِمِ

[المجالسة وجواهر العلم (١٣٢)]

* وقال شريح القاضي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٨): إِنِّي لِأَصَابِ الْمُصِيبَةِ،

فَأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَيْهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، أَحْمَدُ إِذْ لَمْ يَكُنْ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَأَحْمَدُ إِذْ رَزَقَنِي الصَّبْرَ عَلَيْهَا، وَأَحْمَدُ إِذْ وَفَّقَنِي لِلِاسْتِرْجَاعِ لِمَا أَرْجُو مِنَ الثَّوَابِ، وَأَحْمَدُ إِذْ لَمْ يَجْعَلْهَا فِي دِينِي.

[تهذيب السير (١/٤٥٧)]

* وقال مالك بن دينار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣١): مَا مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ شَيْءٍ

إِلَّا دُونَهُ عَقَبَةٌ، فَإِنْ صَبَرَ صَاحِبُهَا أَفْضَتْ إِلَى رَوْحٍ، وَإِنْ جَزَعَ رَجَعَ.

[صفة الصفوة (٣/١٩٧)]

* وقال بعضهم:

إِنِ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَبَجَا
أَخْلَقُ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظِيَ بِحَاجَتِهِ وَمَدْمَنِ الْقَرَعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
لَا تِيَأْسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مَطَالِبُهُ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجًا

[عيون الأخبار (٣/١٢٢)]

* وعن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: إِنَّا إِنْ لَمْ نَوْجِرْ إِلَّا فِيَمَا

نَحَبُ قَلِّ أَجْرِنَا، وَإِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يَبْتَلِي الْعَبْدَ وَهُوَ كَارِهِ، فَيُعْطِيهِ عَلَيْهِ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ.

[ابن أبي الدنيا (٤/٢٤٠)]

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا

لعبد كريم عليه.

[ابن أبي الدنيا (٤/٢٤٤)]

* وعن ابن عون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦٠) قال: كل عمل له ثواب يُعرف إلا

الصبر، قال الله: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَرُ: ١٠].

[ابن أبي الدنيا (٤/٣٢)]

* وقال الشاعر:

والحادثات وإن أصابك بؤسها فهو الذي أنباك كيف نعيمها

[أدب الدين (٢٣٢)]

* وصدق القائل:

إني رأيتُ وفي الأيامِ تجربةً للصبْرِ عاقبةً محمودَةَ الأثرِ
وقلَّ من جدَّ في أمرٍ يحاولُهُ واستصحبَ الصَّبْرَ إلَّا فازَ بالظفرِ

[العقد الفريد (١/٢٠١)]

* وقال ابن المُقَفَّع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٤٤): الصبر صبران: فاللئام

أصبر أجساماً، والكرام أصبر نفوساً.

وليس الصبر الممدوح صاحبه أن يكون الرجل قوي الجسد على الكد والعمل؛ لأن هذا من صفات الحمير، ولكن أن يكون للنفس غلباً، وللأمور متحملاً. [أدب الدين (٤٦٢)]، [الأدب الكبير (١٠٤)]

* ولما أدخل إبراهيم التيمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٠٠) سجن الحجاج،

رأى قوماً مقرنين في الأغلال يقومون جميعاً ويقعدون جميعاً، فقال: يا أهل بلاء الله في نعمته، ويا أهل نعمته في بلائه، إن الله قد رآكم أهلاً أن يختبركم، فأروه أهلاً أن تصبروا له. [ابن أبي الدنيا (٤/٣٧)]

* وعن الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: سب رجل رجلاً من الصدر

الأول، فقام الرجل وهو يمسح العرق عن وجهه، وهو يتلو: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنَ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [٤٣].

قال الحسن: عَقَلَهَا وَاللَّهِ وَفَهَمَهَا، إِذْ ضَعِيحَهَا الْجَاهِلُونَ!

[ابن أبي الدنيا (٤٧/٤)]

* وقال قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٨): من لم يكن صابراً على البلاء لم يكن شاكراً على النعماء، ولو كان الصبر رجلاً لكان كريماً جميلاً.

[ابن أبي الدنيا (٥٩/٤)]

* ودخلوا على أحد السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد رفته بغلة فكسرت رجله فقال: لولا مصائب الدنيا لقدمنا على الله مفاليس. [تهذيب الحلية (٣/٣١٦)]

* وقال أبو العباس بن عطاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٠٩): القلب إذا اشتاق إلى الجنة أسرع إليه هدايا الجنة، وهي المكروه؛ لأن المكروه هدايا الجنة إلى أبدان الصادقين. [تهذيب الحلية (٤٠١/٣)]

* وقال أبو حازم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٠): كلّ نعمة لا تقرب من الله رَحِمَكَ فَهِيَ بَلِيَّةٌ.

[صفة الصفوة (٤٨٩/٢)]

* وعن طاووس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٦) قال: لم يجهد البلاء من لم يتول اليتامى، أو يكون قاضياً بين الناس في أموالهم، أو أميراً على رقابهم. [تهذيب الحلية (٣١/٢)]

* وعن أبي سعيد الخراز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٧٧) قال: العافية سترت البر والفاجر، فإذا جاءت البلوى يتبين عندها الرجال^(١).

[المنتظم (٢٨٢/١٢)]

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْفِتْنُ إِذَا عُرِفَ مَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ إِذَا أُدْبِرَتْ. فَأَمَّا إِذَا أَقْبَلَتْ فَإِنَّهَا تُزَيِّنُ، وَيُظَنُّ أَنَّ فِيهَا خَيْرًا، فَإِذَا ذَاقَ النَّاسُ مَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ وَالْمَرَارَةِ وَالْبَلَاءِ، صَارَ ذَلِكَ مُبَيِّنًا لَهُمْ مَصْرَتَهَا، وَوَاعِظًا لَهُمْ أَنْ يَعُودُوا فِي مِثْلِهَا. «منهاج السنة» (٤٠٩/٤).

ب - موقفهم من قتال الفتنة، وتوجيههم فيها:

* قيل لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (ت: ٦٠): ألا تقاتل فإنك من أهل الشورى، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك؟ فقال: لا أقاتل حتى تأتونني بسيف له عينان ولسان وشفتان، يعرف المؤمن من الكافر، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد. [تهذيب الجلية (١/٩٥)]

* وَلَمَّا قُتِلَ عُمَانُ بْنُ عَفَانَ رضي الله عنه خَرَجَ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه (ت: ٧٤) إِلَى الرَّبَذَةِ^(١)، وَتَزَوَّجَ هُنَاكَ امْرَأَةً، وَوَلَدَتْ لَهُ أَوْلَادًا، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا، حَتَّى قَبِلَ أَنْ يَمُوتَ بِلَيَالٍ، فَزَلَّ الْمَدِينَةَ. [صحيح البخاري (٧٠٨٧)]

* وعن حذيفة رضي الله عنه (ت: ٣٦) قال: إياكم والفتن، لا يشخص إليها أحد، فوالله ما شخص فيها أحد إلا نسفته، كما ينسف السيل الدمن، إنها مُسَبَّهَةٌ مُقْبَلَةٌ، حتى يقول الجاهل: هذه تشبهه، وتبين مدبرة. فإذا رأيتموها فاجثموا في بيوتكم، وكسروا سيوفكم، وقطعوا أوتاركم. [مُستدرِك الحَاكِم (٨٣٨٥)، وصححه الذهبي]

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه (ت: ٧٣) قال: إنما كان مثلنا في هذه الفتنة كمثل قوم كانوا يسرون على جادة يعرفونها، فبينما هم كذلك، إذ غشيتهم سحابة وظلمة، فأخذ بعضهم يميناً وشمالاً فأخطأ الطريق، وأقمنا حيث أدركنا ذلك، حتى جلى الله ذلك عنا، فأبصرنا طريقنا الأول، فعرفناه وأخذنا فيه، وإنما هؤلاء فتیان قريش، يقتتلون على هذا السلطان، وعلى هذه الدنيا، ما أبالي أن يكون لي ما يقتل بعضهم بعضاً بنعلي هاتين الجرداوين. [تهذيب الجلية (١/٢٢٠)]

(١) هو موضع بالبادية بين مكة والمدينة.

* وَأَتَاهُ رَجُلَانِ فِي فِتْنَةٍ ابْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ صَنَعُوا وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ، وَصَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ؟ فَقَالَ «يَمْنَعُنِي أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ دَمَ أَحِي» فَقَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٣٩]، فَقَالَ: «قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ، وَكَانَ الدِّينُ لِلَّهِ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللَّهِ».

[صحيح البخاري (٤٥١٣)]

وفي رواية: «إِنَّمَا كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ الدُّخُولُ فِي دِينِهِمْ فِتْنَةً، وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى الْمَلِكِ».

[صحيح البخاري (٤٦٥١)]

* وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا: سَفْكَ الدِّمِّ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ».

[صحيح البخاري (٦٨٦٣)]

* وعن يسير بن عمرو: أن أبا مسعود الأنصاري ﷺ (ت: ٤٢) لما قتل عثمان ﷺ احتجب في بيته، فدخلت عليه فسألته فقال: عليك بالجماعة، فإن الله لن يجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة، واصبر حتى يستريح برٌّ، ويُستراح من فاجر.

[ابن أبي الدنيا (٢٢/٤)]

* وقال مطرف ﷺ (ت: ٩٥): إن الفتنة ليست تأتي تهدي الناس، ولكن إنما تأتي تقارع المؤمن عن دينه، ولأن يقول الله: لم لا قُتلت فلاناً؟ أحب إليّ من أن يقول: لم قتلت فلاناً.

[تهذيب الحلية (١/٣٦٢)]

* وقال ﷺ: لأن آخذ بالثقة في القعود أحب إليّ من أن ألتمس فضل الجهاد بالتغريير.

[تهذيب السيرة (١/٤٧٥)]

ج - حالهم مع فتن الشهوات والنساء:

* قال سعيد بن المسيّب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٤): ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبَل النساء.

وقال - وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبَتْ إحدى عينيه وهو يعيش بالأخرى -: ما من شيء أخوف عندي من النساء.

[صفة الصفوة (٢/٤٣٨)]

* وعن عطاء بن أبي رباح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٢٠) قال: لو ائتمنت على بيت مال لكنتُ أميناً، ولا آمن نفسي على أمة شوهاء.

قال الذهبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٧٤٨): صدق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ففي الحديث: «أَلَا لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بامرأةٍ، فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ».

[تهذيب السير (٢/٥٨٣)]

* وقال حسان بن عطية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٠): ما أتيتُ أمةً قط إلا من قبَل نسايمهم^(١).

[ذم الهوى (١٣٤)]

* وعن ميمون بن مهران رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٧) قال: ثلاث لا تبلون نفسك بهنّ، لا تدخل على السلطان وإن قلت: أمره بطاعة الله، ولا تدخل على امرأة وإن قلت: أعلمها كتاب الله، ولا تصغين بسمعك لذي هوى، فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه؟

[تهذيب الجلية (٢/٥٤)]

* وقال سفيان الثوري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٦١): ائتمني على بيتٍ مملوء مالا، ولا تأتمني على جارية سوداء لا تحلّ لي.

[ذم الهوى (١٣٥)]

(١) أي: ما دلت أمة، وافتقرت، وكثرت فيها الفتن، وتسَلط عليها عدوها إلا بسبب تبرج نسايمها وترهنّ وافتتان الرجال بهنّ.

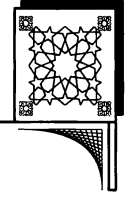
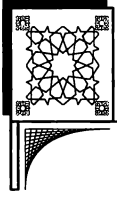
* وجاءته امرأة فقالت: إنني أريد أن أسألك عن شيء، فقال لها:
أجيفي الباب ثم تكلمي من وراء الباب. [ذم الهوى (١٣٥)]

* وقال ابن الجوزي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حدثنا عبد الله بن المبارك - وكان
عاقلاً - عن أشياخ أهل الشام رحمهم الله، قالوا: من أعطى أسباب الفتنة
من نفسه أولاً لم ينجُ آخرًا وإن كان جاهداً^(١). [ذم الهوى (١٤٤)]

* وقال الوزير ابن هبيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٥٦٠): احذروا مصارع
العقول عند التهاب الشهوات. [ذيل الطبقات (١٥٨/٢)]



(١) قال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فما استعين على التخلص من الشر بمثل البعد عن أسبابه ومظانه.
«عدة الصابرين» (٨٦).



عيادة المريض

* عن أبي العالية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) أنه دخل عليه غالب القطان يعبده، فلم يلبث إلا يسيراً حتى قام، فقال أبو العالية: ما أرفق العرب، لا تطيل الجلوس عند المريض، فإن المريض قد تبدو له حاجة فيستحي من جلسائه.

[ابن أبي الدنيا (٢٤٢/٤)]

* وقال طاووس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٦): خير العيادة أخفها.

[ابن أبي الدنيا (٢٤٢/٤)]

* وعن عبد الله بن أبي صالح قال: دخل عليّ طاووس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأنا مريض، فقلت: يا أبا عبد الرحمن أَدع لي، قال: أَدع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

[ابن أبي الدنيا (٢٤٤/٤)]

* وقال بعض السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال: من تمام العيادة: أن تضع يدك على المريض.

[ابن أبي الدنيا (٢٤٤/٤)]



موقف السلف من الحاجات الضرورية والكمالية

أ - موقف السلف من العمل والسعي في طلب الرزق:

* قالت عائشة رضي الله عنها: كان أبو بكر رضي الله عنه (ت: ١٣) من أتجر قريش حتى دخل في الإمارة. [ابن أبي الدنيا (٧/٤٥٣)]

* وكان محمد بن سيرين رضي الله عنه (ت: ١١٠) إذا أتاه رجل من العرب قال له: ما لك لا تتجر؟ كان أبو بكر رضي الله عنه تاجر قريش. [ابن أبي الدنيا (٧/٤٥١)]

* وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣) قال: مكسبة فيها بعض الدناءة خير من مسألة الناس. [ابن أبي الدنيا (٧/٤٧٥)]

* وعن الزهري قال: تصدق عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه (ت: ٣٢) على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألف، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة. [تهذيب الحلية (١/٩٧)]

* ومروّ سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه (ت: ٣٣) على رجل في السوق وقد اشترى وسقا من طعام فقال له: يا أبا عبد الله، تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فقال: إنَّ النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت وتفرغت للعبادة وأيسر
منها الوسواس . [تهذيب الجلية (١/١٦٦)]

* وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في بحر الروم، منهم طلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنهما. [ابن أبي الدنيا (٧/٤٥٤)]

* وعن حنظلة قال: رأيت سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه (ت: ١٠٦) يخرج إلى السوق، فيشتري حوائج نفسه. [صفة الصفوة (٢/٤٤٥)]

* وكانوا يدخلون على علقمة رضي الله عنه (ت: ٦٢)، وهو يقرع غنمه ويحلب ويعلف. [تهذيب الجلية (١/٣٠٧)]

* وقال مسلم: لقيني معاوية بن قرّة رضي الله عنه (ت: ٨٠)، وأنا جاء من الكلاء، فقال لي: ما صنعت؟ فقلت: اشتريت لأهلي كذا وكذا قال: وأصبت من حلال؟ قلت: نعم، قال: لأن أغدو فيما غدوت به أحب إلي من أن أقوم الليل وأصوم النهار.

[صفة الصفوة (٣/١٨٢)]، [ابن أبي الدنيا (٨/٩١)]

* وقال أيوب السختياني رضي الله عنه (ت: ١٣١): الزم سوقك فإنك لا تزال كريماً على إخوانك ما لم تحتج إليهم. [تهذيب الجلية (١/٤٣٤)]

ب - موقف السلف من اللباس والمتاع:

* قال عمر رضي الله عنه (ت: ٢٣): إذا وسّع الله فأوسعوا.

[صحيح البخاري (٣٦٥)]

* وعن أنس رضي الله عنه قال: رأيت بين كفتي عمر رضي الله عنه أربع رِقاع.

[ابن أبي الدنيا (٧/٤٨٧)]

* وعن سفيان الثوري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٦١) قال: كانوا يكرهون الشهرتين: الثياب الجياد التي يَشْتَهَرُ فيها ويرفع الناس فيها أبصارهم، والثياب الرديئة التي يُحْتَقَرُ فيها. [ابن أبي الدنيا (٧/٤٩١)]

* وقال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لجلسائه: رأيتُموني أخرت الصلاة! إنما ذاك ثيابي غَسِلْتَ فانتظرت جفوفها. [ابن أبي الدنيا (٧/٤٩١)]

* وعن الشعبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٠٣) قال: البس من الثياب ما لا يزدريك فيه السفهاء، ولا يعيبه عليك العلماء. [تهذيب الحلية (٢/١١٥)]

* وقال أبو العالية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٣): زارني رجل وعليه ثياب صوف، فقلت: هذا زي الرهبان، إن المسلمين إذا تراوروا تجملوا. [تهذيب الحلية (١/٣٦٧)]

* وعن مسلم بن يسار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٩) قال: إذا لبست ثوباً فظننت أنك في ذلك الثوب أفضل مما في غيره؛ فبئس الثوب هو لك. [تهذيب الحلية (١/٣٩٥)]

* وقال ابن السَّمَّك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٨٣) لأصحاب الصوف: والله إن كان لباسكم هذا موافقاً لسرائركم لقد أحببتم أن يطلع الناس عليها، وإن كان مخالفاً لها فقد هلكتم. [عيون الأخبار (١/٣٤٨)]

* وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال: ما أعلم أني رأيت أحداً أنظف ثوباً، ولا أشدَّ تعاهداً لنفسه في شاربته، وشعر رأسه، وشعر بدنه ولا أنقى ثوباً، وأشدَّه بياضاً من أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١). [صفة الصفوة (٢/٦٦)]

ج - موقف السلف من بعض العلوم غير الشرعية:

* قال الشافعي رحمته الله (ت: ٢٠٤): لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبلَ من الطَّبِّ، إلا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه.

[تهذيب السَّير (٢/٨٥٠)]

* وكان رحمته الله يتلهَّفُ على ما ضَيَّعَ المسلمون من الطَّبِّ، ويقول: ضَيَّعُوا ثلثَ العلم، ووكلوه إلى اليهود والنصارى. [تهذيب السَّير (٢/٨٥٠)]

د - موقف السلف من النكاح:

* عن طاووس رحمته الله (ت: ١٠٦) قال: لا يَتِمُّ نُسْكُ الشَّابِّ حتى يتزوج.

[تهذيب السَّير (١/٥٧٩)]

هـ - موقف السلف من بناء البيوت والقصور

* عن عبد الله الرومي قال: دخلتُ على أم طلق، فرأيت سقفاً بيتهما قصيراً، فقلت لها: يا أم طلق، ما لي أرى سقفاً بيتك قصيراً؟ قالت: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣) كتب إلينا: لا تطيلوا بناءكم، فإنه من شر أيامكم.

[ابن أبي الدنيا (٣/٣٦٤)]

* وعن قيس بن أبي حازم قال: دخلنا على خباب بن الأرت رضي الله عنه (ت: ٣٧) نعوده وقد اكتوى سبع كيات، فقال: إن أصحابنا الذين سلفوا مضوا ولم تنقصهم الدنيا، وإننا أصبنا ما لا نجد له موضعاً إلا التراب^(١)، ولولا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به، ثم أتينا مرة أخرى وهو بيني حائطاً له فقال: إن المسلم ليؤجر في كل شيء

(١) أي: الإنفاق في البنيان.

ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب - يعنى: البنيان - (١).

[صحيح البخاري (٥٦٧٢)]

* وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (ت: ٦٠): ثلاثة سعادة، وثلاثة شقاوة، فأما السعادة: فامرأة سالحة مواتية، ودابة تضعك من أصحابك حيث أحببت، ومسكن واسع كثير المرافق، وأما الشقاوة: فامرأة سيئة الخلق، ودابة سوء، إن أردت أن تلحق أصحابك أتعبتك، وإن تركتها خلفتك عن أصحابك، ومسكن ضيق قليل المرافق. [ابن أبي الدنيا (٤٦٧/٧)]

* وعن إبراهيم التيمي رضي الله عنه (ت: ١٠٠) قال: إن الرجل إذا كان له مال، فمنع حقه، سُلط على أن يُنفقه في الماء والطين، وإن العبد ليؤجر في نفقته كلها إلا فيما يجعله في البناء والطين.

[ابن أبي الدنيا (٣٥٤/٣)]

و - الموازنة بين أعمال الدنيا وأعمال الآخرة:

* عن عمر بن قيس قال: كنت إذا نظرت إلى عبد الله بن الزبير رضي الله عنه (ت: ٧٣) في أمر دنياه قلت: هذا رجل لم يرد الله طرفه عين، وإذا نظرت إليه في أمر آخرته قلت: هذا رجل لم يرد الدنيا طرفه عين.

* وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه (ت: ٧٣): احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً. [ابن أبي الدنيا (٤١٢/٧)]

(١) قال ابن بطال رضي الله عنه: ومعنى الحديث: أن من بنى ما يكتنه ولا غنى به عنه فلا يدخل في معنى الحديث بل هو مما يؤجر فيه، وإنما أراد خباب من بنى ما يفضل عنه ولا يضطر إليه فذلك الذي لا يؤجر عليه لأنه من التكاثر الملهي لأهله. «شرح صحيح البخاري» (٣٨٩/٩).

* وقالت أم عباد: كنا نسمع بكاء ابن سيرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) بالليل وضحكته بالنهار. [صفة الصفوة (٣/١٧٥)]

* وعن بلال بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٢٠) قال: أدركتهم يشتدون بين الأغراض، ويضحك بعضهم إلى بعض، فإذا كان الليل كانوا رهباناً. [الزهد لأحمد (٣٧٠)]

* وعن سعيد بن إياس الجُريري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٤) قال: كانوا يجعلون أول نهارهم لقضاء حوائجهم، وإصلاح معاشهم، وآخر النهار لعبادة ربهم وصلاتهم. [تهذيب الحلية (٢/٣١٥)]

ز - الاقتصاد وعدم الإسراف:

* قال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): ما رأيت تبذيراً إلا وإلى جانبه حق يضيع. [ابن الدنيا (٧/٤٧٩)]

* وكان يقال: حسن التدبير: مفتاح الرشد، وباب السلامة: الاقتصاد. [ابن الدنيا (٧/٤٤٧)]

* وكان يقال: الاقتصاد في كل شيء حسن حتى في المشي والقعود. [ابن الدنيا (٧/٤٤٨)]

ح - فوائد أخرى:

* قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): من اتجر في شيء ثلاث مرات فلم يُصب فيه فليتحول إلى غيره. [ابن أبي الدنيا (٧/٤٥٥)]

* وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: إذا لم يُرزق أحدكم في البلد فليتجر إلى بلدٍ غيره. [ابن أبي الدنيا (٧/٤٥٥)]

موقف السلف من المال

أ - ذم تعلق القلب بالمال:

* قَدِمَ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣) بمال في ولايته فجعل يتصفحه وينظر إليه، فهملت عيناه دموعاً فبكى، فقال له عبد الرحمن بن عوف: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إن هذا لمن مواطن الشكر، فقال عمر: إن هذا المال والله ما أُعطيهِ قوم إلا أُلقي بينهم العداوة والبغضاء.

[الزهد لابن المبارك (٧١٧)]، [ابن أبي الدنيا (٤٠٢/٧)] واللفظ له

* وعن أبي ذر رضي الله عنه (ت: ٣٢) قال: ذو الدرهمين أشد حساباً من ذي الدرهم.

* وقال الحسن البصري رضي الله عنه (ت: ١١٠): والله لقد أدركت أقواماً وإن كان أحدهم ليرث المال العظيم، قال: وإنه والله لمجهود شديد الجهد، قال: فيقول لأخيه: يا أخي إني قد علمت أن ذا ميراث وهو حلال ولكنني أخاف أن يفسد علي قلبي وعملي فهو لك لا حاجة لي فيه قال: فلا يرزأ منه شيئاً أبداً، قال: وهو والله مجهد شديد الجهد.

[الزهد لأحمد (٤٤٤)]

* وكان يحلف بالله: ما أعزَّ أحدُ الدرهم إلا أذَّله الله.

[تهذيب السَّير (٥٦١/٢)]

* وقال المتنبى (ت: ٣٥٤):

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ

[ديوان المتنبى (٢٢٦)]

* وقال أبو نواس (ت: ١٩٩):

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ وَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ

[عيون الأخبار (٣/١٨٣)]

ب - إبقاء شيءٍ من المال للورثة:

* مرض ابن عمر رضي الله عنهما (ت: ٧٣) فذكر له الوصية فقال: أما ما

لي فالله أعلم ما كنت أفعل فيه، وأما رباعي وأرضي فإني لا أحب أن يشارك ولدي فيها أحد.

[ابن أبي الدنيا (٧/٤٩٦)]

* وترك ابن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢) سبعين ألفاً.

[ابن أبي الدنيا (٧/٤٩٥)]

* وكان جميع مال الزبير رضي الله عنه (ت: ٣٦) خمسين ألف ألف.

[ابن أبي الدنيا (٧/٤٩٥)]

* ووصلحت امرأة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه (ت: ٣٢) على

ثمنها، ثلث الثمن: بثلاثمائة وثمانين ألفاً.

[ابن أبي الدنيا (٧/٤٩٦)]

* وعن عامر بن عبد قيس رضي الله عنه (ت: ٨٠) قال: ما من مال أعظم

أجراً من مالٍ تركه الرجل لولده يغنيهم عن الناس.

[ابن أبي الدنيا (٧/٤٩٦)]

* ومات الشعبي رضي الله عنه (ت: ١٠٣) وترك عشرة آلاف.

[ابن أبي الدنيا (٧/٤٩٦)]

تقديم الأولويات

* عن عبد الرحمن بن يزيد قال: ما رأيت فقيهاً قط أقل صوماً من عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢)، فقيل له: لم لا تصوم؟ قال: إني أختار الصلاة على الصوم، فإذا صمت ضعفت عن الصلاة.

[صفة الصفوة (١/٨٥)]

* وعن ابن عباس رضي الله عنه (ت: ٦٨) قال: لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهراً أو جمعةً أو ما شاء الله، أحب إلي من حجة بعد حجة، ولطبتُ بدانقٍ أهديه إلى أخ لي في الله أحب إلي من دينارٍ أنفقه في سبيل الله وَعَلَى.

[صفة الصفوة (١/٣٧٣)]

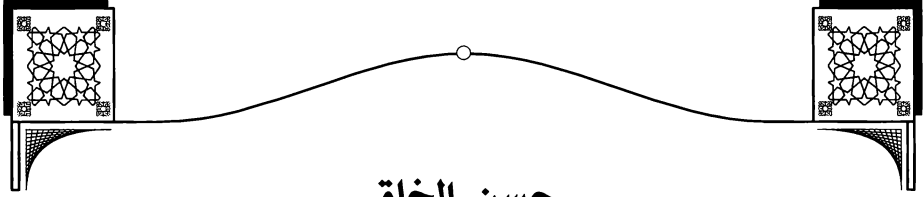
* وقيل لمالك بن أنس رضي الله عنه (ت: ١٧٩): ما تقول في طلب العلم؟ قال: حسن جميل، ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه.

[صفة الصفوة (٢/٥٠٤)]

* وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه (ت: ٢٠٥): كل من كان في شيء من التطوع يلذُّ به فجاء وقت فريضة فلم يقطع وقتها لذّة التطوع فهو في تطوعه مخدوع.

[تهذيب الحلية (٣/١٩٢)]





حسن الخلق

* عن أم الدرداء قالت: بات أبو الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢) الليلة يصلي فجعل يبكي ويقول: «اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي فَأَحْسِنْ خُلُقِي»، حتى أصبح، فقلت: يا أبا الدرداء ما كان دعاؤك منذ الليلة إلا في حسن الخلق؟

قال: يا أم الدرداء، إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ يَحْسُنُ خُلُقَهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ حَسَنُ خُلُقِهِ الْجَنَّةَ، وَيَسُوءُ خُلُقَهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ سُوءُ خُلُقِهِ النَّارَ.

[الزهد لأحمد (٢٦٤)]

* وكان ابن عمر رضي الله عنهما (ت: ٧٣) من أمزح الناس وأضحكه.

[ابن أبي الدنيا (٧/٥٣٠)]

* وسئل رضي الله عنه: هل كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون؟ قال: نعم! والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال. [جامع معمر بن راشد (٢٠٩٧٦)]

* وعن معاذ بن سعيد قال: كنا عند عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه (ت: ١٢٠) فتحدث رجل بحديث فاعترض له آخر في حديثه، فقال عطاء: سبحان الله، ما هذه الأخلاق؟! إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به، فأريه أنني لا أحسن منه شيئاً. [المنتظم (٧/١٦٥)]

* وقال عكرمة رضي الله عنه (ت: ١٠٥): لكل شيء أساس وأساس

الإسلام: الخلق الحسن. [صفة الصفوة (٢/٤٥٥)]

* وعن عون بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٢٣) أنه كان يقول: المؤمن موالف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف. [تهذيب الجلية (٢/٩٨)]

* وَسَفِيهَ رَجُلٍ عَلَى بَعْضِ السَّلَفِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَسَكَتَ عَنْهُ، وَقَالَ: يَا أَخِي لَوْ نَقَضْتَنِي كُلَّ نَفْسٍ لَمْ تَنْتَقِضْنِي كَنْقَاصِي عِنْدِي، ثُمَّ قَالَ: سَفِيهَ رَجُلٌ عَلَى إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣٨) فَاحْتَمَلَهُ وَقَالَ: لِأَيِّ شَيْءٍ تَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ؟ [صفة الصفوة (٤/٢٦٣)]

* وَقَالَ قَبِيصَةَ: كَانَ سُفْيَانَ الثَّوْرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٦١) مَزَاحًا، كُنْتُ أَتَأَخَّرُ خَلْفَهُ، مَخَافَةً أَنْ يَحِيرَّنِي بِمُزَاحِهِ. [تهذيب السيرة (١/٦٩٩)]

* وَرَأَيْتُ بَعْضَ السَّلَفِ فِي الْمَنَامِ، فَسُئِلَ عَنْ بَعْضِ إِخْوَانِهِ الصَّالِحِينَ، فَقَالَ: وَأَيْنَ ذَلِكَ، رُفِعَ فِي الْجَنَّةِ بِحَسَنِ خَلْقِهِ. [الجامع المنتخب (٦٧)]

* وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

وَمَا اكْتَسَبَ الْمُحَامِدَ طَالِبُوهَا بِمِثْلِ الْبَشْرِ وَالْوَجْهَ الطَّلِيْقَ

[عيون الأخبار (١/٧٨)]

● وَقَالَ زَهَيْرُ بْنُ عَبَادٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَا كُنْتُ أَقُولُ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ (ت: ١٧٩): رَحِمَكَ اللهُ إِلَّا قَالَ: وَأَنْتَ رَحِمَكَ اللهُ. وَإِذَا قُلْتُ لَهُ: عَافَاكَ اللهُ قَالَ: وَأَنْتَ عَافَاكَ اللهُ. حُسْنُ أَدَبٍ.

قالوا: كان أحسن الناس خلقاً مع أهله وولده، ويقول: في ذلك مرضاة لربك. [ترتيب المدارك (١/١٠٦)]

• وقال الشاعر:

قد يمكث الناس دهرًا ليس بينهم وُدٌّ فيزرعه التَّسليم واللِّطْفُ^(١)

* وسئل حكيم: من أدبك؟ قال: نظرت إلى جهل الجاهل

فاجتنبته. [المجالسة وجواهر العلم (٤٥٠)]

* وقال ابن المُقَفَّع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٤٤): حَقُّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَتَّخِذَ

مَرَاتِينَ؛ فَيَنْظُرَ مِنْ إِحْدَاهُمَا فِي مَسَاوِي نَفْسِهِ، فَيَتَصَاغَرَ بِهَا، وَيُصَلِّحَ مَا

اسْتَطَاعَ مِنْهَا، وَيَنْظُرَ فِي الْأُخْرَى فِي مُحَاسِنِ النَّاسِ، فَيَأْخُذُ مَا اسْتَطَاعَ

مِنْهَا. [الأدب الصغير (٣٧)]



(١) اللَّطْفُ: الْبِرُّ وَالتَّكْرِمَةُ. «العين» (٧/٤٢٩).

ذمّ سوء الخلق وبيان شرّ عواقبه

- * قال الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠): من ساء خُلُقُه عَذَّب نفسه. [ابن أبي الدنيا (٧/٧٧)]
- * وقال بعض السلف: **الْحَسَنُ الْخُلُقُ**: ذو قرابة عند الأجانب، **وَالسَّيِّئُ الْخُلُقُ**: أجنبيٌّ عند أهله. [المستطرف (١٦٥)]
- * وعن أبي حازم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٤٠) قال: السيِّئُ الخُلُقِ أشقى الناس به نفسه التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخل بيته، وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته فينفرون عنه، فرقاً منه، وحتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليأراه فينزو على الجدار، حتى إن قِطَه ليفرّ منه. [تهذيب السَّير (١/٦٣٧)]
- * وقال عبد الرحمن بن مهدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٩٨): ليتق الرجل دناءة الأخلاق كما يتقي الحرام. [تهذيب الحِلْيَة (٢/٣٣٠)]
- * ودخل رجلٌ من الزهاد على هارون الرشيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٩٣) يوماً، فقال: يا هارون، اتق الله، فأخذه فخلاً به، وقال: يا هذا أنصفتني، أنا شرُّ أم فرعون؟ قال: بل فرعون، قال: فأنت خير أم موسى؟ قال: بل موسى، قال: أفما تعلم أن الله تعالى لما بعثه وأخاه إليه قال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيْنَا﴾ وقد جبهتني بأغظ الألفاظ، فلا بأدب الله تأدبت، ولا بأخلاق الصالحين أخذت قال: أخطأت وأنا أستغفر الله، فقال: غفر الله لك، وأمر له بعشرين ألف درهم، فأبى أن يأخذها. [المنتظم (٨/٣٢٨)]

الحلم، والعفو، والصفح، وذم الغضب وعلاجه

* قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه (ت: ٤٠): أوّل عَوَضِ الحليم من حليمه أنّ الناس أنصاره على الجهول. [ابن أبي الدنيا (٢/٢٩)]

* وشتم رجلُ الحسن بن علي رضي الله عنه (ت: ٥٠) وأرَبى عليه، فقال له: أمّا أنتَ فما أبقيتَ شيئاً، وما يعلم الله أكثرُ. [عيون الأخبار (١/٣٣١)]

* وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه (ت: ٤٣): إني لأصبر على الكلمة لهي أشد عليّ من القبض على الجمر، ما يحملني على الصبر عليها إلا التخوف من أخرى شر منها. [ابن أبي الدنيا (٤/٣٨)]

* وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلع رجل من الأنصار، فلما كان الغد، قال النبي صلى الله عليه وآله، مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه وآله مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي صلى الله عليه وآله تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال: إني لآحيت^(١) أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت؟ قال: نعم، قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعار^(٢) وتقلب على فراشه ذكر الله تعالى وكبر، حتى يقوم لصلاة الفجر.

(٢) أي: أرق وتقلب في فراشه ليلاً.

(١) أي: خاصمت.

قال عبد الله: غير أنني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحقر عمله، قلت: يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ، فقال: ما هو إلا ما رأيت. قال: فلما وليت دعائي فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أنني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه.

فقال عبد الله هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطبق.

[مسند أحمد (١٢٦٩٧)] وقال محققوه: إسناده صحيح، [الزهد لابن المبارك (٦٩٤)]

* وقال الأحنف بن قيس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٧٢): لستُ بحليم ولكنني

أتحالم. [السِّيَر (٤٣/٥)]

* وصدق القائل:

أَوْكَلَّمَا طَنَّ الذُّبَابُ طَرْدُتُهُ إِنَّ الذُّبَابَ إِذَا عَلَيَّ كَرِيمٌ

[أدب الدين (٤٠٤)]

* وقال بعض البلغاء: ما ذبَّ عن الأعراض كالصفح والإعراض.

[أدب الدين (٤٠٢)]

* وقال بعض الشعراء:

وَفِي الْجِلْمِ رَدْعٌ لِلْسَّفِيهِ عَنِ الْأَذَى وَفِي الْخُرْقِ (١) إِغْرَاءٌ فَلَا تَكُ أَخْرَقَا

(١) الْخُرْقُ: الْجَهْلُ وَالْحُمُؤُ.

فَتَنَدَمَ إِذْ لَا تَنْفَعَنَّكَ نَدَامَةٌ كَمَا نَدِمَ الْمَغْبُونُ لَمَّا تَفَرَّقَا

[أدب الدين (٤٠٧)]

* وجاء رجل إلى علي بن الحسين رضي الله عنه (ت: ٩٤) فقال له: إن

فلاناً قد آذاك، ووقع فيك قال: فانطلق بنا إليه، فانطلق معه، وهو يرى أنه سينتصر لنفسه فلما أتاه قال: يا هذا إن كان ما قلت في حقِّ فغفر الله لي، وإن كان ما قلت في باطلاً فغفر الله لك. [صفة الصفوة (٤٤٨/٢)]

* وكان يقال: إياك وعِزَّة الغضب فإنها مُصيرتُك إلى ذلِّ الاعتذار.

[عيون الأخبار (١/٣٣٥)]

* وقال بعض الأدباء: غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل

في فعله.

وقال بعض الحكماء: إذا سكَّت عن الجاهل فقد أوسعته جواباً

وأوجعته عقاباً.

وقال بعض الشعراء:

وَلَلْكَفُّ عَنْ شْتِمِ اللَّئِيمِ تَكْرَمًا أَضْرُّ لَهُ مِنْ شْتِمِهِ حِينَ يَشْتُمُ

[أدب الدين (٤٠٨)]

* وقال بعضهم:

لا ترجعن إلى السفية خطابه إلا جواب تحية حياكها
فمتى تحركه تحرك جيفة تزداد نثناً إن أردت حراكها

[ابن أبي الدنيا (٢/٣٦)]

* وقال عروة بن الزبير رضي الله عنه (ت: ١٠٠): رُبَّ كلمة ذُلِّ احتملتها

أورثتني عزاً طويلاً. [صفة الصفوة (٢/٤٤١)]

* وعن الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: أفضل أخلاق المسلمين العفو.

[الزهد لابن المبارك (٦٥٢)]

* ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٠١)، فجعل يشكو إليه رجلاً ظلمه، ويقع فيه، فقال له عمر: إنك إن تلقي الله ومظلمتك كما هي، خير لك من أن تلقاه وقد انتقصتها.

[ابن أبي الدنيا (٢٢٥/٥)]

* وجاء رجل إلى بعض السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: إن فلاناً يقع فيك، قال: أقرئه السلام، وأعلمه أنه قد هيجني على الاستغفار.

[ابن أبي الدنيا (٢٢٥/٥)]

* وعن الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: المؤمن حلِيم لا يجهل، وإن جُهل عليه حلِيم لا يظلم، وإن ظُلم غفر لا يقطع، وإن قُطع وصل لا يبخل، وإن بُخل عليه صبر.

[ابن أبي الدنيا (٥٥/٢)]

* وكان رجلٌ يقع في عمر بن ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٥٣) ويشتمه، فلقيه عمر بن ذر فقال: يا هذا لا تفرط في شتمنا وأبقِ للصالح موضعاً، فإننا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه. [تهذيب الجلية (١٥٧/٢)]

* وأسمع رجلٌ عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٠١) كلاماً فقال له: أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً، انصرف رحمك الله.

[شعب الإيمان (٨٣٢٤)]

* وقال الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠): أربع من كنّ فيه عصمه الله من الشيطان، وحرمه على النار: من ملك نفسه عند الرغبة والرغبة والشهوة والغضب.

[جامع العلوم والحكم (١٩٣)]

* وقال جعفر بن محمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٨): الغضب مفتاح كل شرّ.
[جامع العلوم والحكم (١٩١)]

* وأغلظَ عبدٌ لسيده فقال: إني أصبِرُ لهذا الغلامِ على ما تَرُونَ لأرُوضَ نفسيَ بذلك، فإذا صَبَرْتُ للمملوكِ على المكروهِ كانتَ لغير المملوكِ أصبِرَ.
[عيون الأخبار (١/٣٣٢)]

* وجاء رجل إلى وهب بن منبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٤) فقال: إني مررت بفلان وهو يشتمك!

فغضب وقال: ما وجد الشيطان رسولاً غيرك، فما برح حتى جاءه ذلك الشاتم فسلم على وهب فرد عليه ومد يده وصافحه وأجلسه إلى جنبه.
[المنتظم (٧/١٤٢)]

* وقال أحمد بن أبي الحواري: قال لي أبو سليمان الداراني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٥): من أيّ وجه أزال العاقلُ اللَّائِمَةَ عَمَّنْ أساءَ إليه؟ قلت: لا أدري، قال: من أنه قد علم أن الله تعالى هو الذي ابتلاه به.
[صفة الصفوة (٤/٤٤٢)]

* وقد امتحن الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١) في أيّام المأمون ثمّ المُعتَصِمِ ثمّ الوائِقِ بسبب القرآن العظيم، وناله الكثير من الأذى، وأودِعَ السَّجْنَ نحواً مِنْ ثَمَانِيَةِ وَعَشْرِينَ شَهْرًا، وضرب أكثر من ثلاثين سوطاً، لكنّ كان ضرباً مُبرِّحاً شديداً جداً.
وأُعْمِيَ عَلَيْهِ وَذَهَبَ عَقْلُهُ مِرَاراً خِلالَ الضَّرْبِ.

وَجَعَلَ كُلَّ مَنْ سَعَى فِي أَمْرِهِ فِي حِلٍّ إِلَّا أَهْلَ الْبِدْعَةِ، وَكَانَ يَتَلُو فِي ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، وَيَقُولُ: مَاذَا يَنْفَعُكَ أَنْ يُعَذَّبَ أَخُوكَ الْمُسْلِمُ بِسَبَبِكَ؟ وَقَدْ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشُّورَى: ٤٠] وَيُنَادَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ»، فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا.

[البداية والنهاية (١١/٤٥ - ٤٧)]

• وكان رجلٌ يعرّض بالقاضي محمد بن بشير رحمته الله (ت: ١٩٨)، حتى بلغ ذلك ابن بشير، فقال له: إنَّ الشر لا يعجز عنه أحد، وإنَّ الخير لا يناله إلا أهل الصبر الجميل، فاقصّر عما بلغني عنك فإنه أجمل بك.
[ترتيب المدارك (١/٥١٧)]

* وقال ابن القلانسي: سمعت الشيخ تقي الدين رحمته الله (ت: ٧٢٨) يذكر ما كان بينه وبين السلطان من الكلام لما انفردا في ذلك الشباك الذي جلسا فيه، وأن السلطان استفتى الشيخ في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه، وأخرج له فتاوى بعضهم بعزله من الملك ومبايعة الجاشنكير، وأنهم قاموا عليك وآذوك أنت أيضاً! وأخذ يحثه بذلك على أن يفتيه في قتل بعضهم - وإنما كان حنقه عليهم بسبب ما كانوا سعوا فيه من عزله ومبايعة الجاشنكير - ففهم الشيخ مراد السلطان، فأخذ في تعظيم القضاة والعلماء، وينكر أن ينال أحداً منهم سوءً، وقال له: إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم. فقال له: إنهم قد آذوك؛ وأرادوا قتلك مراراً، فقال الشيخ: من آذاني فهو في حلٍّ، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي، وما زال به حتى حلم عنهم وصفح.

قال: وكان قاضي المالكية ابن مخلوف يقول: ما رأينا مثل ابن تيمية، حرّضنا عليه، فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا.
[البداية والنهاية (١٤/١٢٩)]

• وقال ابن القيم رحمته الله: وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت

أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه . وما رأيتَه يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم .

وجئت يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له، فنهزني وتَنَكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام، فسروا به ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه، فرحمه الله ورضي عنه . [مدارج السالكين (٣/١٣٩)]



مدارة الناس (١)

* عن محمد ابن الحنفية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٨٠) قال: ليس بحليم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بُدًّا، حتى يجعل الله له فرجاً.

[ابن أبي الدنيا (٥٢٢/٧)]

* وعن عروة بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٠٠) قال: مكتوب في الحكمة: لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطاً، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء.

[ابن أبي الدنيا (٥٢٦/٧)]

* وقال الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤): سياسة الناس أشد من سياسة الدواب.

[طبقات الشافعيين (٦٤/١)]

• وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى (ت: ٣٨٨):

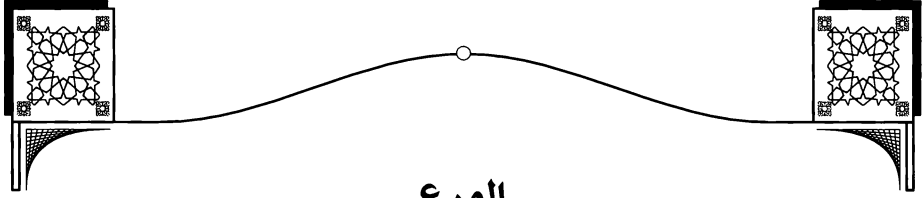
ما دمتَ حياً فدار الناس كلَّهم فإنما أنتَ في دار المداواة
من يَدْر داري ومن لم يَدْر سوف يَرى عما قليل نديماً للندامات

[الآداب الشرعية (٥٢/١)]

* وشكا رجل إلى مخلد بن الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٩١) رجلاً من أهل الكوفة، فقال: أين أنت عن المداواة، فإنني أداري، حتى أداري هذه - جارية حبشية تغربل شعير الفرس له - .

[تهذيب الجليبة (٦٣/٣)]

(١) المداواة: هي بذل الدنيا لصالح الدنيا أو الدين، وهي مباحة ومستحسنة في بعض الأحوال، والمداهنة المذمومة المحرمة: هي بذل الدين لصالح الدنيا.



الورع

أ - أهميّة الورع ومعناه:

* عن عائشة رضي الله عنها (ت: ٥٨) قالت: إن الناس قد ضيعوا أعظم دينهم: الورع.

[الزهد لأحمد (٣٦١)]

* وقال عبد الله بن المبارك رحمته الله (ت: ١٨١): لأن أردّ درهماً من شُبْهة أحبّ إليّ من أن أتصدّق بمائة ألف، حتى بلغ ستمائة ألف.

[صفة الصفوة (٣/٣٧٥)]

* وعن الضحاك رحمته الله (ت: ١٠٥) قال: أدركت الناس وهم يتعلمون الورع.

[ابن أبي الدنيا (١/١٩٩) واللفظ له]، [الزهد لوكيع (٢٢٣)]

* وعن ضمرة بن حبيب رحمته الله (ت: ١٣٠) قال: لا يعجبكم كثرة صلاة امرئ ولا صيامه، ولكن انظروا إلى ورعه، فإن كان ورعاً مع ما رزقه الله من العبادة، فهو عبد الله حقاً.

[ابن أبي الدنيا (١/٢٠٤)]

ب - قصص وأخبار السلف في الورع:

* عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: كان لأبي بكر رضي الله عنه (ت: ١٣) غلام يُخرج له الخراج^(١)، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيء

(١) أي: يأتي له بما يكسبه من الخراج، وهو ما كان يقرره السيد على عبده من مال يدفعه من كسبه.

فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت^(١) لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أنني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده، فقاء كل شيء في بطنه. [صحيح البخاري (٣٦٢٩)]

* وكانت لمعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه (ت: ١٨) امرأتان، فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ من بيت الأخرى، ثم توفيتا في السقم الذي أصابهما بالشام والناس في شغل، فدفنتا في حفرة، فأسهم بينهما أيتهما تقدم في القبر. [تهذيب الجلية (١/١٨٤)]

* وكان محمد بن سيرين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) إذا حدث كأنه يتقي شيئاً، كأنه يحذر شيئاً. [صفة الصفوة (٣/١٧١)]

* وقال ابن عون: سمعت محمد بن سيرين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول في شيء راجعته فيه: إني لم أقل لك ليس به بأس، إنما قلت لك: لا أعلم به بأساً. [صفة الصفوة (٣/١٧٢)]

* وعن هشام بن حسان قال: ترك محمد بن سيرين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أربعين ألف درهم في شيء ما ترون به اليوم بأساً. [صفة الصفوة (٣/١٧٣)]

* وأتي عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٠١) بماء قد سخن في فحم الإمارة، فكرهه ولم يتوضأ به. [تهذيب الجلية (٢/٢٢١)]

* وأتي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بغنائم مسك فأخذ بأنفه، فقالوا: يا أمير المؤمنين! تأخذ بأنفك لهذا! قال: إنما يُنتفع من هذا بريحه، فأكره أن أجد ريحه دون المسلمين. [ابن أبي الدنيا (١/٢٠٩)]

(١) الكهانة: هي الإخبار عما سيكون من غير دليل شرعي.

* وعن ميمون بن مهران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٧) قال: لا يسلم للرجل الحلال، حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال.

[تهذيب الحلية (٢/٥٤)]

ج - التنبيه على الورع الصحيح والخاطئ، ومن يليق به الورع:

* سأل رجل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) عن دم البعوض، فقال: ممن أنت؟ فقال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي ﷺ وسمعت النبي ﷺ يقول: «هما ريحانتي من الدنيا».

[صحيح البخاري (٥٩٩٤)]

* وقال محمد بن إبراهيم الأنماطي: كنتُ عند أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١) وبين يديه محبرة، فذكر حديثاً، فاستأذنته في أن أكتب من محبرته، فقال لي: اكتب يا هذا، فهذا ورعٌ مُظلم^(١).

[طبقات الحنابلة (٢/٢٣٢)]



(١) تورع محمد بن إبراهيم عن الكتابة من المحبرة التي بين يديه، ولم يعرف لمن هي، فطلب أن يكتب من محبرة الإمام أحمد، فلذلك سماه تورعاً مُظلماً.

الأدب والمرءة

* عن الزهري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٢٤) قال: كنا نأتي العالم فما نتعلم من أدبه أحب إلينا من علمه. [تهذيب الحلية (٢/٢٣)]

* وقال عبد الله بن المبارك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٨١): كاد الأدب يكون ثلثي الدين^(١). [صفة الصفوة (٤/٣٧٩)]

* وقال الإمام مالك بن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩) لفتى من قريش: يا ابن أخي تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم. [تهذيب الحلية (٢/٣٥٩)]

* وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قلت لأمي أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال فألبس ثياب العلم. فألبستني وعممتني.

ثم قالت لي: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه.

[ترتيب المدارك (١/١٣٠)]

* وقال ابن وهب: ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه. [تهذيب السيرة (٢/٧٣٧)]

• وقال الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤): لو علمت أن شرب الماء البارد ينقص مروءتي ما شربته إلا حاراً، وقال: أهل المرءة في جهْد.

[طبقات الشافعيين (١/٦٥)]

(١) وقال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: والأدب هو الدين كله. «مدارج السالكين» (٣/٢٠٠).

* وقال الذهبي: كان يجتمع في مجلس أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١) زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، نحو خمس مئة يكتبون، والباقون يتعلّمون منه حُسْنَ الأدب والسَّمْت. [تهذيب السِّير (٢/٩٤٧)]

* وقال ابن المُقَفَّع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٤): لا يعجبنيك إكرام من يكرمك لمنزلة أو سلطان؛ فإنَّ السلطان أوشك^(١) أمور الدنيا زوالاً، ولا يعجبنيك إكرام من يكرمك للمال؛ فإنه هو الذي يتلو السلطان في سرعة الزوال، ولا يعجبنيك إكرامهم إياك للنسب؛ فإنَّ الأنساب أقلُّ مناقب الخير غناء عن أهلها في الدين والدنيا.

ولكن إذا أُكْرِمت على دينٍ أو مروءة فذلك فليعجبك؛ فإنَّ المروءة لا تزايلك^(٢) في الدنيا، وإنَّ الدين لا يزايلك في الآخرة.

[الأدب الكبير (١١٧ - ١١٨)]

* وقال بعض الحكماء: الأدب صورة العقل، فصوّر عقلك كيف شئت . [أدب الدين (٣٦٨)]

* وقال الشاعر:

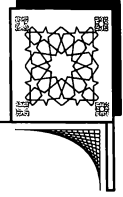
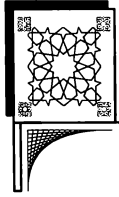
إِنَّ الْمُرُوءَةَ لَيْسَ يُدْرِكُهَا امْرُؤٌ وَرِثَ الْمَكَارِمَ عَنْ أَبِي فَأَصَاعَهَا
أَمْرَتُهُ نَفْسٌ بِالذَّنَاءَةِ وَالْحَنَا وَنَهَتْهُ عَنْ سُبُلِ الْعُلَا فَأَطَاعَهَا
فَإِذَا أَصَابَ مِنَ الْمَكَارِمِ حَلَّةً يَبْنِي الْكَرِيمُ بِهَا الْمَكَارِمَ بَاعَهَا

[أدب الدين (٥١٨ - ٥١٩)]



(١) أي: أسرع.

(٢) أي: لا تفارقك.



الحياء

أ - الحياء من الله :

* خطب أبو بكر رضي الله تعالى عنه (ت : ١٣) الناس فقال : يا معشر المسلمين استحيوا من الله ﷻ، فوالذي نفسي بيده، إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء متقنعا بثوبي استحياء من ربي ﷻ.

[الزهد لأحمد (٣٧١)]

* وقال أبو موسى رضي الله عنه (ت : ٥٠) : إني لأغتسل في البيت المظلم فما أقيم صليبي آخذاً ثوبي حياء من ربي ﷻ.

[الزهد لأحمد (٣٥٤)]

* وقال أبو سليمان الداراني رحمته الله (ت : ٢٠٥) : إذا استحيى العبد من ربه ﷻ فقد استكمل الخير.

[تهذيب الحلية (٣/١٨٣)]

ب - الحياء من الناس :

* خرج زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه (ت : ٤٥) يريد الجمعة، فاستقبله الناس راجعين، فدخل داراً فقيل له : أتستحي من الناس؟ فقال : إنه من لم يستح من الناس لم يستح من الله.

[الزهد لهناد (٢/٦٢٩)]

* وعن سلمان رضي الله تعالى عنه (ت : ٣٣) قال : إن الله تعالى إذا أراد بعبد شراً أو هلكة نزع منه الحياء، فلم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً، فإذا كان مقيتاً ممقتاً نزعت منه الرحمة، فلم تلقه إلا فظاً غليظاً، فإذا كان

كذلك نزعته منه الأمانة، فلم تلقه إلا خائناً مخوناً، فإذا كان كذلك نزعته ربة الإسلام من عنقه فكان لعيناً مُلَعَنًا. [تهذيب الجلية (١/١٦٤)]

* وقال بعض الحكماء: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

وقال الشاعر:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا واللّه ما في العيش خيراً ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء

[أدب الدين (٣٩٥)]

ج - الحياء من النفس:

* قال بعض الحكماء: ليكن استحيائك من نفسك أكثر من

استحيائك من غيرك.

* وقال بعض الأدباء: من عمل في السر عملاً يستحي منه في

العلانية فليس لنفسه عنده قدر. [أدب الدين (٣٩٩)]



الكرم، والجود، والإيثار

* قال عروة بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أسلم أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣) وله أربعون ألف درهم، فأخبرتني عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: توفي أبو بكر ولم يترك ديناراً ولا درهماً. [الزهد لأحمد (٢١٤)]

* وأخذ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) أربعمئة دينار، فجعلها في صرة، فقال للغلام اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٨). فذهب الغلام، قال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، قال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالني يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفذهما.

فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره، فوجده قد أعدّ مثلها لمعاذ بن جبل فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٨)، فذهب بها إليه قال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك فقال: رحمه الله ووصله، تعالني يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا، اذهبي إلى بيت فلان بكذا.

فاطلعت امرأته، فقالت: ونحن والله مساكين فأعطينا، ولم يبق في الخرق إلا ديناران، فدحا بهما إليها، فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره بذلك فقال: إنهم إخوةٌ بعضهم من بعض. [الزهد لابن المبارك (٤٧٢)]

* وكان أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول لولده: اذكروا صاحب

الرغيف، ثم ذكر أن رجلاً من بني إسرائيل عبدَ الله سبعين سنة، ثم إن الشيطان حَسَّن في عينيه امرأة فأقام معها سبعة أيام، ثم خرج هارباً فأقام مع مساكين فُتُصِّدَّق عليه برغيف كان بعض أولئك المساكين يريده، فأثره به ثم مات، فوزن عبادته بالسبعة الأيام التي مع المرأة فرجحت الأيام السبعة بعبادته، ثم وُزن الرغيف بالسبعة الأيام فرجح بها. [اختيار الأولى في شرح حديث اختصاص الملائة الأعلى (ص ٧٦) وصححه في جامع العلوم والحكم (٢/٥٢١)]

* وعن سعدى بنت عوف امرأة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه (ت: ٣٦) قالت: لقد تصدق طلحة يوماً بمائة ألف درهم، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفي ثوبه. [تهذيب الحلية (١/٩١)]

* وكان للزبير بن العوام رضي الله عنه (ت: ٣٦) ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فكان يقسمه كل ليلة، ثم يقوم إلى منزله وليس معه منه شيء. [تهذيب الحلية (١/٩٢)]

* وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه (ت: ٧٣) أعتق جاريته التي يقال لها: رُمَيْثَة، فقال: إني سمعت الله عز وجل قال في كتابه: ﴿لَنْ نَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُنفِقُوا مِمَّا نُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وإني والله إن كنت لأحبك في الدنيا، اذهبي، فأنت حرة لوجه الله. [صفة الصفوة (١/٢٦٩)]

* ولما اشتكى رضي الله عنه اشتهى حوتاً فصنع له، فلما وُضع بين يديه جاء سائل فقال: أعطوه الحوت، فقالت امرأته: نعطيه درهماً فهو أنفع له من هذا، واقتض أنت شهوتك منه، فقال: شهوتي ما أريد. [الزهد لهناد (٦٣٥)]، [صفة الصفوة (١/٢٧٠)]

* وأتي بعشرين ألفاً، فما قام من مجلسه حتى أعطها.

[الزهد لأبي داود (ص ٢٦٧)]

* وقال ابن عباس رضي الله عنهما (ت: ٦٨): ثلاثة لا أكافئهم:

رجل وسع لي في المجلس لا أقدر أن أكافئه ولو خرجت له من جميع ما أملك.

والثاني من اغبرت قدماء بالاختلاف إلي فإني لا أقدر أن أكافئه ولو قطرت له من دمي.

والثالث لا أقدر أكافئه حتى يكافئه رب العالمين عني من أنزل بي الحاجة لم يجد لها موضعاً غيري. [شعب الإيمان (١٠٣٨٢/١)]

* وقال عروة بن الزبير رضي الله عنه (ت: ١٠٠): إذا جعل أحدكم لله وَعَلَيْكَ شيئاً، فلا يجعل له ما يستحي أن يجعله لكريمه، فإن الله تبارك وتعالى أكرم الكرماء، وأحق من اختير له. [صفة الصفوة (١/٢٧٠)]

* وقال جعفر بن محمد رضي الله عنه (ت: ١٤٨): لا يتم المعروف إلا بثلاثة: بتعجيله وتصغيره وستره. [صفة الصفوة (٢/٤٩٧)]

* وقال بعض الحكماء: إذا اضطنعت المعروف فاستتره، وإذا اضطنعت إليك فأنشره. [تفسير القرطبي (٤/٣٦٢)]

• وكانت غلة سحنون بن سعيد رضي الله عنه (ت: ٢٤٠) في زيتونه خمسمائة دينار في السنة، فما تنقضي السنة إلا والديون عليه لكثرة صدقته ومعروفه. [ترتيب المدارك (٢/١٠٤)]

* وكان علي بن الحسين رضي الله عنه (ت: ٩٤) يُبَخِّل فلما مات، وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة. [صفة الصفوة (٢/٤٤٩)]

* وكان رضي الله عنه يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به، ويقول: إن صدقة السر تطفئ غضب الرب وَعَلَيْكَ. [صفة الصفوة (٢/٤٤٩)]

* ولما مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثارِ سُودٍ في ظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقالوا: كان يحمل جُرْبَ الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة. [صفة الصفوة (٢/٤٤٩)]

* وقال المهلب بن أبي صفرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٢): العجب لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه. [الكامل في اللغة (٤١٣)]

* وعن ميمون بن مهران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٧) قال: لئن أتصدق بدرهم في حياتي، أحب إليّ من أن يُتصدق عني بعد موتي بمائة درهم. [تهذيب الحلية (٢/٥٥)]

* وجاء سائل يسأل على باب الربيع بن خثيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٠) فقال: أطعموا هذا السائل سكرًا، فقال أهله: إنما يريد نطعمه كسرة، قال: أطعموه سكرًا فإن الربيع يحب السكر. [الزهد لأحمد (٥٤٩)]

* وقال ابن المقفع (ت: ١٤٤): الجود بالمَجْهُودِ منتهى الجود. [البيان والتبيين (٣/٥٠٠)]

* وقال بعض السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَحَدُهُمْ يَحْقِرُ الشَّيْءَ فَيَأْتِي مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ - يعني: المنع - . [عيون الأخبار (٣/١٨٠)]

* وصدق القائل:

أحسن إلى الناسِ تَسْتَعِيدُ قلوبَهُمْ فطالما استعبدَ الإنسانَ إِحْسَانُ
من جادَ بالمالِ مالَ الناسِ قاطبَةً إليه والمالُ للإنسانِ فتانُ
أَحْسِنُ إِذَا كَانَ إِمكانُ وَمَقْدِرَةٌ فلن يدومَ على الإنسانِ إِمكانُ

[أدب الدين (٣٢٩)]

• وقال حبيش بن مبشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قعدتُ مع أَحْمَدَ بنِ حنبلٍ وَيَحْيَى بنِ

معين رحمهم الله والناس متوافرون، فأجمعوا أنهم لا يعرفون رجلاً صالحاً بخيلاً.

[طبقات الحنابلة (١/٣٩٢)]

* وقال ابن الجوزي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مرض نظام الملك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٤٨٥) فكان يداوي نفسه بالصدقة، فيجتمع عنده خلق من الضعفاء فيتصدق عليهم، فعوفي.

[المنتظم (١٦/٢٩٨)]

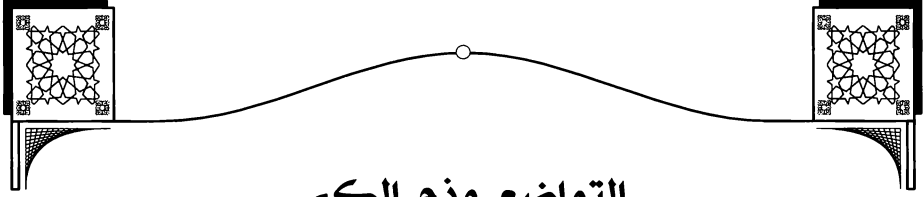
• وقال الحافظ ابن فضل الله العُمري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كانت تأتيه - أي: شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٧٢٨) - القناطرُ المقنطرةُ من الذهب والفضة والخيلِ المُسَوِّمةِ والأنعامِ والحِثِّ، فيَهَبُهُ بأجمعه، ويَضَعُهُ عند أهل الحاجةِ في موضعه، لا يأخذ منه شيئاً إلاَّ لِيَهَبَهُ، ولا يَحْفَظُهُ إلاَّ لِيُذَهَبَهُ كُلَّهُ في سبيلِ البرِّ، وطريقِ أهلِ التواضعِ لا أهلِ الكِبَرِ، لم يَمَلْ به حُبُّ الشهواتِ، ولا حُبُّبَ إِلَيْهِ من ثلاثِ الدنيا غيرِ الصلاةِ.

[مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (٥/٦٩٥)]

* وكان يجيئه من المال في كلِّ سنة ما لا يكاد يُحصى، فيُنْفِقُهُ جميعه آفاقاً ومئين، لا يلمس منه درهماً بيده، ولا يُنْفِقُهُ في حاجته؛ بل كان إذا لم يقدر يعمد إلى شيء من لباسه فيدفعه إلى السائل.

[ثلاثة كتب في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٤)]





التواضع وذم الكبر

* خرج عمر رضي الله عنه (ت: ٢٣) في يوم حار واضعاً رداءه على رأسه قال: فمر به غلام على حمار، فقال: يا غلام احملني معك، قال: فوثب الغلام عن الحمار، فقال: اركب يا أمير المؤمنين، قال: لا، اركب، وأركبُ أنا خلفك، تريد أن تحملني على المكان الخشن، وتركب على المكان الوطيء؟ ولكن اركب أنت، وأكون أنا خلفك، قال: فدخل المدينة وهو خلفه، والناس ينظرون إليه.

[ابن أبي الدنيا (١٣٦/٥)]

* ولما قدم رضي الله عنه الشام عرضت له مخاضة^(١)، فنزل عن بعيره، وأخذ بخطامه ونزع موقيه^(٢) فأخذهما بيديه وخاض الماء، فقال أبو عبيدة رضي الله عنه: صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض!

فصك عمر في صدره فقال: إنه لو غيرك يقول هذا، إنكم كنتم أقل الناس وأذل الناس وأضعفَه، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلکم.

[الزهدي لابن المبارك (٥٣٩)]

* وقال رضي الله عنه على المنبر: إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته، فهو في نفسه صغير أو فقير وفي أنفس الناس كبير.

(١) المَخاضَة: مكان ضحل الماء يخوضه النَّاس مشاةً أو رُكباناً.

(٢) أي: خفيه.

وإن العبد إذا تكبر وعدا طوره^(١) وضعه الله، فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس صغير، حتى أنه أحقر وأصغر في أعين الناس من الخنزير.

[الزهد لأبي داود (٨٥)]

* وعن أبي المنهال رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ (ت: ٧١) وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ (ت: ٦٨) رضي الله عنهما عَنِ الصَّرْفِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُولُ: هَذَا خَيْرٌ مِنِّي.

[صحيح البخاري (٢١٨٠)]

* وقال عتبة بن غزوان رضي الله عنه (ت: ١٧): أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً، وعند الله صغيراً.

[صحيح مسلم (٢٩٦٧)]

* وأقبل أبو هريرة رضي الله عنه (ت: ٥٩) في السوق يحمل حزمة حطب، وهو يومئذ خليفة لمروان، فقال: أوسع الطريقَ للأمرير.

[صفة الصفوة (١/٢٥٦)]

* وخرج عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢) ذات يوم، فاتبعه ناس، فقال لهم: ألكم حاجة؟ قالو: لا، ولكن أردنا أن نمشي معك، قال: ارجعوا فإنه ذلةٌ للتابع، وفتنة للمتبوع. [مصنف ابن أبي شيبة (٢٦٣١٤)]

* وقال رضي الله عنه: من تناول تعظماً خفّضه الله، ومن وضع نفسه خشوعاً رفعه الله عز وجل.

[الزهد لهناد (٨٣٢)]

* وعن عائشة رضي الله عنها (ت: ٥٨) قالت: إنكم لتُغفلون أفضلَ العبادة: التواضع.

[الزهد لابن المبارك (٣٧٣)]

* وقال رجل لابن عمر رضي الله عنهما (ت: ٧٣): يا خيرَ الناسِ وابنَ خيرِ الناسِ، فقال: ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من

(١) أي: تجاوز حدّه.

عبادِ الله، أرجو الله، وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تُهلِكوه.

[تهذيب السِّير (١/٣٧٣)]

* وجاءه رجل فسأله عن فريضة، فقال له: ائت سعيد بن جبير فإنه

أعلم بالحساب مني. [المنتظم (٦/٧)]

* وعن مجاهد قال: صحبت ابن عمر رضي الله عنهما، وإني أريد أن

أخدمه، فكان هو يخدمني. [تهذيب الجلية (٢/١١)]

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كُنتُ أُقْرِئُ رِجَالاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

منهم عبد الرحمن بن عوف. [صحيح البخاري (٦٨٣٠)]

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رحمته الله (ت: ٥٩٧): فِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى أَخْذِ الْعِلْمِ مِنْ

أَهْلِهِ وَإِنْ صَغُرَتْ أَسْنَانُهُمْ أَوْ قَلَّتْ أَقْدَارُهُمْ.

وَقَدْ كَانَ حَكِيمٌ بَنُ حَزَامٍ يَقْرَأُ عَلَى مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنهما، فَقِيلَ لَهُ:

تَقْرَأُ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ الْخَزْرَجِيِّ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكْنَا التَّكْبِيرَ.

[كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/٦٣)]

* وكان بعض السلف رحمته الله يشتري الشيء من السوق فيحمله،

فيقال: هات نحمله فيأبى، ويقول: «إنه لا يحب المستكبرين».

[تهذيب الجلية (٢/١٥١)]

* وكان الربيع بن خيثم رحمته الله (ت: ٩٠) يكنس الحش بنفسه، فقيل

له: إنك تُكفَى هذا، قال: إني أحب أن آخذ بنصيبي من المهنة.

[الزهد لأحمد (٥٦٥)]

* ولما دفن عمر بن عبد العزيز رحمته الله (ت: ١٠١) سليمان بن

عبد الملك، وخرج من قبره سمع للأرض هدة أو رجّة، فقال: ما هذه؟

فقيل: هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين قُربت إليك لتركبها. فقال:

ما لي ولها؟ نحوها عني، قَرَّبُوا إِلَيَّ بَغْلَتِي، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ بَغْلَتَهُ فَرَكَبَهَا، فجاءه صاحب الشُّرْط يسير بين يديه بالحربة، فقال: تَنَحَّ عَنِّي مَا لِي وَلَكَ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. [صفة الصفوة (٢/٤٦٢)]

* وعن عبد العزيز بن عمر قال: قال لي رجاء بن حيوة: ما أكمل مروءة أبيك! سَمَرْتُ عِنْدَهُ، فَعَشَيْتِ السَّرَاجُ، وَإِلَى جَانِبِهِ وَصِيفٌ نَامٌ، قُلْتُ: أَلَا أُنَبِّهُهُ؟ قَالَ: لَا، دَعُهُ، قُلْتُ: أَنَا أَقُومُ، قَالَ: لَا لَيْسَ مِنْ مَرُوءَةِ الرَّجُلِ اسْتِخْدَامُهُ ضَيْفَهُ، فَقَامَ إِلَى بَطَّةِ الزَّيْتِ وَأَصْلَحَ السَّرَاجَ، ثُمَّ رَجَعَ، وَقَالَ: قُمْتُ وَأَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَرَجَعْتُ وَأَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ. [تهذيب السَّير (٢/٥٩٠)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي الشَّهْوَةِ، فَارَجَ لَهُ التَّوْبَةُ، فَإِنَّ آدَمَ عَصَى مُشْتَهِيًّا فَغَفَرَ لَهُ، فَإِذَا كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي كِبَرٍ، فَأَخْشَى^(١) عَلَى صَاحِبِهِ اللَّعْنَةَ، فَإِنَّ إِبْلِيسَ عَصَى مُسْتَكْبِرًا فَلَعِنَ. [صفة الصفوة (٢/٥٤٠)]

* وقال عون بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٢٣): كَفَى بَكَ مِنَ الْكِبَرِ أَنْ تَرَى لَكَ فَضْلًا عَلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ. [تهذيب الحلية (٢/٩٧)]

* وقد قيل: مَنْ تَكَبَّرَ فِي وَلايَتِهِ ذَلَّ فِي عَزْلِهِ.

* وقال أيوب السخيتاني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٢٣): إِنْ قَوْمًا يَرِيدُونَ أَنْ يَرْتَفِعُوا، فَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَضْعَعَهُمْ، وَآخَرِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يَتَوَاضِعُوا، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَرْفَعَهُمْ. [صفة الصفوة (٣/٢٠٩)]

* وكان الخليل بن أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٧٠) إِذَا أَفَادَ إِنْسَانًا شَيْئًا لَمْ يُرِهِ بِأَنَّهُ أَفَادَهُ، وَإِنْ اسْتَفَادَ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا أَرَاهُ بِأَنَّهُ اسْتَفَادَ مِنْهُ. [تهذيب السَّير (٢/٧١٣)]

(١) في «الحلية» (٢/٤٢٦): فاحت، ولعله تصحيف.

* وعن عبيد بن جناد قال: ما رأيت أحداً مثل ابن المبارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨١)، إذا ذكر أصحابه فحَمَّهم، يقول: وأين مثل فلان؟

[تهذيب الحلية (٣/٣٩)]

* ورأى سعيد بن جبیر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٤) أناساً يتبعون فنهاهم وقال: إنَّ مشيكم هذا مذلة للتابع، وفتنة للمتبوع. [مسند الدارمي (٥٤٤)]

* وسئل يوسف بن أسباط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٩٩): ما غاية التواضع؟ قال: ألا تلقى أحداً إلا رأيت له الفضل عليك. [تهذيب السيرة (٢/٨١٤)]

* وعن الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤) قال: التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، والتواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة، وقال: أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله. [تهذيب السيرة (٢/٨٥٥)]

* وقال يحيى بن معين: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١)، صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير. [تهذيب السيرة (٢/٩٢٩)]

• وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ التُّرْمِذِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَأَيْتُ الْإِمَامَ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَشْتَرِي مِنَ السُّوقِ الْخُبْزَ وَيَحْمِلُ بِنَفْسِهِ فِي الرَّئِيلِ، وَرَأَيْتَهُ يَشْتَرِي الْبَاقِلَا غَيْرَ مَرَّةٍ وَيَجْعَلُهُ فِي زُبْدِيَّةٍ أَوْ شَيْءٍ آخَرَ فَيَحْمِلُهُ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِهِ، وَقَالَ صَالِحٌ: كَانَ أَبِي رَبِّمَا خَرَجَ إِلَى الْبَقَالِ فَيَشْتَرِي جِرْزَةَ حَطْبٍ فَيَحْمِلُهَا. [الآداب الشرعية (٢/٢٢)]

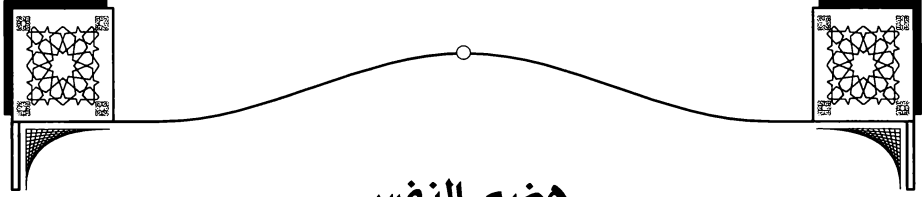
* وسئل الفضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧) عن التواضع فقال: يخضع للحق وينقاد له، ويقبله ممن قاله. [مدارج السالكين (٣/١١٣)]

• وقال بعضهم:

فلا تحقرنّ خلقاً من الناس علّه
 فذو القدر عند الله خافٍ عن الورى
 وليّ إله العالمين وما تدري
 كما خفيت عن علمهم ليلة القدر

[طبقات المفسرين للداوودي (٣١٢/٢)]





هضم النفس

* قال أبو بكر رضي الله عنه (ت: ١٣) في خطبته التي خطبها أول أمرته: **وُلِّيتُ أَمْرَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنَ أَنَا أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَإِنَ أَنَا أَسَأْتُ فَسَدِّدُونِي.**

قال سفيان رضي الله عنه: بلغنا عن الحسن رضي الله عنه أنه قال: «بلى والله إنه لخيرهم، ولكن المؤمن يهضم نفسه». [الزهد لأبي داود (٥٦)]

* وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): لو تعلمون ما أعلم من نفسي حثيتم على رأسي التراب.

* وزحم سالم بن عبد الله رضي الله عنه (ت: ١٠٦) رجلاً فقال له سالم: بعض هذا رحمك الله، فقال له الرجل: ما أراك إلا رجلاً سوء، فقال له سالم: ما أحسبك أبعدت. [المنتظم (١١٤/٧)]

* وقال مطرف بن عبد الله رضي الله عنه (ت: ٩٥): ما مدحني أحد قط إلا تصاغرت إلي نفسي.

* وقال أيضاً رضي الله عنه وهو بعرفة: اللهم لا تردّ الجميع من أجلي. [صفة الصفوة (١٥٨/٣)]

* وقال عبد الله بن بكر المزني رضي الله عنه: سمعتُ إنساناً يُحدِّثُ عن أبي أنه كان واقفاً بعرفة، فرقَّ فقال: لولا أنني فيهم لقلتُ: قد غفر لهم.

قال الذهبي رحمته الله (ت: ٧٤٨): كذلك ينبغي للعبد أن يُزريَ على نفسه ويَهْضِمَهَا .
[تهذيب السَّير (٣/٥٥٠)]

* وقال محمد بن واسع رحمته الله (ت: ١٢٣): لو كان يوجد للذنوب ريح ما قدرتم أن تدنوا مني، من نتن ريحي .
[صفة الصفوة (٣/١٩٢)]

* وقرئ على عبد الله بن المبارك رحمته الله (ت: ١٨١) كتاب المناسك، فانتهى إلى حديث وفيه: قال عبد الله وبه نأخذ، فقال: مَنْ كتب هذا من قولي؟ قيل: الكاتب الذي كتبه، فلم يزل يحكّه بيده حتى درَسَ، ثم قال: ومن أنا حتى يُكتب قولي؟ .
[صفة الصفوة (٤/٣٧٢)]

* وقال أبو سليمان الداراني رحمته الله (ت: ٢٠٥): لو اجتمع الخلقُ جميعاً على أن يَضْعُونِي كاتِّضَاعِي عند نفسي ما قدروا على ذلك .
[صفة الصفوة (٤/٤٤٥)]

* وقال رجلٌ لأحمد بن حنبل رحمته الله: الحمدُ لله الذي رأيتُكَ، قال: اقعُد، أيُّ شيءٍ ذا؟ مَنْ أنا؟ .
[تهذيب السَّير (٢/٩٣٠)]

* وعن رجل قال: رأيتُ أثرَ الغمِّ في وجه أبي عبد الله^(١)، وقد أثنى عليه شخص، وقيل له: جزاك الله عن الإسلام خيراً، قال: بل جزى الله الإسلامَ عني خيراً. من أنا وما أنا؟! .
[تهذيب السَّير (٢/٩٣٠)]

* وسأل رجل أبا عبد الله محمد بن عتاب رحمته الله (ت: ٤٦٢) عن مسائل انتخبها وأعدّها فأجابه أحسن جواب، فأثنى عليه الرجل فقال له: يا ابن أخي لا تتخذ هذا عادة، فلولا أني طالعتها البارحة ما أجبتك بمثل هذا .
[ترتيب المدارك (٤/٣٨٧)]

(١) يعني: أحمد بن حنبل.

* وقال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٧٢٨) كثيراً يقول: ما لي شيء، ولا مني شيء، ولا في شيء. وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

أنا المُكَدِّي وابن المُكدي وهكذا كان أبي وجدي
وكان إذا أثنى عليه في وجهه يقول: والله إنني إلى الآن أجدد
إسلامي كل وقت، وما أسلمت بعدُ إسلاماً جيداً
وقد بعث إلي في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطه وعلى ظهرها
أبيات بخطه من نظمه:

أنا المُكَدِّي وَأَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّاتِ أَنَا الظُّلُومُ لِنَفْسِي وَهِيَ ظَالِمَتِي لَا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلْبَ مَنفَعَةٍ وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلَى يُدَبِّرُنِي وَلَسْتُ أَمْلِكُ شَيْئاً دُونَهُ أَبَداً وَلَا ظَهِيرٌ لَهُ كَيْ يَسْتَعِينَ بِهِ وَالْفَقْرُ لِي وَصَفُ ذَاتٍ لَا زِمَ أَبَداً وَهَذِهِ الْحَالُ حَالُ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ فَمَنْ بَعَى مَطْلَباً مِنْ غَيْرِ خَالِقِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلءُ الْكَوْنِ أَجْمَعِهِ	أَنَا الْمُسَيِّكِينَ فِي مَجْمُوعِ حَالَاتِي وَالْخَيْرُ إِنْ يَأْتِنَا مِنْ عِنْدِهِ يَأْتِي وَلَا عَنِ النَّفْسِ لِي دَفْعُ الْمَضْرَّاتِ وَلَا شَفِيعٌ إِذَا حَاطَتْ خَطِيئَاتِي وَلَا شَرِيكَ أَنَا فِي بَعْضِ ذَرَّاتِ كَمَا يَكُونُ لِأَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ كَمَا الْغِنَى أَبَداً وَصَفٌ لَهُ ذَاتِي وَكُلُّهُمْ عِنْدَهُ عَبْدٌ لَهُ آتِي فَهُوَ الْجَهُولُ الظُّلُومُ الْمُشْرِكُ الْعَاتِي مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا مِنْ بَعْدُ قَدْ يَأْتِي
---	--

[مدارج السالكين (٢/ ١٥٥ - ١٥٧)]

• وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَدْنِي الْفَقِيرَ الصَّالِحَ وَيُكْرِمُهُ، وَيُؤْنِسُهُ وَيَبَاسِطُهُ بِحَدِيثِهِ الْمَسْتَحْلَى، زِيَادَةً عَلَى مِثْلِهِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا خَدَمَهُ بِنَفْسِهِ، وَأَعَانَهُ بِحَمْلِ حَاجَتِهِ؛ جَبْرًا لِقَلْبِهِ، وَتَقَرُّبًا بِذَلِكَ إِلَى رَبِّهِ.

وكانَ رحمه الله تعالى لا يسأم ممَّن يستفتيه، أو يسأله؛ بل يُقبل عليه ببشاشة وجهه، ولين عريكة، ويقف معه حتَّى يكون هو الذي يفارقه، كبيراً كان أو صغيراً، رجلاً أو امرأة، حرّاً أو عبداً، عالماً أو عامياً، ولا يجبهه^(١)، ولا يُخرجه، ولا ينفره بكلامٍ يوحشه؛ بل يجيبه، ويفهمه، ويعرفه الخطأ من الصواب بلطفٍ وانسباط.

[الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، للبزّار (٥٠)]



(١) أي: لم يستقبله بكلام فيه غلظ وجفاء.

الهدايا والهبات

* عن عبد الله بن السَّعْدِيِّ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فِي خِلَافَتِهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَلَمْ أُحَدِّثْ أَنَّكَ تَلِي مِن أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالًا، فَإِذَا أُعْطِيَتِ الْعُمَّالَةَ ^(١) كَرِهْتَهَا؟
فَقُلْتُ: بَلَى.

فَقَالَ عُمَرُ: فَمَا تُرِيدُ إِلَى ذَلِكَ؟

قُلْتُ: إِنَّ لِي أَفْرَاسًا وَأَعْبُدًا وَأَنَا بِخَيْرٍ، وَأُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عَمَلَتِي صَدَقَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ عُمَرُ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الَّذِي أَرَدْتَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ فَأَقُولُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، حَتَّى أُعْطَانِي مَرَّةً مَالًا فَقُلْتُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أُعْطِيَتَ شَيْئًا مِن غَيْرِ أَنْ تَسْأَلَ فُكُلًا وَتَصَدَّقَ».

[صحيح البخاري (٧١٦٣)]، [صحيح مسلم (١٠٤٥)]

قَالَ سَالِمٌ: فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا، وَلَا يَرُدُّ شَيْئًا أُعْطِيَهُ. [صحيح مسلم (١٠٤٥)]

• وسئل الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١) عن الرجل يهدى إليه الشيء أفترى أن يقبل؟ فقال: قد «كان النبي ﷺ يقبل الهدية ويثيب

(١) أي: أجرة العمل.

عليها»^(١)، أرى له إن هو قبل أن يُثيب. [الآداب الشرعية (١/٢٢٣)]

• يقال: ما ارتضي الغضبان، ولا استعطف السلطان، ولا سلّت السخائم، ولا دُفعت المغارم، ولا تُوقّي المحذور، ولا استمِيل المهجور، بمثل الهدية والبر. [الآداب الشرعية (١/٢٢٤)]

• وقال الشاعر:

هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصّالا
وتزرع في الضمير هوىً ووُدّاً وتلبسهم إذا حضروا جمالا.

[الآداب الشرعية (١/٢٢٤)]

موقف السلف من المدح والثناء:

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣) قال: المدح الذبح.

[الزهد لأحمد (٢٢٦)]

* وعن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من صدر هذه الأمة وكان له فضل أنه كان إذا أثنى عليه أو مدح فسمع قال: اللّهُمَّ لا تؤاخذني بما يقولون واغفر لي ما لا يعلمون. [الزهد لأحمد (٣٦٤)]

* وعن الحسن رضي الله عنه (ت: ١١٠) قال: ذمّ الرجل نفسه في العلانية مدح لها في السرّ. [عيون الأخبار (١/٣١٧)]

* وكان يقال: مَنْ أظهر عيبَ نفسه فقد زكّاهَا.

[عيون الأخبار (١/٣١٧)]

* وقال الربيع بن خثيم رضي الله عنه (ت: ٩٠) لابنه: لا يغرنك كثرة ثناء الناس من نفسك، فإنه خالص إليك عملك. [تهذيب الحلية (١/٣١١)]

- * وقال سفيان بن عيينة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٩٨): ليس يضر المدح من عرف نفسه .
[ابن أبي الدنيا (٧/ ٣٣٠)]
- * وعن مالك بن دينار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣١) قال: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَهَبَ يمدح نفسه، ذهب بهاؤه .
[تهذيب السَّير (٢/ ٦٠٩)]
- * وقال أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: منذ عرفتُ الناس لم أفرح بمدحهم، ولم أكره ذمَّهم؛ لأن حامدهم مُفْرِطٌ، وذامهم مُفْرِطٌ .
[تهذيب السَّير (٢/ ٦٠٩)]
- * وقال وهب بن منبه (ت: ١١٤) وعوف بن أبي جميلة (ت: ١٤٦) رحمهما الله: من أخلاق المنافق أن يحب الحمد ويكره الذم .
[الزهد لأحمد (٦١٩)]



الغيرة والعفة

* عن أبي عبد الله محمد بن أحمد القاضي قال: حضرت مجلس موسى بن إسحاق القاضي رحمته الله (ت: ٢٩٧) بالري سنة ست وثمانين ومائتين، فتقدمت امرأة فادعى عليها على زوجها خمسمائة دينار مهرًا، فأنكر، فقال القاضي: شهودك، قال: قد أحضرتهم، فاستدعى بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد وقال للمرأة: قومي! فقال الزوج: تفعلون ماذا؟ قال الوكيل: ينظرون إلى امرأتك وهي مسفرة لتصح عندهم معرفتها، فقال الزوج: فإني أشهد القاضي أن لها عليّ هذا المهر الذي تدعيه ولا يسفر عن وجهها، فأخبرت المرأة بما كان من زوجها، فقالت: فإني أشهد القاضي أنني قد وهبت له هذا المهر، وأبرأته منه في الدنيا والآخرة! فقال القاضي: يكتب هذا في مكارم الأخلاق.

[شعب الإيمان (١٠٣١٣)]

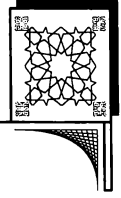
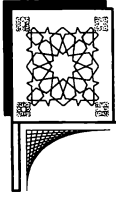


التأني والتروي، والرفق، وذم العجلة

- * شهد أعرابي عند معاوية رضي الله عنه (ت: ٦٠): بشيء كرهه، فقال له معاوية: كذبت، فقال الأعرابي: الكاذب والله متمزمل في ثيابك، فقال معاوية وتبسم: هذا جزاء من عجل. [الكامل في اللغة (٢٧٧)]
- * وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه (ت: ١٠٠) قال: مكتوب في الحكمة: الرفق رأس الحكمة. [الزهد لوكيع (٤٥٨)]
- * ومن أمثال العرب: رب عجلة تهب ريثاً^(١) [الكامل في اللغة (١٨٤)]
- * وقال إبراهيم الخواص رضي الله عنه (ت: ٢٩١): «الْعَجَلَةُ تَمْنَعُ مِنْ إِصَابَةِ الْحَقِّ». [شعب الإيمان (٦٤٧٧)]



(١) يُضْرَبُ مَثَلًا لِلرَّجُلِ يَعْمَلُ الْعَمَلَ فَلَا يَحْكُمُهُ لِاسْتِعْجَالِ بِهِ، فَيَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَعُودَ فَيَنْقِضَهُ ثُمَّ يَسْتَأْنَفُ، وَالرِّيثُ الْإِبْطَاءُ وَالتَّأَخُّرُ. «الكامل في اللغة» (١٨٤).



الزهد ودم الدنيا

أ - فضل الزهد:

- * قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت: ٤٠): من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات. [ابن أبي الدنيا (٢/٩٢)]
- * وقال أبو واقد الليثي رضي الله عنه (ت: ٦٨): تابعنا الأعمال ولم نجد شيئاً أبلغ في طلب الآخرة من الزهد في الدنيا. [الزهد لو كيع (٢)]
- * وكان أبو الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٣) يقول: الحمد لله الذي جعل مفر الأغنياء إلينا عند الموت، ولا نحب أن نفر إليهم عند الموت، إنَّ أحدهم ليقول: ليتني صعلوك من صعاليك المهاجرين. [الزهد لابن المبارك (٦١٣)]
- * وقال محمد ابن الحنفية رضي الله عنه (ت: ٨٠): من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قَدْر. [صفة الصفوة (٢/٤٣٥)]
- * وقال رجل لمحمد بن واسع رضي الله عنه (ت: ١٢٣): أوصني، قال: أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة، قال: كيف؟ قال: ازهد في الدنيا. [تهذيب السَّير (٢/٦٣٨)]
- * وعن الفضيل بن عياض رضي الله عنه (ت: ١٨٧): حرامٌ على قلوبكم أن تُصيبَ حلاوةَ الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا. [تهذيب السَّير (٢/٧٧٧)]
- * وعن سفيان الثوري رضي الله عنه (ت: ١٦١) قال: إذا زهد العبد في

الدنيا أنبت الله الحكمة في قلبه، وأطلق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها. [تهذيب الحلية (٢/٣٧٢)]

ب - معنى الزهد، وأنواعه، وبيان أخطاء بعض الناس في الزهد:

* قال سفيان الثوري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦١): ليس الزُّهدُ بأكل العَلِيظِ، ولبس الخشن، ولكنه قَصْرُ الأمل، وارتقَابُ الموت. [تهذيب السَّير (٢/٦٩٦)]

* وقيل له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أيكون الرجل زاهداً ويكون له المال؟ قال: نعم! إن كان إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر. [تهذيب الحلية (٢/٣٧١)]

* وقال أيوب السخيتاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣١): إن زهد رجل فلا يجعلن زهده عذاباً على الناس. [ابن أبي الدنيا (٥/١٩١)]

* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: قلت لأبي حازم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٠) يوماً: إني لأجد شيئاً يحزنني قال: وما هو يا ابن أخي؟ قلت: حبي الدنيا.

فقال لي: اعلم يا ابن أخي أن هذا الشيء ما أعاتب نفسي على حب شيء حبه الله تعالى إلي؛ لأن الله وَعَلَيْكَ قد حبب هذه الدنيا إلينا، ولكن لتكن معاتبتنا أنفسنا في غير هذا، أن لا يدعونا حبها إلى أن نأخذ شيئاً من شيء يكرهه الله، ولا أن نمنع شيئاً من شيء أحبه الله، فإذا نحن فعلنا ذلك لا يضرنا حبنا إياها. [تهذيب الحلية (١/٥٢٧)]

* وقال سفيان بن عيينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٩٨): ليس من حب الدنيا طلبك منها ما لا بد منه. [تهذيب الحلية (٢/٤٢٧)]

* وسئل ابن عيينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الزهد ما هو؟ قال: الزهد فيما حرم الله، فأما ما أحل الله فقد أباحه الله، فإن النبيين قد نكحوا وركبوا

وأكلوا، ولكن الله نهاهم عن شيء فانتهوا عنه وكانوا به زهاداً^(١).

[تهذيب الحلية (٢/٤٤١)]

* وقال أبو سليمان الداراني رحمته الله (ت: ٢٠٥): اختلفوا علينا في الزهد بالعراق، فمنهم من قال: الزهد في ترك لقاء الناس، ومنهم من قال: في ترك الشهوات، ومنهم من قال: في ترك الشبع، وكلامهم قريب بعضه من بعض، قال: وأنا أذهب إلى أنّ الزهد في ترك ما يشغلك عن الله ويعلى^(٢).

* وقال أيضاً رحمته الله: لا تشهد لأحد بالزهد، فإن الزهد في القلب.
[جامع العلوم والحكم (٣٨٩)]

ج - ذم الركون إلى الدنيا والفرح بمتاعها:

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣): يا معشر المهاجرين، لا تكثروا الدخول على أهل الدنيا، فإنه مسخطة للرزق. [ابن أبي الدنيا (٤/٩٣)]

* وقال ابن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): من أراد الآخرة أضرب بالذنيا، ومن أراد الدنيا أضرب بالآخرة، فأضربوا بالفاني للباقي. [الزهد لوكيع (٧٠)]

(١) قال ابن الجوزي رحمته الله: ومن تلبسه عليهم: أنه يوهمهم أن الزهد ترك المباحات، فمنهم من لا يزيد على خبز الشعير، ومنهم من لا يذوق الفاكهة، ومنهم من يقلل المطعم حتى يبس بدنه ويعذب نفسه بلبس الصوف ويمنعها الماء البارد، وما هذه طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا طريق أصحابه وأتباعهم، وإنما كانوا يجوعون إذا لم يجدوا شيئاً فإذا وجدوا أكلوا، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل اللحم ويحبه ويأكل الدجاج ويحب الحلوى ويستعذب له الماء البارد ويختار الماء البائت فإن الماء الجاري يؤذي المعدة ولا يروي. «تلبس إبليس» (١٧١).

(٢) قال ابن رجب رحمته الله: وهذا الذي قال أبو سليمان حسن، وهو يجمع جميع معاني الزهد وأقسامه وأنواعه. «جامع العلوم والحكم» (٣٩٢).

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (ت: ٧٣) قال: لا يصيب عبدٌ شيئاً من الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله وَعَبَّكَ، وإن كان عليه كريماً.

[الزهد لابن أبي الدنيا (٢٩٧)، و[صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٢٠)]

* وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه (ت: ٥٠) قال: ما يُنتظر من الدنيا إلا كلٌّ محزن أو فتنة تُنتظر.

* وقال أبو حازم رضي الله عنه (ت: ١٤٠): عجباً لقوم يعملون لدارٍ يرحلون عنها كلَّ يومٍ مرحلة، ويدعون أن يعملوا لدارٍ يرحلون إليها كلَّ يومٍ مرحلة!.

* وكان بشير بن كعب رضي الله عنه (ت: ٨١) يقول: انطلقوا حتى أريكم الدنيا!، فيجيء بهم إلى السوق - وهي يومئذ مزبلة - فيقول: انظروا إلى دجاجهم، وبطهم، وثمارهم.

* وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه (ت: ١٨٧): فرحك بالدنيا يذهب بحلاوة العبادة، وهمك بالدنيا يذهب بالعبادة كلها. [ابن أبي الدنيا (٣/٢٦٤)]

* وقال أبو حازم رضي الله عنه: إن قليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة، وإن كثيرها ينسيك قليلها، وإن كنت تطلب من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يجزيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس فيها شيء يغنيك.

* ومر بعض السلف على قوم فقيل: هؤلاء زهاد، فقال: ما قدر الدنيا حتى يُحمد من زهد فيها؟ [أدب الدين (١٩٨)]

* وقال بعض السلف: ابن آدم، إنما أنت جيفة منتنة، طيب نسيَمك ما رُغِبَ فيك من روح الحياة، فلو قد نزع منك روحك أُلقيت جثةً ملقاه، وجيفةً منتنة، وجسداً خاوياً، وقد جَيفَ بعد طيب رِيحه،

واستوحش منه بعد الأنس بقربه، فأَيُّ الخليفة ابن آدم منك أجهل؟ وأي الخليفة منك أعجب؟ إذا كنت تعلم أنّ هذا مصيرك، وأن التراب مقيلك، ثم أنت بعد هذا لطول جهلك تَقَرُّ بالدنيا عيناً.

[ابن أبي الدنيا (٥/٥٤٧)]

* وقال الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠): يا بن آدم بعْ دنياك بأخرتك تربيحهما جميعاً، ولا تبيعن آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً.

[صفة الصفة (٣/١٦٥)]

* وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا ذكر صاحب الدنيا يقول: والله ما بقيت له ولا بقي لها، ولا سلم من تبعيتها ولا شرّها ولا حسابها، ولقد أُخْرِجَ منها في خِرْقَةٍ!

* وسئل سهلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٨٣): بِمَ يَسْهَلُ عَلَى الْعَبْدِ تَرْكُ الدُّنْيَا وَكُلِّ الشَّهَوَاتِ؟ قال: بِتَشَاغُلِهِ بِمَا أَمْرٌ بِهِ^(١).

[تفسير القرطبي (٥/٥٧)]

* وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧): الدخول في الدنيا هين، لكن التخلص منها شديد.

* وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما رأيت أحداً عظم الدنيا فقرت عينه فيها، ولا انتفع بها، وما حَقَّرَها أحدٌ إلا تمتّع بها.

* وكان عروة بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٠٠) إذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفاً، فإذا رجع إلى أهله فدخل الدار، قرأ: ﴿وَلَا تَمَدَّنْ﴾

(١) صدق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فبقدر انشغال المؤمن بما أمر به وجوباً واستحباباً انصرف قلبه عن الدار الدنيا وملذاتها إلى الدار الآخرة، وسهلت عليه الطاعات، وعافت نفسُ مقارفة المعاصي واللهو، وعلت همّته، وزكت نفسه.

عَيْنِكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَرْوَجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ حَيْرٌ
وَأَبْقَى ﴿١٢١﴾ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ
لِلنَّاقِئِ ﴿١٢٢﴾ [طه: ١٣١، ١٣٢]

قال: الصلاة الصلاة رحمكم الله.

وكان يقول: إذا رأى أحدكم من زينة الدنيا وزهرتها فليأت أهلها
فليأمرهم بالصلاة وليصطر عليها، فإن الله يقول: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه:
١٣١] ثم قرأ إلى آخر الآية [الزهد لأبي داود (ص ٣٥٦ - ٣٥٧)]

* وقال أحمد بن أبي الحواري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣٠): من نظر إلى
الدنيا نظرَ إرادةٍ وحبِّ أخرج الله نورَ اليقين والزهد من قلبه.

[تهذيب السَّير (٣/٩٨٥)]

* وقال بعضهم:

إذا أبت الدنيا على المرء دينه فما فات من شيءٍ فليس بضائر
فما تعدل الدنيا جناحَ بعوضةٍ ولا وزن ريشٍ من جناحٍ لطائر
فما رضي الدنيا ثواباً لمؤمنٍ وما رضي الدنيا عقاباً لكافر

[البيان والتبيين (٣/٥٠٠)]

* وقال يحيى بن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٥٨): لا يزال دينك متمزقاً ما
دام قلبك بحب الدنيا مُتعلقاً. [صفة الصفوة (٤/٣٤٢)]

* وعن بلال بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٢٠) قال: والله لكفى به ذنباً
أن الله يزهنا في الدنيا ونحن نرغب فيها.

[ابن أبي الدنيا (٥/٣٦)، [تهذيب الحلية (٢/١٩٠)]

* وقال إبراهيم بن أدهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٧٠): ليس من أعلام الحب
أن تحب ما يبغض حبيبك، ذمّ مولانا الدنيا فمدحناها، وأبغضها

فأحببناها، وزهدنا فيها فأثرناها ورغبنا في طلبها، وعدكم خراب الدنيا
فحصصتموها، ونهيتم عن طلبها فطلبتموها، وأنذرتهم الكنوز فكنزتموها.

[تهذيب الحلية (٢/٤٨٧)]

* وقال أبو معاوية الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٨): الخلق كلهم برهم
وفاجرهم، يسعون في أقل من جناح ذباب.

فقال له رجل: ما أقل من جناح ذباب؟

قال: الدنيا^(١).

[تهذيب الحلية (٣/٦٧)]

* وقال بشر بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٢٧): من سأل الله تعالى
الدنيا، فإنما يسأله طول الوقوف^(٢).

[تهذيب الحلية (٣/٩٠)]

* وقال بعض الحكماء: عجبت ممن الدنيا مولية عنه والآخرة
مقبلة إليه، يشتغل بالمدبرة، ويعرض عن المقبلة^(٣).

[ابن أبي الدنيا (٥/١٢٠)]

* وعن الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) أنه كان إذا تلى هذه الآية:
﴿فَلَا تَعْرَنَكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣] قال:
من قال ذا؟

(١) صدق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد روى الترمذي وصححه (٢٣٢٠) أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَوْ كَانَتْ
الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ».

وثبت في صحيح مسلم (٢٩٥٧) أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ بِجَدِي مَيْتٍ مَقْطُوعِ الْأَذْنِينَ
فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «وَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنَ هَذَا عَلَيْكُمْ».

فكيف يركن عاقل إلى الدنيا، ويجعل أكثر همها بها، وجل شغلها لها!

(٢) صدق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد ثبت في صحيح مسلم (٣٧) أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ فُقَرَاءَ
المُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا».

وإذا كان هذا حال أغنياء الصحابة المهاجرين الفضلاء، فكيف بغيرهم؟

(٣) صدق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا الكلام يُكتب بماء الذهب، ولكن أين المتعظ؟

من خلقها، ومن هو أعلم بها.

قال: إياكم وما شغل من الدنيا، فإن الدنيا كثيرة الأشغال، لا يفتح رجل على نفسه باب شغل، إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب.

[ذم الدنيا (ص: ٦٠)]

* وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب، وحرامها عذاب، إن أخذه من حله حوسب بنعيمه، وإن أخذه من حرام عذب به، ابن آدم يستقل ماله، ولا يستقل عمله. [ابن أبي الدنيا (٥/١١٠)]

* وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث: أنه لم يشبع مما جمع، ولم يدرك ما أمل، ولم يحسن الزاد لما قدم عليه.

[ابن أبي الدنيا (٥/١٣٢)]

* وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة.

[ابن أبي الدنيا (٥/١٩٠)]

* وقال أبو سليمان الداراني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٥): لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله من الآخرة.

[ابن أبي الدنيا (٥/١٣٥)]

* وقال بعض العلماء: من زهد في الدنيا ملكها، ومن رغب فيها عبدها، فمن شاء فليعيش فيها ملكاً، ومن شاء فليعيش فيها عبداً.

[الزهد للخطيب (١٣٤)]

• وقال الإمام مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩): إِنَّ بُغْيَتِكَ مِنْهَا مَا يَكْفِيكَ، فَأَقْلَّ عَيْشِهَا يُغْنِيكَ، وَمَا قَلَّ وَكْفَى خَيْرٌ مِمَّا أَكْثَرَ وَأَلْهَى.

[ترتيب المدارك (١/١٨٠)]

د - قصص الزاهدين :

* عن جابر رضي الله عنه قال: صليت مع أبي بكر رضي الله عنه (ت: ١٣) العصر، ثم انكفأت معه إلى منزله، فقال لامرأته أسماء بنت عميس: هل عندك طعام؟ قالت: لا والله ما من شيء، قال انظري، قالت: لا والله ما من شيء، فاعتقل شاة كانت وضعت من يومها، - وكان ذا شاة - فحلب من لبنها، ثم أفرغه في برمة، ثم أمر جاريتها فطبخت، ثم أتينا به، فأكل وأكلنا، ثم صلى وصلينا، ما توضعاً ولا توضعاً.

[ابن أبي الدنيا (٩٢/٤)]

* وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣) وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رقع بين كتفيه أربع رقاع بعضها فوق بعض.

[الزهد لابن المبارك (٣٣٣)]، [الزهد لأبي داود (٧٤)]

* وعن الحسن قال: رأيت عثمان رضي الله عنه (ت: ٣٥) نائماً في المسجد في ملحفة ليس حوله أحد، وهو أمير المؤمنين.

[تهذيب الحلية (٧٧/١)]

* وعن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت: ٤٠) وهو يرعد تحت سَمَلِ قטיפة^(١)، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع! فقال: والله ما أرزأكم^(٢) من مالكم شيئاً، وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي.

[تهذيب الحلية (٨٧/١)]

(١) السمل: القديم البالي من الثياب، والقטיפفة: نسيج من القطن.

(٢) أي: ما أخذ.

* وكانت عائشة رضي الله عنها (ت: ٥٨) تقسم في اليوم سبعين ألفاً، وإنها لترقع درعها. [الزهد لابن المبارك (٧٠٥)]، [الزهد لأبي داود (ص ٢٨٣)]

* وبيع متاع سلمان رضي الله تعالى عنه (ت: ٣٣) فبلغ أربعة عشر درهماً. [تهذيب الحلية (١/١٥٩)]

* وعن ميمون بن مهران قال: دخلت منزل ابن عمر رضي الله عنهما (ت: ٧٣)، فما كان فيه ما يسوي طيلسانني^(١) هذا. [تهذيب الحلية (١/٢١٦)]

* ودخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبد الله رضي الله عنه (ت: ١٠٦)، فقال له: يا سالم سألني حاجة، فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله.

فلما خرج في أثره، قال له: الآن قد خرجتُ، فسألني حاجة، فقال له سالم: حوائج الدنيا أم حوائج الآخرة؟ فقال: بل حوائج الدنيا، فقال له سالم: ما سألت من يملكها، فكيف أسأل من لا يملكها؟.

[صفة الصفوة (٢/٤٤٦)]

* وعن مسلمة بن عبد الملك، قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (ت: ١٠١) أعوده في مرضه، فإذا عليه قميص وسبخ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك: يا فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين، قالت: نفعل إن شاء الله ثم عُدتُ، فإذا القميص على حاله، فقلت: يا فاطمة ألم أمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين، فإن الناس يعودونه؟ قالت: والله ما له قميص غيره.

[صفة الصفوة (٢/٤٦٥)]

* وعن مالك بن دينار قال: الناس يقولون: مالك بن دينار زاهد.

(١) الطيلسان: كساء يضعه بعض العلماء والمشايخ على الكتف.

إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها .

[تهذيب الجلية (٢/١٩٨)]

هـ - أقوال وحكم في القناعة :

* قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (ت : ٦٠) لابنه عمر : يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإن لم تكن لك قناعة فليس يُغنيك مالٌ .

[عيون الأخبار (٣/١٨٧)]

* وَسَأَلَ رَجُلٌ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه (ت : ٦٥) فَقَالَ : أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : «أَلَكِ امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟» قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : «أَلَكِ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟» قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : «فَأَنْتِ مِنْ الْأَغْنِيَاءِ»، قَالَ : فَإِنَّ لِي خَادِمًا، قَالَ : «فَأَنْتِ مِنَ الْمُلُوكِ»^(١) .

[صحيح مسلم (٢٩٧٩)]

* وقال أبو الدرداء رضي الله عنه (ت : ٣٣) : أهل الأموال يأكلون وتَأْكُلُ، ويشربون ونشرب، ويلبسون ونلبس، ويركبون ونركب، لهم فضولٌ أموالٍ ينظرون إليها، وننظر إليها معهم، عليهم حسابها، ونحن منها براء .

[الزهد لابن المبارك (٥٤٧)]

* وقال علي بن سهل رضي الله عنه (ت : ٣٠٧) : اِلْتَمَسْتُ الرَّاحَةَ فَوَجَدْتُهَا فِي الْيَأْسِ .

[ذم الهوى (٣٨٨)]

* وقال بعضهم :

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

(١) لأنه بالزوجة والخادم مطاع في أمره، وفي الدار محبوب إلا عن إذنه . «أدب الدين»

وقال الآخر:

إن كان لا يُغنيك ما يكفيك فكلّ ما في الأرض لا يُغنيك

[عيون الأخبار (٣/١٨٦ - ١٨٧)]

* وقال الشافعي رحمته الله (ت: ٢٠٤):

إذا كنتَ ذا قلبٍ قنوعٍ فأنتَ ومالكُ الدنيا سواءٌ

* وقال رحمته الله:

رأيتُ القناعةَ رأسَ الغنى فلا ذا يراني على بابهِ
فصرتُ غنياً بلا درهمٍ ولا ذا يراني به مُنهمِكُ
فصرتُ بأذيالِها مُتمسِكُ أمرٌ على الناسِ شِبهُ الملكِ

[ديوان الشافعي (٣٢، ١٣٣)]

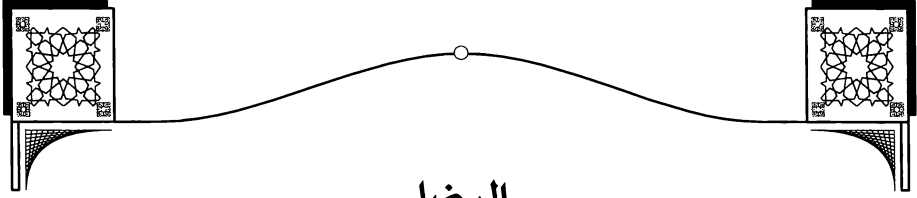
* وقال الفتح بن خاقان رحمته الله^(١) (ت: ٢٤٧): دخلت يوماً على

المتوكل^(٢) (ت: ٢٤٧) فرأيتَه مطرقاً يتفكر فقلت له: ما هذا الفكر يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما على الأرض أطيب منك عيشاً ولا أنعم منك بالاً، فقال: أطيب عيشاً مني رجل له دار واسعة، وزوجة سالحة، ومعيشة حاضرة، لا يعرفنا فنؤذيه، ولا يحتاج إلينا فنزدريه. [المنتظم (١١/١٨٢)]



(١) وزير المتوكل.

(٢) هو الخليفة جعفر بن محمد بن هارون.



الرضا

أ - رضا العبد عن الله وعن أقداره، وعدم الشكوى للمخلوق:

* مرض أبو بكر رضي الله تعالى عنه (ت: ١٣) فعادوه، فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رأيته، قالوا: فأبي شيء قال لك؟ قال: قال: إني فعال لما أريد. [مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٤٤٠)]

* وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣): ما أبالي على أي حال أصحبت، على ما أحب، أو على ما أكره؛ لأنني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره. [ابن أبي الدنيا (٤١٤/١)]

* وعن ابن عمر رضي الله عنه (ت: ٧٣) قال: إن الرجل ليستخير الله فيختار له فيتسخط على ربه، فلا يلبث أن ينظر في العاقبة، فإذا هو خير له. [ابن أبي الدنيا (٤٣٢/١)]

* وقال عمران بن حصين رضي الله عنه (ت: ٥٢) لما مرض: والله إن أحببه إليّ أحببه إلى الله تعالى. [الزهد لابن المبارك (٤٣٦)]

* وقال محمد بن علي رضي الله عنه (ت: ١١٨): ندعو الله فيما نحب، فإذا وقع الذي نكره لم نخالف الله ويعجزك فيما أحب. [تهذيب الحلية (٥١٠/١)]

* وعن عبد العزيز بن أبي رواد قال: رأيت في يد محمد بن واسع رضي الله عنه (ت: ١٢٣): قرحة، فكأنه رأى ما شقّ عليّ منها، فقال: تدري ما لله عليّ في هذه القرحة من نعمة؟ قال: فسكت، فقال: حيث

لم يجعلها على حدقتي، ولا طَرَفَ لساني، ولا على طَرَفِ ذَكَرِي، قال:
[صفة الصفوة (٣/١٩٢)] فهانت عليّ قرحته .

* وقال مالك بن دينار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣١): إني لأغبطُ الرجل يكون عيشه كفافاً فيقتنع به، فقال محمد بن واسع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أغبطُ والله عندي من ذلك أن يصبح جائعاً، ويمسي جائعاً وهو عن الله رَضِيٌّ راضٍ .

[صفة الصفوة (٣/١٩٣)]

* وقال يحيى بن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٥٨): إذا كنت لا ترضى عن الله كيف تسأله الرضا عنك .

[صفة الصفوة (٤/٣٤١)]

* ولما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
أعوذ بالله أن يكون لي محبة في شيء من الأمور تخالف محبة الله، فإن ذلك لا يصلح لي في بلائه عندي وإحسانه إليّ . [ابن أبي الدنيا (١/٤٤٨)]

* وقال أبو معاوية الأسود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٨) في قوله تعالى:
﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] قال: الرضا والقناعة .

[ابن أبي الدنيا (١/٤٢٤)]

* وقال الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠): من رضي بما قسم الله له وَسِعَهُ، وبارك الله له فيه، ومن لم يرض لم يَسَعَهُ ولم يبارك له فيه .

[ابن أبي الدنيا (١/٤٥٦)]

* وقال بعض الحكماء: اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله مثل ما لا يخطر ببالك فلم تنله .

وقال بعض الحكماء: إن كنت تجزع على ما فات من يدك فاجزع على ما لا يصل إليك .

[أدب الدين (٤٦٥)]

ب - رضا الله عن العبد، وأسباب ذلك :

* قال أبو الطيب سهل بن محمد الصعلوكي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت : ٤٠٤) :

إذا كان رضى الخلق معسوراً لا يُدرك، كان رضى الله ميسوراً لا يُترك .

[تهذيب السَّيَر (٣/١٣٣٧)]

* وقال حاتم الأصم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت : ٢٣٧) : من أصبح وهو مستقيم في

أربعة أشياء فهو يتقلب في رضا الله، أولها : الثقة بالله، ثم التوكل، ثم الإخلاص، ثم المعرفة، والأشياء كلها تتم بالمعرفة .

[تهذيب الحَلِيَّة (٢/٥٠٤)]



فضل الذكر وبيان أثره

* كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه (ت: ٨) يأخذ بيد بعض أصحابه ويقول: تعال نؤمن ساعة^(١)، إن القلب أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياناً. [الزهد لابن المبارك (١٠٨٧)]

* وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه (ت: ١٨) لأصحابه وهم يمشون: اجلسوا بنا نُؤمن ساعة. [صفة الصفوة (١/٢٣٢)]

* وقال أبو الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢): لأن أكبر مائة مرة أحب إلي من أن أتصدق بمائة دينار. [الزهد لأحمد (٢٥٩)]

* وقال أبو بردة الأسلمي رضي الله عنه (ت: ٤٢): لو أن رجلاً في حجره دنائير يعطيها وآخر ذاكراً لله لكان الذاكر أفضل. [الزهد لأحمد (٣٣٨)]

* وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه (ت: ٦٨) في قوله تعالى: ﴿الْوَسْوَاسَ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤]: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سهى وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس. [الزهد لأبي داود (٢٩٥)]

* وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): من ضمن منكم بالمال أن ينفقه، وخاف العدو أن يجاهده، وخاف الليل أن يكابده فليكثر من قول: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر^(٢). [الزهد لأبي داود (١٤٩)]

(١) أي: تعال نجلس نذكر الله تعالى حتى نزيد إيماناً.

(٢) قال الألباني رحمته الله في «صحيح الأدب المفرد» (٢٧٥): صحيح موقوف في حكم المرفوع.

* وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه (ت: ٦٥) قال: ما اجتمع ملاً يذكرون الله إلا ذكرهم الله في ملاً أعز منهم وأكرم، وما تفرق قوم لم يذكروا الله وَعَلَيْكُمْ في مجلسهم إلا كان حسرة عليهم يوم القيامة.
[الزهد لأحمد (٢٧٨)]

* وقال كعب بن مالك رضي الله عنه (ت: ٥٠): من أكثر ذكر الله برئ من النفاق^(١).
[جامع العلوم والحكم (٥٧٨)]

* وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه: فقد أبي رضي الله عنه (ت: ١١٤) بغلة له، فقال: لئن ردّها الله وَعَلَيْكُمْ لأحمدنّه محامد يرضاها، فما لبث أن أتيت بها بسرّجها ولجامها، فركبها، فلما استوى عليها وضمّ عليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء، وقال: الحمد لله، لم يزد عليها!
ف قيل له في ذلك فقال: وهل تركت أو أبقيت شيئاً؟ جعلت الحمد كله لله وَعَلَيْكُمْ.
[صفة الصفوة (٢/٤٦٠)]

* وعن الحسن البصري (ت: ١١٠) وقيس بن عبادة رحمهما الله - وهما من كبار التابعين - قالاً: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَحِبُّونَ خَفْضَ الصَّوْتِ عِنْدَ الْقِتَالِ، وَعِنْدَ الْقُرْآنِ، وَعِنْدَ الْجَنَائِزِ»^(٢).
[مصنف عبد الرزاق (٦٢٨١)]

(١) قال ابن رجب رحمته الله: ويشهد لهذا المعنى: أنّ الله وصف المنافقين بأنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً، فمن أكثر ذكر الله، فقد باينهم في أوصافهم، ولهذا ختمت سورة المنافقين بالأمر بذكر الله، وأن لا يلهي المؤمن عن ذلك مال ولا ولد، وإن من ألهاه ذلك عن ذكر الله فهو من الخاسرين. [جامع العلوم والحكم] (٥٧٨).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: وكذلك سائر الآثار تقتضي أنهم كانت عليهم السكينة في هذه المواطن، مع امتلاء القلوب بذكر الله، وإجلاله وإكرامه، كما أن حالهم في الصلاة كذلك.

* وقال سَعِيد بن جُبَيْر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٤): الذكر طاعة الله، فمن أطاع الله، فقد ذكَّره، ومن لم يُطعه فليس بذاكِرٍ، وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن.

[صفة الصفوة (٣/٥٥)]

* وقال عون بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٢٣): الذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين.

[الزهد لابن المبارك (٣٢٥)]

قال: ولولا ذلك الرجل هُزمت الفئة، ولولا مَنْ يذكر الله في غفلة الناس هلك الناس.

[صفة الصفوة (٣/٧٠)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مجالس الذكر شفاء القلوب.

[تهذيب الحلية (٢/٩٤)]

* وقال رجل من العُبَّاد يوماً لإخوانه: إني لأعلم متى يذكرني ربي ﷻ؟ قال: ففزعوا من ذلك، فقالوا: تعلم حين يذكرك ربك؟ قال: نعم، قالوا: متى؟ قال: إذا ذكرته ذكرني.

[شعب الإيمان (١٠٩٩)]

* وقال مالك بن دينار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣١): ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى.

[صفة الصفوة (٣/١٩٥)]

* وكان الربيع بن خثيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٠) إذا أصبح قال: مرحباً بملائكة الله، اكتبوا، بسم الله الرحمن الرحيم، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

[صفة الصفوة (٣/٤٥)]

* وعن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٨١): لو أن رجلاً جلس على ظهر الطريق ومعه خرقة فيها دنانير لا يمر إنسان إلا

= وكان رفع الصوت في هذه المواطن الثلاثة من عادة أهل الكتاب والأعاجم، ثم قد ابتلي بها كثيرٌ من هذه الأمة. «اقتضاء الصراط المستقيم» (٣٥٨).

أعطاه دنائير وآخر إلى جانبه يكبر لكان صاحب التكبير أعظم أجراً.

[الزهد لأحمد (٦٥١)]

* وقال عبيد الله بن عمير رضي الله عنه (ت: ٧٧): إن بخلتم بالمال أن تنفقوه وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه وأعظمكم الليل أن تساهروه فاستكثروا من قول سبحان الله وبحمده، فوالذي نفسي بيده هذا أوجه عند الله من جبلي ذهب وفضة^(١).

[الزهد لأحمد (٦٢٨)]

* وعن ابن عون رضي الله عنه (ت: ١٦٠) قال: ذُكِرَ الناسِ داءً، وذُكِرَ الله دواءً.

قال الذهبي رضي الله عنه (ت: ٧٤٨): إي والله، فالعجبُ منا ومن جهلنا كيف ندعُ الدواء ونفتحمُ الداء؟! [تهذيب السَّير (٦٥٧/٢)]

* وقال ابن القيم رضي الله عنه: الحادية والستون^(٢): أنَّ الذكر يعطي الذاكر قوة حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لا يطيق فعله بدونه.

وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه (ت: ٧٢٨) في مشيته وكلامه وإقدامه وكتابته أمراً عجيباً، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة أو أكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمراً عظيماً.

وقال: وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليّ وقال:

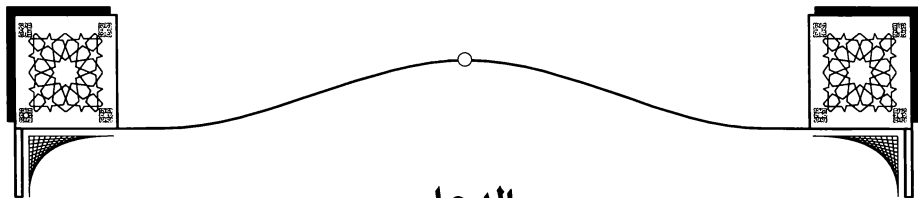
(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه: مِمَّا هُوَ كَالْإِجْمَاعِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ وَأَمْرِهِ: أَنَّ مُلَازِمَةَ ذِكْرِ اللَّهِ دَائِمًا هُوَ أَفْضَلُ مَا شَعَلَ الْعَبْدُ بِهِ نَفْسَهُ فِي الْجُمْلَةِ. «مجموع الفتاوى» (١٠/٦٦٠).

(٢) من فضائل الذكر التي عددها ابن القيم.

هذه غدوتي، ولو لم أتخذ هذا الغداء لسقطت قوتي، أو كلاماً قريباً من هذا.

وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإيراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر. أو كلاماً هذا معناه. [الوابل الصيب (٤٢، ٧٧)]





الدعاء

أ - أهمية الدعاء، والتضرع إلى الله والتذلل له، وما قيل في ذلك :

* عن سلمان الفارسي رضي الله عنه (ت : ٣٣) قال : «إِذَا كَانَ الْعَبْدُ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَيَحْمَدُهُ فِي الرَّخَاءِ فَأَصَابَهُ ضُرٌّ فَدَعَا اللَّهَ، قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ: صَوْتُ مَعْرُوفٍ مِنْ أَمْرِيِّ ضَعِيفٍ فَيَشْفَعُونَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ الْعَبْدُ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَلَا يَحْمَدُهُ فِي الرَّخَاءِ فَأَصَابَهُ ضُرٌّ فَدَعَا اللَّهَ، قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ: صَوْتُ مُنْكَرٍ فَلَمْ يَشْفَعُوا لَهُ». [مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٦٦٤)]

* وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه (ت : ٣٢) : إن العبد المسلم ليُغفر الله له وهو نائم.

قيل له : وكيف ذاك يا أبا الدرداء؟

قال : يقوم أخوه من الليل فيتهجد فيدعو الله فيستجيب له، ويدعو لأبيه فيستجيب له. [الزهد لأحمد (٢٦٤)]

* وقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه (ت : ٣٢) : لَا يَسْمَعُ اللَّهُ مِنْ مُسْمَعٍ^(١)، وَلَا مِنْ مُرَاءٍ، وَلَا لِأَعِيبٍ، وَلَا مِنْ دَاعٍ إِلَّا دَاعٍ دَعَاءً ثَبَتًا مِنْ قَلْبِهِ. [الزهد لأحمد (٢٩٤)]، [الأدب المفرد (٦٠٧) و صححه الألباني]

* وعن ثابت البناني رضي الله عنه عن رجل من العباد رضي الله عنه : أنه قال يوماً

(١) أي : من فعل فعلاً أراد به التسميع للناس والاشتهار.

لإخوانه: إني لأعلم حين يستجيب لي ربِّي ﷻ، فعجبوا من قوله وقالوا: وكيف تعلم ذلك؟ قال: إذا وَجَلَ قلبي، واقتشعرت جلدِي، وفاضت عيني، وفُتِح لي في الدعاء، فَتَمَّ أعلم أن قد استُجيب لي. [شعب الإيمان (١٠٩٩)]

* وقال طاووس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٠٦): إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، وجعل دونك حجاباً، وعليك بطلب حوائجك إلى من بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، طلب منك أن تدعوه ووعدك الإجابة.

[تهذيب الحلية (٣٠/٢)]

* وقال أبو العتاهية (ت: ٢١٣):

لَا تَسْأَلَنَّ أَحَاكَ يَوْمًا حَاجَةً وسل الذي أبوابه لا تحجب
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وبني آدم حين يسأل يغضب
فَاجْعَلْ سُؤَالَكَ لِلَّهِ فَإِنَّمَا في فضل نعمة ربنا نتقلب

[الجامع المنتخب (١٥٨)]

* وقال مطرف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٥): نظرت في بدء هذا الأمر ممن هو؟ فإذا هو من الله تعالى، قلت: فعلى من تمامه؟ فإذا هو على الله تعالى، ونظرت ما ملاكه؟ فإذا ملاكه الدعاء.

[تهذيب الحلية (٣٦٣/١)]

* وقال إبراهيم بن أدهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٧٠): ما بالنا نشكو فقرنا إلى مثلنا، ولا نطلب كشفه من ربنا.

[تهذيب الحلية (٤٨٩/٢)]

* وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧): والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئاً، لأعطاك مولاك كل ما تريد.

[جامع العلوم والحكم (٢٦٤)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن المؤمن إذا استبطأ الفرج وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرّعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة يرجع إلى نفسه باللائمة،

وقال لها: إنما أتيت من قبلك، ولو كان فيك خير لأجبت^(١).

[جامع العلوم والحكم (٢٦٥)]

* وقال الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤):

أَتَهَزَأُ بِالدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ وَمَا تَدْرِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ
سِهَامُ اللَّيْلِ نَافِذَةٌ وَلَكِنْ لَهَا أَمَدٌ وَلِلْأَمَدِ انْقِضَاءٌ
فِيْمَسْكُهَا إِذَا مَا شَاءَ رَبِّي وَيُرْسِلُهَا إِذَا نَفَذَ الْقَضَاءُ

[ديوان الشافعي (٣٢)]

ب - بعض الآداب في الدعاء، وبعض الأخطاء فيه:

* عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (ت: ٥٩) قالت: سلوا ربكم حتى الشسع فإنه

إن لم ييسره والله لم ييسر. [الزهد لأحمد (٣٦١)]

* وسئل مالك بن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩) عن الرجل يدعو يقول:

يا سيدي؟ فقال: يعجبني أن يدعو بدعاء الأنبياء، ربنا ربنا.

[تهذيب الحلية (٢/٣٥٣)]

* ومروا عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٠١) برجل في يده حصي

يلعب به وهو يقول: اللَّهُمَّ زوجني من الحور العين! فقام عليه عمر

فقال: بئس الخاطب أنت، ألا ألقىيت الحصى، وأخلصت لله الدعاء؟

[ابن الدنيا (١/١٧٥)]

(١) قال ابن رجب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه واعترافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء، وأنه ليس بأهل لإجابة الدعاء، فلذلك تسرع إليه حينئذٍ إجابة الدعاء وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله. «جامع العلوم والحكم» (٢٦٥).

* وقال الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١): «ينبغي أن يسر دعاءه؛ لقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] قال: هذا في الدعاء.

وقال: وكانوا يكرهون أن يرفعوا أصواتهم بالدعاء.

* وسمع مجاهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٤) رجلاً رافعاً صوته بالدعاء فرماه بالحصى. [الزهد لو كيع (٣٤٠)]



الخوف والخشية والرجاء

أ - الخوف والخشية:

* لَمَّا طَعَنَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) جَاءَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لِيَ وَلَا لِي.

[صحيح البخاري (٣٤١٦)، (٣٧٠٠)]

* وقال لأبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَلْ يَسُرُّكَ إِسْلَامُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهَجَرْتَنَا مَعَهُ، وَجِهَادَنَا مَعَهُ، وَعَمَلْنَا كُلَّهُ مَعَهُ، بَرَدَ لَنَا، وَأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدَهُ نَجُونًا مِنْهُ، كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ، قَدْ جَاهَدْنَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَصَلَّيْنَا، وَصُمْنَا، وَعَمَلْنَا خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَسْلَمَ عَلَيَّ أَيْدِينَا بَشْرًا كَثِيرًا، وَإِنَّا لَنَرْجُو ذَلِكَ، فَقَالَ عُمَرُ: لَكِنِّي أَنَا وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ بَرَدَ لَنَا^(١)، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدُ نَجُونًا مِنْهُ كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ^(٢).

[صحيح البخاري (٣٩١٥)]

* وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ رَأْسُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حِجْرِي، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ ضَعْ رَأْسِي بِالْأَرْضِ، قَالَ: فَجَمَعْتُ رِدَائِي فَوَضَعْتَهُ

(١) أَي: ثَبَّتَ لَنَا وَدَامَ.

(٢) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّمَا قَالَ عُمَرُ ذَلِكَ هَضْمًا لِنَفْسِهِ، وَإِلَّا فَمَقَامُهُ فِي الْفَضَائِلِ وَالْكَمَالَاتِ أَشْهُرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ. «الفتح» (٣١٨/٧).

تحت رأسه، فقال: ضع رأسي بالأرض لا أم لك، ثم قال: ويلٌ عمر
وويلٌ أمه إن لم يغفر الله له. [الزهد لأبي داود (٦٦)]

* وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): «إن المؤمن يرى
ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه
كذبابٍ مرَّ على أنفه، فقال به هكذا.

قال أبو شهاب الزهري بيده فوق أنفه. [صحيح البخاري (٦٣٠٨)]

* وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (ت: ٣٦): كان الناس يسألون
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني.

[صحيح البخاري (٣٣٣٨)]

* ولما نزل بحذيفة بن اليمان رضي الله عنه الموت جزع جزعاً شديداً،
ف قيل له: ما يبكيك؟

قال: ما أبكي أسفاً على الدنيا؛ بل الموت أحب إلي، ولكني لا
أدري على ما أقدم على الرضا أم على سخط؟ [ابن أبي الدنيا (٣٤٣/٥)]

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه (ت: ٥٩) قال: لن يلج النار من بكى من
خشية الله، حتى يعود اللبن في الضرع. [الزهد لوكيع (٢٣)]

* وبكى رضي الله عنه في مرضه فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ما أبكي على
دنياكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري، وقلة زادي، فإني أمسيت في
صعود مهبطة على جنة ونار، ولا أدري أيتهما يؤخذ بي.

[ابن أبي الدنيا (٣٤٤/٥)]

* واستأذن ابنُ عباسٍ قَبْلَ مَوْتِ عَائِشَةَ رضي الله عنها وَهِيَ مَعْلُوبَةٌ، فَقَالَ:
أَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَلَمْ يَنْكُحْ بِكَرًّا غَيْرِكَ،
وَنَزَلَ عَذْرُوكِ مِنَ السَّمَاءِ.

فَقَالَتْ: وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا. [صحيح البخاري (٤٧٥٣)]

* وعاد خباب بن الأرت رضي الله عنه (ت: ٣٧) بقايا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أبشر أبا عبد الله، إخوتك تقدم عليهم غداً، فبكى، وقال: «عليها من حال، أما إنه ليس بي جزع، ولكنكم ذكّرتُموني أقواماً، وسمّيتهم لي إخواناً، وإنّ أولئك قد مضوا بأجورهم كما هي، وإنّي أخاف أن يكون ثوابٌ ما تذكرون من تلك الأعمال ما أتينا بعدهم.

[الزهد لأبي داود (٢٣٧)]

* وعن شداد بن أوس الأنصاري رضي الله تعالى عنه (ت: ٦٠) أنه كان إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه، لا يأتيه النوم فيقول: اللَّهُمَّ إن النار أذهبت مني النوم، فيقوم فيصلّي حتى يصبح.

[تهذيب الجلية (١/٢٠٢)]

* وعن أبي رجاء العطاردي قال: رأيت ابن عباس رضي الله تعالى عنه (ت: ٨٦) وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من الدموع.

[الزهد لأحمد (٢٧١)]

* ودخل ابن عمر رضي الله تعالى عنه (ت: ٧٣) الكعبة فسمعته وهو ساجد يقول: قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك.

* وقال كعب الأحبار رضي الله عنه (ت: ٣٢): لأن أبكي من خشية الله فتسيل دموعي على وجنتي أحب إليّ من أن أتصدق بوزني ذهباً.

[الزهد لأبي داود (٣٧٤)]

* وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رضي الله عنه (ت: ١٦١): ما أطاق أحد العبادة، ولا قوي عليها إلا بشدة الخوف.

[تهذيب الجلية (٢/٣٦٢)]

* وكان سعيد بن المسيّب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٤) يكثُر أن يقولَ في مَجْلِسِهِ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. [تهذيب السَّيَر (١/٤٨٢)]

* وقيل للحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠): كيف نصنع بأقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال الحسن: والله لئن تصحب أقواماً يخوفونك حتى يدركك الأمن، خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى يلحقك الخوف. [تهذيب الحِلْيَةِ (١/٣٣٦)]

• وقال بعض السلف: ليس الخائف من بكى وعصر عينيه، ولكن الخائف من ترك الأمر الذي يخاف أن يعدَّب عليه. [المجالسة وجواهر العلم (٣٦)]

* وعن إبراهيم بن شيبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٤٨) أنه قال: الخوف إذا سكن القلب أحرق مواضع الشهوات فيه، وطرد عنه رغبة الدنيا. [المنتظم (١٤/١١٩)]

* وعن القاسم بن محمد قال: كنا نساfer مع ابن المبارك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٨١) فكثيراً ما كان يخطر ببالي، فأقول في نفسي: بأيِّ شيءٍ فُضِّلَ هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة؟ إن كان يصلي إنناً لنصلي، ولئن كان يصوم إنناً لنصوم، وإن كان يغزُو فإننا لنغزو، وإن كان يحج إنناً لنحجّ.

قال: فكنا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلةً نتعشَّى في بيتٍ إذ طفئ السراج، فقام بعضنا، فأخذ السراج وخرج يستصبح فمكث هنيهة، ثم جاء بالسراج، فنظرتُ إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع، فقلت في نفسي: بهذه الخشية فُضِّلَ هذا الرجل علينا، ولعله حين فقد السراج فصار إلى الظلِّمة ذكر القيامة. [صفة الصفة (٣/٣٧٩)]

* وقال ابنُ المُبَارِكِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَكْثَرُكُمْ عِلْمًا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُكُمْ خَوْفًا. [جامع بيان العلم وفضله (١٢٧١)]

* وقال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: قلت ليزيد بن مرثد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٨٩): ما لي أرى عينيك لا تجف؟ قال: وما سألتك عنه؟ قلت: عسى الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَوَعَّدَنِي إِنْ أَنَا عَصَيْتُهُ أَنْ يَسْجِنَنِي فِي النَّارِ، وَاللَّهُ لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدَنِي أَنْ يَسْجِنَنِي إِلَّا فِي الْحَمَامِ لَكُنْتُ حَرِيًّا أَنْ لَا تَجِفَّ لِي عَيْنٌ. [شعب الإيمان (٨٧٨)]

* وقال الفُضَيْل بن عياض رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧): مَنْ خَافَ اللَّهَ لَمْ يَضُرَّهُ أَحَدٌ، وَمَنْ خَافَ غَيْرَ اللَّهِ لَمْ يَنْفَعَهُ أَحَدٌ. [تهذيب السَّيِّر (٧٧٣/٢)]

* وقال أبو سليمان الداراني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٥): مَنْ حَسُنَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثُمَّ لَا يَخَافُ اللَّهَ فَهُوَ مَخْدُوعٌ. [صفة الصفوة (٤٧٥/٤)]

* وقال المَرُوذِي: كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (١) (ت: ٢٤١) إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ حَقَّقَتْهُ الْعِبْرَةُ، وَكَانَ يَقُولُ: الْخَوْفُ يَمْنَعُنِي أَكْلَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَإِذَا ذَكَرْتُ الْمَوْتَ هَانَ عَلَيَّ كُلُّ أَمْرِ الدُّنْيَا، إِنَّمَا هُوَ طَعَامٌ دُونَ طَعَامٍ، وَلِبَاسٌ دُونَ لِبَاسٍ وَإِنَّمَا أَيَّامٌ قَلَائِلٌ، مَا أَعْدِلُ بِالْفَقْرِ شَيْئًا، وَلَوْ وَجَدْتُ السَّبِيلَ لَخَرَجْتُ حَتَّى لَا يَكُونَ لِي ذَكَرٌ. [تهذيب السَّيِّر (٩٢٩/٢)]

ب - الرجاء وإحسان الظن بالله:

* وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لِيَغْفِرَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفِرَةً لَمْ تَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. [ابن أبي الدنيا (٨٣/١)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ

(١) يعني: أحمد بن حنبل.

حسن الظن بالله، والذي لا إله غيره ما يحسن عبد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه ذلك، فإن الخير في يده. [ابن أبي الدنيا (١/٩٤)]

* وقال أيضاً رضي الله عنه: والله لو تعلمون من الله ما نعلم لا تكلمتم.

[الزهد لأبي داود (١٣٩)]

* ومرض أعرابي فقيل له: إنك تموت، قال: إلى أين يذهب بي؟ قال: إلى الله، قال: فما كراحتي أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه؟. [ابن أبي الدنيا (٥/٣٠٩)]

* وعن المعتمر بن سليمان رضي الله عنه (ت: ١٨٧) قال: قال أبي رضي الله عنه (ت: ١٤٣) حين حضرته الوفاة: يا معتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله وأنا أحسن الظن به. [ابن أبي الدنيا (٥/٣٠٩)]

• وقال بعضهم:

وإني على خوفي من الله واثق بإنعامه والله أكرم منعم

[طبقات المفسرين للداوودي (١/٢٦٢)]

* وعن إبراهيم النخعي رضي الله عنه (ت: ٩٦) قال: كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته، لكي يحسن ظنه بربه.

[ابن أبي الدنيا (٥/٣٠٩)]

* وقال بعضهم:

وإني لأرجو الله حتى كأني أرى بجميل الظن ما الله صانع

[عيون الأخبار (١/٧٨)]

* وقال حماد بن سلمة رضي الله عنه (ت: ١٦٧): والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبوي لاخترت محاسبة الله على محاسبة

أبوي، وذلك أن الله تعالى أرحم بي من أبوي. [تهذيب الجلية (٢/٣٣٦)]
 * وقال يحيى بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٥٨): لولا أن العفو من أحبّ الأشياء إليه ما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه. [الزهد للخطيب (١٣٣)]
 * ولما احتضر بشر بن منصور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٠) ضحك، وقال: أخرج من بين ظهрани من أخاف فتنته وأقدم على من لا أشك في رحمته. [ابن أبي الدنيا (١/١٠٠)]

ج - الموازنة بين الخوف والرجاء:

* قال مطرف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٥): لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لوجدا سواء لا يزيد أحدهما على صاحبه. [تهذيب الجلية (١/٣٦٣)]
 * وعن الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: الرجاء والخوف مطيئا المؤمن. [الزهد لأحمد (٤٥٢)]
 * وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧٨): الخوف أفضل من الرجاء ما دام الرجل صحيحاً، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل.
 [تهذيب السيرة (٢/٧٧٧)]

د - ما جاء فيمن يُصعق عند الموعظة، وموقف السلف من ذلك:

* عن حصين بن عبد الرحمن قال: قلت لأسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٧٣): كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ عند قراءة القرآن؟ قالت: كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم ﷻ تدمع عيونهم، وتتشعر جلودهم، فقلت لها: إن ههنا رجالاً إذا قرئ على أحدهم القرآن غشي عليه، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. [تلبس إبليس (٢٨٨)]

* ومر ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٣) برجل ساقط من العراق فقال: ما

شأنه؟ فقالوا: إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا. قال: إنا لنخشى الله وَعَبَّك وما نسقط. [تهذيب الجلية (١/٢٢١)]

* وكان رجلٌ يردد عند الذكر فقال له إبراهيم النخعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٦):
إن كنت تملكه فما أبالي أن لا أعتد بك، وإن كنت لا تملكه فقد خالفت
من هو خير منك. [شعب الإيمان للبيهقي (١١/١٥)]

هـ - فوائد أخرى:

* عن الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) في قوله وَعَبَّك: ﴿هَأْوُمُ أقرءُوا
كِتَابَهُ﴾ (١٩) إني ظننتُ أنّي مُلقٍ حِسَابِيَةَ ﴿٢٥﴾ [الحاقة: ١٩] قال: إن المؤمن
أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن فأساء العمل.
[تهذيب الجلية (١/٣٣١)]

* وعن أبي حازم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٤٠) قال: من أعظم خصلة ترجى
للمؤمن أن يكون أشد خوفاً على نفسه وأرجاه لكل مسلم.
[ابن أبي الدنيا (١/٩٧)]



حال السلف في التعامل مع نسائهم، ونصحهم وتوجيههم للزوج والزوجة

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣) لرجل همّ بطلاق امرأته:
لِمَ تُطَلِّقُهَا؟ قال: لا أُحِبُّهَا قال: أوْكُلُّ البيوتِ بُيْتٌ على الحبِّ! وأين
الرعايةُ والتدبُّمُ! (١).

* وقال رضي الله عنه: النساءُ عَوْرَةٌ فاستروها بالبيوت، وداووا ضعفهنَّ
بالسكوت. [عيون الأخبار (٣/١٨)]

* وقال رضي الله عنه: ما أعطي عبد مؤمن شيئاً بعد الإيمان بالله أفضل من
امرأة ولود، ودود، حسنة الخلق.

ولا أصاب عبدٌ شيئاً بعد الكفر بالله أشدَّ عليه من امرأة سَلَقَةٍ (٢)،
لها لسان حديد، سيئة الخلق. [الزهد لهناد (١٢٦٧)]

* وقال رضي الله عنه: ما أنفق رجل على نفسه وأهله نفقة إلا له أجرها،
وليبدأ الرجل بمن يعول، ثم الأقرب فالأقرب، فإن فَضَّلَ فليبدأ به.
[ابن أبي الدنيا (٨/١١٥)]

(١) قال في الحاشية: التذم للصاحب: أن يحفظ ذمامه وي طرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه.

(٢) أي: بذينة اللسان، تؤذي زوجها برفع صوتها وصراخها وغلظة ألفاظها.

يقال: سَلَقَهُ بالكلام: آذاه، وهو شدة القول باللسان، قال الله تعالى: ﴿سَلَقُواكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩]. «مختار الصحاح» (١٥٢).

* وكان لعلي رضي الله عنه (ت: ٤٠) امرأتان، فإذا كان يوم هذه اشترى لهما بنصف درهم، وإذا كان يوم هذه اشترى لهما بنصف درهم.

[ابن ابي الدنيا (٨/١١٥)]

* وعن حذيفة رضي الله عنه (ت: ٣٦) قال: أقرّ ما أكون عيناً، حين يشكو إلي أهلي الحاجة.

[تهذيب الحلية (١/٢٠٦)]

* وكان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه (ت: ١٨) امرأتان، فإذا كان عند أحدهما لم يتوضأ من بيت الأخرى.

* وجاءت إليه امرأة فقالت: إنك رسول رسول الله حقاً، ما حق الزوجة على زوجها؟ قال: حقها عليه: ألا يضرب وجهها، ولا يقبحها، وحقها عليه: أن يطعمها مما يأكل، ويكسوها مما يلبس، وحقها عليه: أن لا يهجرها في بيتها.

[ابن ابي الدنيا (٨/١١٥)]

فماتتا في طاعون أصابهم في يوم واحد، فقدمهما إلى الحفرة، ثم أقرع بينهما أيهما يدخل الحفرة قبل الأخرى.

[ابن ابي الدنيا (٨/١١٦)]

* وكان الزُّبرقان بن بدر رضي الله عنه (ت: ٤٥) إذا زوج ابنته له دنا من خدرها وقال: أسمعين؟ كوني له أمةً يكن لك عبداً.

[عيون الأخبار (٤/٣٦٤)]

* وقال سفيان الثوري رضي الله عنه (ت: ١٦١): إذا أردت أن تتزوج فأهد للأمة.

[عيون الأخبار (٣/١٢٤)]

* وقال أبو الأسود الدؤلي رضي الله عنه (ت: ٦٩) لابنته: إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وعليك بالزينة، وأزين الزينة الكحل؛ وعليك بالطيب، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء؛ وكوني كما قلت لأمك في بعض الأحيان:

خُذِي العَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أُغْضِبُ
فَإِنِّي وَجَدْتُ الحَبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الحَبُّ يَذْهَبُ

[عيون الأخبار (٤/٣٦٤)]

* وقال أبو سنان ضرار بن مرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٠): قد سقيت أهلي اليوم وعلفت الشاة، وكان يقول: خيركم أنفعكم لأهله.

[تهذيب الحلية (٢/١٥١)]

* وسُئِلَ الإمام أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١) عن المرأة تصوم فيمنعها زوجها ترى لها أن تصوم؟ قال: لا تصوم ولا تحدث في نفسها من صلاة ولا صيام إلا أن يأذن لها، إلا الواجب الفرض، فأما غير ذلك فلا تصوم إلا بإذنه.

وتطيعه في كل ما أمرها به من الطاعة. [الآداب الشرعية (١/٣٢٩)]

• وكانت لأبي بكر ابن اللباد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٣٣) امرأة سليطة، تؤذيه بلسانها، فقال له أصحابه: طلقها، ونحن نؤدي حقها، فقال: أخشى إن طلقتها أن يُبْتَلَى بها مسلم، ولعل الله دفع عني بمقاساتها بلاءً عظيماً.

وكان يقول: لكل مؤمن محنة وهي محنتي. [ترتيب المدارك (٣/٢٥٧)]



عناية السلف بالأولاد

أ - الحرص على تربيتهم وتعليمهم، والصبر على ذلك:

* قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت: ٤٠) في هذه الآية ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦]: علموهم وأدبوهم. [ابن ابی الدنيا (٧٧/٨)]

• ووقف عمرو بن العاص رضي الله عنه (ت: ٤٣) على حلقة من قريش فقال: ما لكم قد طرحتم هذه الأئمة؟ لا تفعلوا، وأوسعوا لهم في المجلس، وأسمعوهم الحديث، وأفهموهم إياه، فإنهم صغار قوم أو شك أن يكونوا كبار قوم، وقد كنتم صغار قوم، فأنتم اليوم كبار قوم.

[شرف أصحاب الحديث (٦٥)]

* وعن عكرمة قال: كان ابن عباس رضي الله عنه (ت: ٦٧) يجعل في رجلي الكبل ويعلمني القرآن والسنن. [مسند الدارمي (٥٧٢)]

* وقال بعض الحكماء: بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال وتفرق البال.

وقال بعض الشعراء:

إنَّ الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا يلين إذا قومته الحشْبُ
قد ينفع الأدبُ الأحداثَ في مهلٍ وليس ينفع عند الشَّيْبَةِ الأدبُ

[أدب الدين (٣٧٠)]

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما (ت: ٧٣) قال: كان يُعَلِّمُ الصبي الصلاة إذا عرف يمينه من شماله. [ابن ابي الدنيا (٧٣/٨)]

* وقال أيضاً رضي الله عنهما لرجل: يا هذا أحسن أدب ابنك؛ فإنك مسؤول عنه، وهو مسؤول عن برك. [ابن ابي الدنيا (٧٨/٨)]

* وعن سفيان الثوري رحمته الله (ت: ١٦١) قال: ينبغي للرجل أن يُكْرِهَ وَلَدَهُ عَلَى الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْهُ. [تهذيب السَّيِّرِ (٢/٦٩٩)]

* وقال إبراهيم الحربي رحمته الله (ت: ٢٨٥): جَنَّبُوا أَوْلَادَكُمْ قِرْنَاءَ السُّوءِ، قَبْلَ أَنْ تَصْبِغُوهُمْ فِي الْبَلَاءِ، كَمَا يَصْبِغُ الثَّوْبَ. [ذم الهوى (١٠٢)]

* وقال أيضاً رحمته الله: أول فساد الصبيان بعضهم من بعض. [ذم الهوى (١٠٢)]

* وبلغ عمر بن عبد العزيز رحمته الله (ت: ١٠١) أن ابناً له اشترى فصاً بألف درهم فتحتم به، فكتب إليه عمر: عزيمة مني إليك لما بعت الفص الذي اشتريت بألف درهم وتصدقت بثمنه، واشتريت فصاً بدرهم واحد ونقشت عليه: رحم الله امرأ عرف قدره والسلام.

[تهذيب الحلية (٢/٢٢٥)]

* وكتب رحمته الله إلى مؤدب ولده: خذهم بالجفاء، فهو أَمْنَعُ لِإِقْدَامِهِمْ، وَتَرْكُ الصُّبْحَةِ^(١)، فَإِنْ عَادَتْهَا تُكْسِبُ الْغَفْلَةَ، وَقِلَّةَ الضَّحْكَ، فَإِنْ كَثُرَتْ تَمِيتُ الْقَلْبَ، وَلَيْكُنْ أَوَّلَ مَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أَدْبِكَ بَغْضُ الْمَلَاهِي، الَّتِي بَدَّوْهَا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَعَاقِبَتُهَا سَخَطُ الرَّحْمَنِ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ الثَّقَاتِ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ أَنَّ حُضُورَ الْمَعَازِفِ، وَاسْتِمَاعَ الْأَغَانِي،

(١) هي النوم أول النهار؛ لأنه وقت الذكر، ثم وقت طلب الكسب. «النهاية» (٧/٣).

واللهج بهما، ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب بالماء، وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن. [ابن أبي الدنيا (٥/٢٨٥)]

* ودخل الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤) يوماً إلى بعض حجر هارون الرشيد واستأذن له عليه فأقعه الخادم عند أبي عبد الصمد مؤدب أولاد الرشيد، قال له: يا أبا عبد الله، هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهذا مؤدبهم، فلو أوصيته، فأقبل على أبي عبد الصمد فقال له: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك فإن أعينهم مغفورة^(١) بعينك، فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تستقبحه، علمهم كتاب الله، ولا تُكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم زدهم من الشعر أعفّه ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجتهم من علم إلى غيره حتى يتقنوه، فإن ازدحام الكلام في المسمع مضلة للفهم. [المنتظم (١٠/١٣٩)]، [الحلية (٩/١٤٧)]

• وقال الميموني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١): أيهما أحب إليك أبدأ ابني بالقرآن أو بالحديث؟ قال: لا، بالقرآن، قلت: أعلمه كله؟ قال: إلا أن يعسر فتعلمه منه، ثم قال لي: إذا قرأ أولاً تعود القراءة ثم لزمها. [طبقات الحنابلة (٢/٩٥)]

قال ابن مفلح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وعلى هذا أتباع الإمام أحمد إلى زمننا هذا^(٢). [الأداب الشرعية (٢/٢٥)]

(١) في الحلية وصفة الصفوة للمؤلف: معقودة، وهي الصواب.

(٢) وإلى زمننا هذا كذلك، والحمد لله.

ب - فضل الأولاد:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه (ت: ٥٩) قال: إن الرجل لُتُرفِع له الدرجة فيقول: يا رب أنى لي هذه؟ فيقال له: باستغفار ولدك.

[ابن الدنيا (٦/٣٥٧)]

* وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه (ت: ١٧٠) لرجل: لك عيال؟ فقلت: نعم، قال: روعة من روعة عيالك أفضل مما أنا فيه.

[تهذيب الحلية (٢/٤٨٦)]

ج - الصبر على فقد الولد:

● قال محمد بن عيسى الزاهد رضي الله عنه فيما بلغه: إن عبد الرحمن بن مهدي رضي الله عنه مات له ابن، فجزع عليه جزعاً شديداً، فبلغ ذلك محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه (ت: ٢٠٤) فكتب إليه: اعلم أن أمض ^(١) المصائب فقد سرورٍ مع حرمان أجر، فكيف إذا اجتمعاً على اكتسابٍ وزر؟ فأقول: إنني مُعزّيكَ لا أني على ثقةٍ من الخلود ولكن سنة الدين فما المعزّي بباق بعد صاحبه ولا المعزّي ولو عاشا إلى حين

قال: فكانوا يتهادونه بينهم بالبصرة. [طبقات الشافعيين (١/٦٨)]

د - فضل الإنفاق عليهم:

* عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفَقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفَقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفَقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ يُنْفَقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»

قَالَ أَبُو قِلَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٤): وَبَدَأَ بِالْعِيَالِ، وَأَيُّ رَجُلٍ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَى عِيَالٍ صِغَارٍ حَتَّى يُعْنِيَهُمُ اللَّهُ وَعِيَالٌ؟.

[صحيح مسلم (٩٩٤)]

* وقال عبد الله بن المبارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨١): لَا يَقَعُ مَوْقَعُ الْكَسْبِ عَلَى الْعِيَالِ شَيْءٌ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعِيَالٌ.

[صفة الصفوة (٤/٣٧٥)]

* وقال الشعبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٣): مَا تَرَكَ عَبْدٌ مَالًا هُوَ فِيهِ أَعْظَمُ أَجْرًا، مِنْ مَالٍ يَتْرِكُهُ لَوْلَاهُ يَتَعَفَّفُ بِهِ عَنِ النَّاسِ. [تهذيب الحلية (٢/١١٢)]

* وعن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قَالَ: الْمَقْتَرُ عَلَى عِيَالِهِ خَائِنٌ.

[ابن ابي الدنيا (٨/٩٠)]

* وعن مسلم قال: لَقِيتُ مَعَاوِيَةَ بْنَ قُرَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٠) وَأَنَا جَائِعٌ مِنَ الْكَلَاءِ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: اسْتَبْرَأْتُ لِأَهْلِي كَذَا وَكَذَا، قَالَ: وَأَصَبْتَهُ مِنْ حَلَالٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: لِأَنَّ أَغْدُو فِيهَا غَدَوَاتٌ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ: أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُومَ اللَّيْلَ وَأَصُومَ النَّهَارَ. [ابن ابي الدنيا (٨/٩١)]

هـ - تحفيزهم وعدم احتقارهم:

* قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فِيمَ تَرُونَ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ: ﴿أَيُّدٌ أَحَدَكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦٦]؟
قالوا: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَغَضِبَ عُمَرُ، فَقَالَ: قُولُوا: نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ.

فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ عُمَرُ: يَا أَخِي قُلْ وَلَا تَحْقِرْ نَفْسَكَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضَرَبْتُ مِثْلًا لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: أَيُّ عَمَلٍ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْلَمُ

بطاعة الله ﷻ، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله. [صحيح البخاري (٤٢٦٤)]

* وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: كَانَ عمر رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ [النصر: ١ - ٢] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم، لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئاً.

فقال لي: يا ابن عباس، أذكلك قولك؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [النصر: ١]: فتح مكة، فذاك علامة أجلك: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ٣].

قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم. [صحيح البخاري (٤٠٤٣)]

* وعن يوسف بن الماجشون قال: قال لنا ابن شهاب رضي الله عنه (ت: ١٢٤) - أنا وابن أخي وابن عم لي ونحن غلمان أحداث نسأله عن الحديث -: لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم فإن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الشبان فاستشارهم يبتغي حدة عقولهم. [تهذيب الجلية (٢/٢٤)]

و - العدل بينهم:

* عن إبراهيم رضي الله عنه (ت: ٩٦): قال كانوا يستحبون أن يسوا بين أولادهم حتى في القُبل. [ابن أبي الدنيا (٢٤/٨)]

* وعن عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠١) أنه ضم ابناً له وكان يحبه، فقال: يا فلان والله إني لأحبك، وما أستطيع أن أوثرك على أخيك بلقمة. [ابن أبي الدنيا (٨/٢٤)]

* وعن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: إذا لم يعدل المعلم بين الصبيان كُتِبَ من الظلمة. [ابن أبي الدنيا (٨/٨٤)]

ز - تزويج الأبناء والبنات:

* قالت أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٧٣): إنما النكاح رِقٌّ، فليُنظر أحدكم أين يَرِقُّ عتيقته. [مسند سعيد بن منصور (٥٩١)]

* وقال سعيد بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٧): إذا علمت ولدي القرآن، وحبَّجته، وزوجته، فقد قضيت حقه، وبقي حقي عليه.

[ابن أبي الدنيا (٨/٤٩)]

* وقال رجل للحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠): إن لي بُنَيَّةً وإنها تُحْطَبُ، فَمِمَّنْ أزوِّجها؟ فقال: زوجها ممن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها. [ابن أبي الدنيا (٨/٣٩)]

ح - العطف عليهم، ومحبتهم، ومداعتهم:

* قال البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّى، فَأَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهَا: «كَيْفَ أَنْتِ يَا بِنِيَّةُ؟ وَقَبْلَ خَدَّهَا».

[سنن أبي داود (٥٢٢٢)]

* وعن عقبه بن الحارث قال: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَيَالٍ، وَعَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَمْشِي إِلَى جَنْبِهِ، فَمَرَّ

بِحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ يَلْعَبُ مَعَ غِلْمَانٍ، فَأَحْتَمَلَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

بِأَبِي شِبْهُ النَّبِيِّ لَيْسَ شَبِيهَاً بِعَلِيٍّ

قَالَ: وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ. [مسند الإمام أحمد (٤٠)، وصحح إسناده محققوه]

* وكان ابن عمر رضي الله عنهما (ت: ٧٣) إذا لقي ابنه سالماً قبله، ويقول:

شيخ يقبل شيخاً. [ابن أبي الدنيا (٤٤/٨)]

* وعن أبي واثلة أن معاوية دخلته موجدة على ابنه يزيد، فأرق

لذلك ليلته، فلما أصبح بعث إلى الأحنف بن قيس رضي الله عنه (ت: ٧٢) فأتاه، فلما دخل عليه قال له: يا أبا بحر كيف رضاك على ولدك، وما تقول في الولد؟

قال: فقلت في نفسي: ما سألني أمير المؤمنين عن هذه إلا

لموجدة دخلته على يزيد، فحضرني كلام لو كنت زوّقت فيه سنة لكنت قد أجدت.

فقلت: يا أمير المؤمنين هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن

لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، فإن غضبوا يا أمير المؤمنين فأرضهم، وإن طلبوك فأعطهم، يمحضوك ودهم، ويلطفون جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلاً لا تعطهم إلا نزرّاً، فيملوا حياتك، ويكرهوا قربك.

قال: لله درك يا أحنف، والله لقد بعثت إليك وإني من أشد الناس

موجدة على يزيد، فلقد سللت سخيمة قلبي. [ابن أبي الدنيا (٤٥/٨)]

* وقال بعض السلف رضي الله عنه قال: برّ ولدك؛ فإنه أجدر أن يبرك،

وإنه من شاء عق ولده. [ابن أبي الدنيا (٤٤/٨)]

ط - التسليم على الصبيان:

* عن عثمان بن إبراهيم قال: رأيت ابن عمر رضي الله عنهما (ت: ٧٣) يمر بنا ونحن صبيان فيسلم علينا.
[ابن ابي الدنيا (٧١/٨)]

* ومّر ثابت البناني رضي الله عنه (ت: ١٣٣) بصبيان فسلم عليهم، وحدث ثابت أنه كان يمشي مع أنس رضي الله عنه (ت: ٩٣) فمر بصبيان فسلم عليهم، وحدث أنس أنه كان يمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بصبيان فسلم عليهم.
[صحيح مسلم (٢١٦٨)]

ي - مداعبة الصبيان، والرخصة في لعبهم:

* عن الحسن رضي الله عنه (ت: ١١٠) أنه دخل منزله، وصبيان يلعبون فوق البيت، فنهاهم رجل معه، فقال الحسن: دعهم فإن اللعب ربيعهم.
[ابن ابي الدنيا (١٣١/٨)]

* وعن إبراهيم النخعي رضي الله عنه (ت: ٩٦) قال: كانوا يرخصون للصبيان في اللعب كله إلا بالكلاب.
[ابن ابي الدنيا (١٣٢/٨)]

ك - العناية بالأيتام، وتأديبهم:

* عن أبي الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢) قال: اتقوا دمة اليتيم ودعوة المظلوم؛ فإنهما يسيران بالليل والناس نيام.
[ابن ابي الدنيا (١٣٥/٨)]

* وقيل لابن سيرين رضي الله عنه (ت: ١١٠): عِنْدِي يَتِيمٌ، قَالَ: اصْنَعْ بِهِ مَا تَصْنَعُ بَوْلَدِكَ، اضْرِبْهُ مَا تَضْرِبُ وَلَدَكَ.
[الأدب المفرد (١٤٠) وصححه الألباني]

* وعن فرقد السبخي رضي الله عنه (ت: ٣١) قال: ما خلق مائدة أعظم شرفاً من مائدة يُطعم عليها يتيم.
[ابن ابي الدنيا (١٣٦/٨)]

ل - فوائد أخرى :

* قال ابن عباس رضي الله عنهما (ت: ٦٧) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]، قال: المؤمن ترفع له ذريته وإن كان دونه في العمل، فيقر الله وَجَلَّ به عينه.

[ابن ابي الدنيا (٨/٨٥)]

* وقال أيضاً رضي الله عنه: في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤]: أما إنه لم يكن قرّة أعين أن يرونه صحيحاً جميلاً، ولكن أن يرونه مطيعاً لله وَجَلَّ.

[ابن ابي الدنيا (٨/٩٩)]

* وقال الحسن البصري رضي الله عنه (ت: ١١٠) في قوله تعالى: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤]: في طاعة الله، وما شيء أقرّ لعين المؤمن من أن يرى حبيبه في طاعة الله.

[صحيح البخاري (٦/١٠٩)]

* ورأى مالك بن دينار رضي الله عنه (ت: ١٣١) رجلاً يُسيء صلواته، فقال: ما أرحمني لعياله! فقيل له: يسيء هذا صلواته وترحم عياله؟ قال: إنه كبيرهم ومنه يتعلمون.

* وكان أيوب السخيتاني رضي الله عنه (ت: ١٣١): إذا هنأ بمولود قال:

جعله الله مباركاً عليك وعلى أمة محمد.

[ابن ابي الدنيا (٨/٥٥)]



المواساة وتفريج الكُرب

* عن ابن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢) قال: يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط، وأظماً ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن كسا الله كساه الله، ومن أطعم الله أطعمه، ومن سقى الله سقاه، ومن عمل لله أغناه الله. [ابن أبي الدنيا (٤/١٦٥)]

* وجاء رجل إلى الحسين بن علي رضي الله عنه فسأله أن يذهب معه في حاجة، فقال: إني معتكف، فأتى الحسن بن علي رضي الله عنه (ت: ٥٠) فأخبره، فقال الحسن: لو مشى معك في حاجتك أحب إلي من اعتكاف شهر. [ابن أبي الدنيا (٤/١٨٥)]

* وقال الحسن البصري رضي الله عنه (ت: ١١٠): لأن أقضي لمسلم حاجة أحب إلي من أن أصلي ألف ركعة. [ابن أبي الدنيا (٤/١٧٠)]

* ولما ماتت أم صالح رحمها الله - زوجة أحمد بن حنبل - قال أحمد رضي الله عنه (ت: ٢٤١) لامرأة عندهم: اذهبي إلى فلانة ابنة عمي فاخطبها لي من نفسها، قال: فأنتها فأجابته، فلما رجعت إليه قالت: كانت أختها تسمع كلامك قال: وكانت بعين واحدة؟ قالت: نعم، قال: فاذهبي واخطبي تلك التي بعين واحدة فأنتها فأجابته وهي أم عبد الله. [المنتظم (١١/٢٨٨)]

* وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه (ت: ١٧٠): ذهب السخاء والكرم والجود والمواساة، فمن لم يواس الناس بماله وطعامه وشرا به، فليواسهم

ببسط الوجه والخلق الحسن، لا تكونون في كثرة أموالكم تتكبرون على فقراءكم، ولا تميلون إلى ضعفاءكم، ولا تنبسطون إلى مساكينكم.

[تهذيب الحلية (٢/٤٧٧)]



عناية السلف بالفقراء والمساكين

* قال أسلم: خرجتُ ليلةً مع عمر رضي الله عنه (ت: ٢٣) إلى ظاهر المدينة، فلاح لنا بيتٌ شعرٍ فقصدناه، فإذا فيه امرأةٌ تمخضُ وتبكي، فسألها عمرٌ عن حالها، فقالت: أنا امرأةٌ غريبةٌ وليس عندي شيءٌ. فبكى عمرٌ وعاد يُهرؤلُ إلى بيته، فقال لامرأته أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب: هل لك في أجرٍ ساقه الله إليك؟ وأخبرها الخبر، فقالت: نعم، فحمل عليّ ظهره دقيقاً وشحمًا، وحملت أمّ كلثوم ما يصلح للولادة وجاء، فدخلت أمّ كلثوم على المرأة، وجلس عمرٌ مع زوجها - وهو لا يعرفه - يتحدث، فوضعت المرأة غلامًا، فقالت أمّ كلثوم: يا أمير المؤمنين بشّر صاحبك بغلام. فلمّا سمع الرجل قولها استعظم ذلك وأخذ يعتذر إلى عمر، فقال عمرٌ: لا بأس عليك، ثم أوصلهم بنفقةٍ وما يصلحهم وانصرف.

* وقال أسلمٌ: خرّجنا مع عمر رضي الله عنه بن الخطاب رضي الله عنه إلى حرّةٍ واقم، حتّى إذا كنا بصرارٍ إذا نارٌ، فقال: يا أسلم، إنني لأرى ها هنا ركبًا قصر بهم الليل والبرد، انطلق بنا، فخرّجنا نُهرؤلُ حتّى دنونا منهم، فإذا بامرأةٍ معها صبيانٌ صغارٌ وقدز منضوبةً على نارٍ وصيائها يتضاغون، فقال عمرٌ: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، وكرهه أن يقول: يا أصحاب النار، فقالت: وعليك السلام، فقال: أدنوا؟ فقالت: اذن بخيرٍ أو دغ، فدنا فقال: ما بالكُم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد، قال: فما بال هؤلاء

الصَّبِيَّةِ يَتَضَاعُونَ؟ قَالَتْ: الْجُوعُ، قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ فِي هَذِهِ الْقَدْرِ؟ قَالَتْ: مَا أَسْكَيْتُهُمْ بِهِ حَتَّى يَنَامُوا، وَاللَّهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّ رَحِمِكِ اللَّهُ، وَمَا يُدْرِي عُمَرَ بِكُمْ؟ قَالَتْ: يَتَوَلَّى عُمَرُ أَمْرَنَا ثُمَّ يَغْفُلُ عَنَّا قَالَ: فَأَقْبِلِ عَلَيَّ فَقَالَ: انْطَلِقِ بِنَا، فَخَرَجْنَا نَهْرُولُ حَتَّى أَتَيْنَا دَارَ الدَّقِيقِ، فَأَخْرَجَ عِدْلًا مِنْ دَقِيقٍ وَكَبَّةً مِنْ شَحْمٍ، فَقَالَ: احْمِلْهُ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: أَنَا أَحْمِلُهُ عَنكَ، قَالَ: أَنْتِ تَحْمِلُ عَنِّي وَرِزِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَحَمَلْتُهُ عَلَيْهِ فَانْطَلَقَ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُ إِلَيْهَا، نَهْرُولُ، فَأَلْقَى ذَلِكَ عِنْدَهَا وَأَخْرَجَ مِنَ الدَّقِيقِ شَيْئًا، فَجَعَلَ يَقُولُ لَهَا: ذُرِّي عَلَيَّ، وَأَنَا أَحْرُكُ لَكَ، وَجَعَلَ يَنْفُخُ تَحْتَ الْقَدْرِ ثُمَّ أَنْزَلَهَا، فَقَالَ: أَبْغِينِي شَيْئًا، فَأَتَتْهُ بِصَحْفَةٍ فَأَفْرَعَهَا فِيهَا ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ لَهَا: أَطْعِمِيهِمْ وَأَنَا أُسْطِخُ لَهُمْ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى شَبِعُوا، وَتَرَكَ عِنْدَهَا فَضْلَ ذَلِكَ، وَقَامَ وَقُمْتُ مَعَهُ، فَجَعَلَتْ تَقُولُ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، كُنْتُ أَوْلَى بِهِذَا الْأَمْرِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَقُولُ: قُولِي خَيْرًا إِذَا جِئْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَدَّثَنِي هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ تَنَحَّى نَاحِيَةً عَنْهَا ثُمَّ اسْتَقْبَلَهَا فَرَبَضَ مَرَبَضًا، فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّ لَنَا شَأْنًا غَيْرَ هَذَا، وَلَا يُكَلِّمُنِي حَتَّى رَأَيْتُ الصَّبِيَّةَ يَضْطَرِّعُونَ ثُمَّ نَامُوا وَهَدَأُوا، فَقَالَ: يَا أَسْلَمُ، إِنَّ الْجُوعَ أَسْهَرَهُمْ وَأَبْكَاهُمْ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَنْصَرِفَ حَتَّى أَرَى مَا رَأَيْتُ.

[فضائل الصحابة للإمام أحمد (٣٨٢)]

* وخرج عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في سواد الليل فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى. فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة أعشرات عمر تتبع! . [تهذيب الحلية (١/٦٩)]

* وكان سلمان الفارسي رضي الله عنه (ت: ٣٣) يعمل بيديه، فإذا أصاب شيئاً اشترى به لحماً - أو سمكاً - ثم يدعو المُجَدِّمِينَ^(١) فيأكلون معه.

[تهذيب الحلية (١/ ١٦١)]

* وجاء مسكين أعمى إلى ابن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢) وقد ازدحم الناس عنده، فناده: يا أبا عبد الرحمن! أدنيت أرباب الخبز واليمنية، وأقصيتني لأجل أني مسكين، فقال له: أدن، فلم يزل يذنيه، حتى أجلسه إلى جانبه وبقره.

[الجامع المنتخب (٨٢)]

* وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه (ت: ٧٣) لَا يَأْكُلُ طَعَاماً إِلَّا وَعَلَى خِوَانِهِ يَتِيمٌ.

[الأدب المفرد للبخاري (١٣٦)، وصححه الألباني]

* وقال جابر بن زيد رضي الله عنه (ت: ١٠٣): لأن أتصدق بدرهم على يتيم أو مسكين، أحب إلي من حجة بعد حجة الإسلام.

[تهذيب الحلية (١/ ٤٦٢)]

* وكانت قيمة ثياب بكر بن عبد الله رضي الله عنه (ت: ١٠٨) أربعة آلاف وكان يجالس الفقراء والمساكين يحدثهم، ويقول: إنه يعجبهم ذلك.

[تهذيب الحلية (١/ ٣٧١)]

* وكان علي بن حسين رضي الله عنه (ت: ٩٤) إذا ناول السائل الصدقة قبله ثم ناوله.

[الزهد لأحمد (٣٠٦)]

* وكان زبيد الياامي رضي الله عنه (ت: ١٢٢) إذا كانت ليلة مطيرة أخذ شعلة من النار فطاف على عجائز الحي فقال: أَوْكَفَ^(٢) عليكم بيت؟

(١) الجُدَامُ: هو داء العرج، ورجل مُجَدِّمٌ: نَزَلَ به الجُدَامُ وأصله من الجَدْم وهو القَطْع.

(٢) وَكَفَ البَيْتُ: هَظَلْ وَقَطَّرَ، وكذلك السَطْحُ، ومصدره الوَكِيفُ والوَكُوفُ. لسان العرب، مادة: وَكَفَ.

أتريدون ناراً؟، فإذا أصبح طاف على عجائز الحي: ألكم في السوق
حاجة أو تريدون شيئاً؟
[المنتظم (٧/٢٢٢)]

* وكتبت حَجَبَةَ بيت الله الحرام إلى عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ
ت: (١٠١) أن يأمرَ للبيت بكسوة، كما يفعل من كان قبله، فكتب
إليهم: إني رأيت أن أجعل ذلك في أكباد جائعة، فإنهم أولى بذلك من
البيت.

[تهذيب الحلية (٢/٢٢٥)]

* وعن المرُودي، قال: لم أرَ الفقيرَ في مجلسٍ أعزَّ منه في
مجلس أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ ت: (٢٤١)، كان مائلاً إليهم، مقصراً عن
أهل الدنيا.
[تهذيب السِّير (٢/٩٢٩)]



المسارعة إلى فعل الخيرات

* قال عمر رضي الله عنه (ت: ٢٣): كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر (ت: ١٣) الليلة كذلك في أمر من أمر المسلمين، وإنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه، فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد، فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته، فلما كدنا نعرفه، قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد».

قال: ثم جلس الرجل يدعو، فجعل رسول الله ﷺ يقول له: «سل تُعْطَهُ، سل تُعْطَهُ».

قال عمر: قلت: والله لأغدوّنّ عليه، فلا بُشّرته، قال: فغدوت عليه فبشّرته، فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشّره، ولا والله ما سابقته إلى خيرٍ قطّ إلا سبقني إليه. [مسند الإمام أحمد (١٧٠)، وصحح إسناده محققوه]

* وقال أيضاً رضي الله عنه: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق وقد وافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، ثم جئت بنصف مالي، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟»، قلت: مثله.

وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً. [سنن أبي داود (١٦٧٨)، سنن الترمذي وصححه (٣٧٥٧) وحسنه الألباني]

* وكان ابنُ عمرَ رضي الله عنهما يقول: «إِذَا أُمِّسِيَتْ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا

أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحِّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ». [صحيح البخاري (٦٤١٦)]

* وَقَالَ سَعِيدُ ابْنِ مَرْجَانَةَ - صَاحِبُ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٠) - :
سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّمَا أَمْرٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ أَمْرًا مُسْلِمًا، اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ»، قَالَ: فَأَنْظَلْتُ حِينَ سَمِعْتُ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَذَكَرْتُهُ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، فَأَعْتَقَ عَبْدًا لَهُ قَدْ أَعْطَاهُ بِهِ ابْنُ جَعْفَرٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ أَوْ أَلْفَ دِينَارٍ.

[صحيح البخاري (٢٥١٧)، صحيح مسلم (١٥٠٩)]

* وعن خالد بن معدان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٣) قال: إذا فتح أحدكم باب خيرٍ فليُسرع إليه، فإنه لا يدري متى يُغلق عنه. [تهذيب السَّيَر (٥٥٢/٢)]

• وقال الشاعر:

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفریط في زمن البذر

[المجالسة وجواهر العلم (٨٠)]

* وقيل لرجل من عبد القيس: أوص، قال: أنذركم سوف.

[ابن الدنيا (٣٥٨/٥)]

* وقال بعضهم: من أحر الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها.

وقال بعض الشعراء:

إذا هبت رياحك فأغتنمها فإن لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الإحسان فيها فما تدري السكون متى يكون

[أدب الدين (٣٢٥)]

* وقال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١): كل شيء من الخير يُبَادِرُ فيه.

وشاوره رجلٌ في الخروج إلى الثغر فقال له: بادر بادر.

[الآداب الشرعية (٢/١٦٤)]

● وقال الشاعر:

الخير أنفعه للناس أعجله وليس ينفع خيرٌ فيه تطويل



حال السلف مع الطعام والشراب

أ - التقليل من الأكل، والحث على ذلك:

* قال عمر رضي الله عنه (ت: ٢٣): أيها الناس، إياكم والبطننة من الطعام، فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسد، مورثة للسقم، ولكن عليكم بالقصد في قوتكم، فإنه أدنى من الإصلاح، وأبعد من السرف، وأقوى على عبادة الله، وإنه لن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه.

[ابن أبي الدنيا (٩٢/٤)]

* وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه (ت: ٣٥) يصنع للناس طعام الأمراء، ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت.

[ابن أبي الدنيا (١٢٤/٤)]

* وعن علي رضي الله عنه (ت: ٤٠) قال: أهلك ابن آدم الأجوفان: البطن والفرج.

[ابن أبي الدنيا (٩١/٤)]

* وقال سعيد بن جبیر رضي الله عنه: صنعت لابن عباس رضي الله عنه (ت: ٦٧) وأصحابه ألواناً من الطعام والخبيص، فقال لي: يا سعيد إنا قوم عرب، فاصنع لنا مكان هذه الألوان الثريد^(١)، ومكان هذه الأخبصة الحيس^(٢)، ولولا أنك رجل منا أهل البيت ما قلت لك.

[ابن أبي الدنيا (١٢٤/٤)]

(١) الثريد: الطعام الذي يصنع بخلط اللحم والخبز المفتت مع المرق، وأحياناً يكون من غير اللحم.

(٢) الحيس: طعام يطبخ فيه تمر ولبن مجفف، ويضاف لهما السمن.

* وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه (ت: ٣٤) قال: إنما البطن هاتِ هاتِ، كفاكم ما سده عنكم. [ابن أبي الدنيا (٨٣/٤)]

* وأتي لعبد الله بن عمر رضي الله عنه (ت: ٧٣) بجوارش، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يهضم الطعام، قال: إنه ليأتي عليّ الشهر ما أشع فيه، فما أصنع بهذا؟ [الزهد لأبي داود (ص ٢٦٣)]

* وعن أبي جعفر رضي الله عنه (ت: ١١٨) قال: إذا امتلأ البطن طغى الجسد. [ابن أبي الدنيا (٨٣/٤)]

* وقال مالك بن دينار رضي الله عنه (ت: ١٣١) لرجل: لَا تَبَيْتَنَّ وَأَنْتَ شَبَعَانُ وَدَعِ الطَّعَامَ وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: هَذَا وَصْفُ أَطْبَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا!

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ رضي الله عنه (ت: ١٢٣): «نَعَمْ، وَوَصْفُ أَطْبَاءِ طَرِيقِ الْآخِرَةِ».

فَقَالَ مَالِكٌ: دَوَاءٌ لِلدُّنْيَانِ وَالِدُّنْيَا.

[ابن أبي الدنيا (٨٧/٤)، الحلية (٣٥١/٢)]

* وقال بعضهم:

وَأِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وَفَرَجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الدَّمِّ أَجْمَعَا

[شرح ديوان الحماسة للتبريزي (٣٣٣/٢)]

* وقال الأعمش رضي الله عنه (ت: ١٤٨) لرجل: ترى هذا البطن؟ إن أهنته أكرمك، وإن أكرمته أهانك. [ابن أبي الدنيا (٩٥/٤)]

* وعن عمرو بن قيس الملائني رضي الله عنه (ت: ١٤٦) قال: وإياكم والبطنة، فإنها تقسي القلب. [الزهد للمعافى (٣٠٧)]

• وكان الشيخ تقي الدين ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٧٢٨) قليل تناول الطعام والشراب، وينشد كثيراً:

لها أحاديث من ذكراك تَشغَلُها عن الشراب وتلهيها عن الزاد

[الآداب الشرعية (٢/٢٤٣)]

ب - أكلُ الحلال، والحذر من أكل الحرام:

* قال وهيب بن الورد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٦٠): لو قمتَ قيام هذه السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك؟ حلال أو حرام؟.

[صفة الصفوة (٢/٥٣٦)]

ج - ترك التكلف والمباهاة في إكرام الناس:

* دعا رجل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) إلى طعام، فقال: نأتيك على ألا تتكلف ما ليس عندك، ولا تدخر عنا ما عندك.

[عيون الأخبار (٣/٢٣١)]

* وعن شعيب بن الحبحاب قال: جاءنا أبو العالية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) يوماً إلى منزلنا فأردنا أن نتكلف له فقال: أطعمونا من طعام البيت ولا تتكلفوا.

[الزهد لأحمد (٥٠٨)]



التوكل والاعتماد على الله

* لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣) ناساً من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، فقال: بل أنتم المتكلمون، إنما المتوكل الذي يلقي حبة في الأرض، ويتوكل على الله.

[ابن أبي الدنيا (١/١٤٠)]

* وعن أبي العالية رضي الله عنه (ت: ٩٣) قال: اجتمع إلي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا العالية، لا تتكل على غير الله فيكلك الله إلى من توكلت عليه.

[ابن أبي الدنيا (١/١٨٢)]

* وعن سعيد بن جبیر رضي الله عنه (ت: ٩٤) قال: التوكل على الله جماع الإيمان.

[الزهد لهناد (٥٣٤)]

* وقال حاتم الأصم رضي الله عنه (ت: ٢٣٧): لي أربعة نسوة، وتسعة أولاد، ما طمع شيطان أن يوسوس إلي في أرزاقهم. [تهذيب السير (٢/٩٦٠)]

* وسأله رجل على ما بنيت أمرك هذا في التوكل على الله؟ قال: على خصال أربع: علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري، فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة، فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنت، فأنا مستحي منه.

[صفة الصفوة (٤/٣٩١)]

• وسئل الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه (ت: ٢٤١) عن التوكل فقال: هو قطع الاستشراف، باليأس من الخلق.

[طبقات الحنابلة (٢/٥٥٦)]

* وقيل له: أي شيء صدق التوكل على الله؟ قال: أن يتوكل على الله ولا يكون في قلبه أحد من الأدميين يطمع أن يجيبه بشيء، فإذا كان كذلك كان الله يرزقه وكان متوكلاً. [جامع العلوم والحكم (٥٧٠)]

* وقال الوزير ابن هبيرة رحمه الله تعالى (ت: ٥٦٠): تدبرت قوله تعالى: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] فرأيت لها ثلاثة أوجه:

أحدها: أن قائلها يتبرأ من حوله وقوته، ويُسَلِّم الأمر إلى مالكه.

والثاني: أنه يعلم أن لا قوة للمخلوقين إلا بالله، فلا يخاف منهم إذ قواهم لا تكون إلا بالله، وذلك يوجب الخوف من الله وحده.

والثالث: أنه ردُّ على الفلاسفة والطبائعيين الذين يدعون القوى في الأشياء بطبيعتها، فإن هذه الكلمة بينت أن القوي لا يكون إلا بالله.

[ذيل الطبقات (١٤٣/٢)]



اليقين بالله

* عن أبي الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢) قال: يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصيامهم، ولمثقال ذرة من برٍّ من صاحب تقوى ويقين أفضل وأرجح وأعظم من أمثال الجبال عبادةً من المغترّين.

[ابن أبي الدنيا (٢٣/١)]

* وقال ابن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحمد أحداً على رزق الله، ولا تلم أحداً على ما لم يؤتكَ الله وَكَيْفَ، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، فإن الله تبارك وتعالى بقسطه وعلمه وحلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضى، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط.

[ابن أبي الدنيا (٣٥/١)]

* وعن خالد بن معدان رضي الله عنه (ت: ١٠٣) قال: تعلموا اليقين كما تعلموا القرآن، حتى تعرفوه فإني أتعلمه.

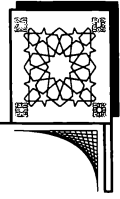
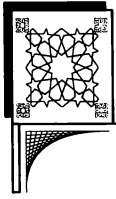
[ابن أبي الدنيا (٢٢/١)]

* وقال الحسن رضي الله عنه (ت: ١١٠): ما أيقن عبد بالجنة والنار حق يقينهما إلا خشع ووجل، وذل واستقام، واقتصد حتى يأتيه الموت.

[ابن أبي الدنيا (٢٧/١)]

* وقال بلال بن سعد رضي الله عنه (ت: ١٢٠): من لم يعمل على اليقين فلا يتعن.

[السنن الصغير للبيهقي (١٢)]



المحبة

أ - محبة الناس بعضهم لبعض :

* قال يحيى بن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت : ٢٥٨) : حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبرِّ ولا تنقص بالجفاء .
[الزهد للخطيب (٦٧)]

* وَسُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت : ٢٤١) عَنِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ؟ فَقَالَ : هُوَ أَنْ لَا تُحِبَّهُ لِطَمَعٍ دُنْيَا .
[أخبار الشيخ (٣٧٣)]

ب - محبة العبد لله، ومحبة الله للعبد، وأسباب ذلك :

* عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت : ٣٢) قال : إن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب .
[الزهد لأبي داود (١٤٩)]

* وعن عامر بن عبد قيس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت : ٨٠) أنه كان يقول : أحببت الله وَعَلَيْكَ حَبًّا سَهْلًا عَلَيَّ كُلِّ مَصِيبَةٍ، ورضاني في كل قضية، فما أبالي مع حبي إياه، ما أصبحت عليه .
[تهذيب الحلية (١/٣٠٢)]

* وعن أبي يزيد البسطامي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت : ٢٧٠) قال : هذا فرحي بك وأنا أخافك، فكيف فرحي بك إذا أمتتكَ؟ ليس العَجَبُ من حبي لك، وأنا عبدٌ فقير، إنما العَجَبُ من حُبِّك لي، وأنت مَلِكٌ قدير .

ج - محبة النبي ﷺ وتعظيمه :

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه دخلت المسجد، فإذا الناس ينكتون بالحصي^(١)، ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه.

قال: فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ قاعداً على أسكفة المشربة^(٢)، فناديت: يا رباح، استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إلي فلم يقل شيئاً، ثم قلت: يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إلي فلم يقل شيئاً، ثم رفعت صوتي، فقلت: يا رباح، استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ؛ فإني أظن أن رسول الله ﷺ ظن أنني جئت من أجل حفصة، والله لئن أمرني رسول الله ﷺ بضرب عنقها لأضربن عنقها، ورفعت صوتي، فأوماً إلي أن ارقه، فدخلت على رسول الله ﷺ.

[صحيح مسلم] (١٤٧٩)

* وقال رضي الله عنه للنبي ﷺ: والله لأنت أحب إلي من نفسي.

[صحيح البخاري] (٦٢٥٧)

* ولما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر شاور الصحابة حين بلغه إقبال أبي سفيان، فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فأعرض عنه، ثم تكلم عمر رضي الله عنه فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة رضي الله عنه (ت: ١٥) فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نُخِضَها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد^(٣) لفعلنا.

[صحيح مسلم] (١٧٧٩)

(١) حُزناً لحزنه، وهماً لهمه، من شدة محبتهم وتعظيمهم له رضي الله عنه.

(٢) هي العتبة السفلى التي توطأ.

(٣) موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل.

* وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه (ت: ٤٣): ما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملاً عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأنني لم أكن أملاً عيني منه. [صحيح مسلم (١٢١)]

* ولما جاء عروة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ زمن الحديبية ليفاوضه على الصلح، جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدّون إليه النظر تعظيماً له.

فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إن^(١) رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمداً، والله إن^(٢) تنخم^(٣) نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدّون إليه النظر تعظيماً له. [صحيح البخاري (٢٧٣١)]

* ولما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ، وأبو طلحة رضي الله عنه (ت: ٣٤) بين يدي النبي ﷺ مُجَوِّبٌ به عليه بحجفة له^(٤)، وكان أبو

(١) أي: ما.

(٢) أي: ما.

(٣) أي: تفل وبزق.

(٤) مترس عليه بنفسه يقيه من ضربات المشركين ونبالهم بترس من الجلد.

طلحة رجلاً رامياً شديد القُدِّ^(١)، يكسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل^(٢)، فيقول: «انشرها لأبي طلحة»، فأشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم، فقال أبو طلحة: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، لا تُشرف^(٣)، يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك^(٤). [صحيح البخاري (٣٨١١)، صحيح مسلم (١٨١١)]

* وقال البزَّارُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٧٤٩): كَانَ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (ت: ٧٢٨) لَا يَذْكُرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَطَّ إِلَّا وَيُصَلِّي وَيَسْلَمُ عَلَيْهِ، وَلَا وَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ تَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا أَحْرَصَ عَلَى اتِّبَاعِهِ وَنَصْرِهِ مَا جَاءَ بِهِ مِنْهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ أَوْردَ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ فِي مَسْأَلَةٍ وَيَرَى أَنَّهُ لَمْ يَنْسُخْهُ شَيْءٌ غَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِهِ، يَعْمَلُ بِهِ وَيَقْضِي وَيَفْتِي بِمُقْتَضَاهُ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى قَوْلِ غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ كَائِنًا مِنْ كَانَ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كُلُّ قَائِلٍ إِنَّمَا يَحْتَجُّ لِقَوْلِهِ لَا بِهِ، إِلَّا اللهُ وَرَسُولُهُ.

[الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (٢٨)]

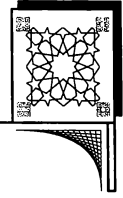
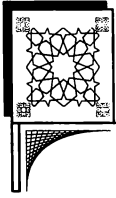


(١) هو السير من جلد مدبوغ، والمعنى: أن وتر قوسه شديد في النزاع والمد.

(٢) الكنانة المملوءة بالنبل.

(٣) أي: لا تنظر.

(٤) أي: أقف بين يديك بحيث إذا جاء السهم يصيب نحري ولا يصيب نحرك والنحر الصدر وأسفل العنق.



حفظ اللسان

أ - حفظ اللسان من كثرة الكلام، ومن الكلام الذي لا ينفع:

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣): رَحِمَ اللهُ امرأً أمسَكَ فضلَ القولِ وقدَّمَ فضلَ العملِ.
[عيون الأخبار (١/٣٨٠)]

* وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): والله الذي لا إله إلا هو ما على وجه الأرض شيءٌ أحوج إلى طول سجن من اللسان.
[الزهد لابن المبارك (٣٦٨)]

* وقال أبو الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢): أَنْصِفْ أُذُنَيْكَ مِنْ فِيكَ، فَإِنَّمَا جُعِلَ لَكَ أُذُنَانِ اثْنَتَانِ وَمَمٌّ وَاحِدٌ، لَتَسْمَعَ أَكْثَرَ مِمَّا تَقُولُ.
[عيون الأخبار (٢/٥٧٣)]

* وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت: ٤٠): اللسان قوام البدن، فإذا استقام اللسان استقامت الجوارح، وإذا اضطرب اللسان لم يقم له جارحة.
[ابن أبي الدنيا (٧/٦٣)]

* وعن مطرف بن الشخير رضي الله عنه (ت: ٩٥) قال: من صفا عمله صفا لسانه، ومن خلط خلط له.
[ابن أبي الدنيا (٥/٢٢٤)]

* وقال وهيب بن الورد رضي الله عنه (ت: ١٦٠): من عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه.
[صفة الصفوة (٢/٥٣٣)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أجمعت الأطباء أن رأس الطب الحِمْيية، وأجمعت الحكماء أن رأس الحكمة الصمت. [ابن أبي الدنيا (٧/٣٣٦)]

* وقال أيضاً: إن الرجل ليصمت فيجتمع إليه لُبُّهُ. [ابن أبي الدنيا (٧/٥٩)]

* وأثنى رجل على رجل فقال له بعض السلف: وما علمك به؟ قال: رأيتَه يتحفظ في منطقَه. [ابن أبي الدنيا (٧/٢٥٠)]

* وعن إبراهيم التيمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٠٠) قال: المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر: فإن كان كلامه له تكلم، وإن كان عليه أمسك عنه. [ابن أبي الدنيا (٧/٢٥٠)]

* وقيل في مثور الحكم: إذا تم العقل نقص الكلام. [أدب الدين (٤٤٩)]

* وعن يحيى بن أبي كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٢٩) قال: خصلتان إذا رأيتهما في الرجل فاعلم أن ما وراءهما خير منهما: إذا كان حابساً للسانِه، يحافظ على صلاته. [ابن أبي الدنيا (٥/٢٢٢)]

* وقال يونس بن عبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٩): خصلتان إذا صلحتا من العبد صلح ما سواهما من أمره: صلاتُه ولسانُه^(١). [صفة الصفة (٣/٢١٩)]

* وقال بعض السلف: إنما لساني سبع إن أرسلته خفت أن يأكلني. [ابن أبي الدنيا (٧/٥٣)]

* وكان يقال: كثرة الكلام تذهب بالوقار. [ابن أبي الدنيا (٧/٦٠)]

(١) لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّكُوتَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقول الرسول ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة».

- * وقال الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧) وابن المبارك رحمهما الله (ت: ١٨١): أشد الورع في اللسان. [ابن أبي الدنيا (١/٢١٠، ١/٢١١)]
- * وقال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٠١): إني لأدع كثيراً من الكلام مخافة المباحة. [الزهدي لأحمد (٥٠٥)]
- * وقال أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس فاقربوا منه؛ فإنه يُلقن الحكمة. [ابن أبي الدنيا (٧/٣٤٨)]
- * وقيل لسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٦١): إذا أخذت في الحديث نشطت وأنكرتكم، وإذا كنت في غير الحديث كأنك ميت؟ قال: أما علمت أن الكلام فتنة؟ [تهذيب الجلية (٢/٤٠٤)]
- * وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كان يقال: الصمت زين العالم، وستر الجاهل. [تهذيب الجلية (٢/٤٠٩)]
- * وقال بعضهم: [عيون الأخبار (٢/٥٧١)]
- إن كان في العِيِّ آفاتٌ مُقَدَّرَةٌ ففي البلاغة آفاتٌ تُساويها
- * وقال حاتم الأصم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣٧): لو أن صاحب خبير جلس إليك ليكتب كلامك لا حترزت منه، وكلامك يُعرض على الله تعالى فلا تحترز!
- * وقيل لإبراهيم بن أدهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٧٠): إن فلاناً يتعلم النحو، فقال: هو إلى أن يتعلم الصمت أحوج. [تهذيب الجلية (٢/٤٨٣)]
- * وقال أبو بكر بن عياش رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٩٣): أدنى نفع السكوت السلامة، وكفى بالسلامة عافية، وأدنى ضرر النطق الشهرة، وكفى بالشهرة بلية. [تهذيب الجلية (٣/٨١)]

* وقال بعض البلغاء: الزم الصمت فإنه يكسبك صفو المحبة، ويؤمّنك سوء المغبة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤونة الاعتذار.

[أدب الدين (٤٤٢)]

• وكان إمامنا - الإمام أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١) - يتعجب من بدر المغازلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٨٢) ويقول: مَنْ مِثْلِ بَدْرِ؟ قَدْ مَلَكَ لِسَانَهُ.

[طبقات الحنابلة (١/١٨٩)]

• وقال حمدان بن ذي النون: ما رأْتُ عيني مثل أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في ورعه وحفظه لسانه.

[طبقات الحنابلة (١/٤٠٦)]

* وقال عطاء بن أبي رباح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٢٠): إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، أتذكرون أن عليكم حافظين، أما يستحي أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته التي أملى صدر نهاره، كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه.

[الصمت لابن أبي الدنيا (٧٨)]

* وقال بعض الحكماء: عقل المرء مخبوء تحت لسانه.

[أدب الدين (٤٤٥)]

• وكان ابن دقيق العيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٧٠٢) يقول: مَا تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ وَلَا فَعَلْتُ فِعْلاً إِلَّا وَأَعَدَدْتُ لَهُ جَوَاباً بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى.

[طبقات الشافعية (٢/٢٤)]

ب - حفظ اللسان من الغيبة وتتبع الزلات والهفوات والسقطات^(١):

* كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يقول: لا تشغلوا أنفسكم

(١) قال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الفوائد (١٥٩): ومن العجيب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والربا، والزنا، وشرب الخمر، ومن النظر إلى المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه =

بذكر الناس؛ فإنه بلاء، وعليكم بذكر الله فإنه رحمة.

[ابن أبي الدنيا (١٣٧/٧)]

* ومَرَّ عمرو بن العاص رضي الله عنه (ت: ٤٣) على بغل ميت فقال: لأن يأكل أحدكم من لحم هذا البغل حتى يمتلئ بطنه خير له من أن يأكل لحم رجل مسلم.

* وعن ابن عباس رضي الله عنه (ت: ٦٨) قال: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك.

* وعن عون بن عبد الله رضي الله عنه (ت: ١٢٣) قال: ما أحسب أحداً تفرغ لعيب الناس، إلا من غفلة غفلها عن نفسه. [صفة الصفوة (٧٠/٣)]

* وقيل للربيع بن خثيم رضي الله عنه (ت: ٩٠): ألا تذكر الناس؟ فقال: ما أنا عن نفسي براص، فأتفرغ من ذمها إلى أن أذم الناس، إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس، وأمنوه على ذنوبهم. [صفة الصفوة (٤٠/٣)]

* وعن الأوزاعي رضي الله عنه (ت: ١٥٧)، قال: سمعت يحيى بن أبي كثير رضي الله عنه (ت: ١٢٩) يقول: يقال يوم القيامة للعبد: قم إلى فلان فخذ حقه منه، فيقول: يا رب ما أعرف لي عنده من حق، فيقال: بلى إنه ذكرك يوم كذا بكذا، ويوم كذا بكذا.

قال الأوزاعي: أفناصح لنفسه من يقضى من حسناته غداً، وهو ينظر إلى ذل خاشع، يود لو كان بينه وبين أخلائه أمداً بعيداً؟

[ابن أبي الدنيا (٧٧/٢)]

= بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً ينزل بها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل تورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الناس الأحياء والأموات، لا يبالي ما يقول.

* وعن مجاهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٤) قال: كفارة أكلك لحم أخيك: أن تثني عليه، وتدعو له بخير. [ابن أبي الدنيا (٤/٤١٨)]

* وقال سفيان بن حسين: ذكرتُ رجلاً بسوءٍ عند إياس بن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٢١)، فنظر في وجهي وقال: أغزوتَ الرومَ؟ قلتُ: لا، قال: فالسُّنْدَ والهندَ والترُّكُ؟ قلتُ: لا، قال: أفسلمَ منك الرومُ والسُّنْدُ والهندُ والترُّكُ، ولم يسلمَ منك أخوك المسلمُ؟! قال: فلم أعُدْ بعدها. [البداية والنهاية (١٠/٤٦)]

* وكانوا إذا ذكروا عند محمد بن سيرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) رجلاً بسِيئةٍ ذكره محمد بأحسن ما يعلم. [صفة الصفوة (٣/١٧١)]

* وعن ابن سيرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ظلمَ لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم، وتكتم خيره. [صفة الصفوة (٣/١٧٣)]

* وقال بكر المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٨): إذا رأيتم الرجل موثقاً بعيوب الناس ناسياً لعيبه، فاعلموا أنه قد مُكِّرَ به. [صفة الصفوة (٣/٢٠١)، ابن أبي الدنيا (٧/١٣٩)]

* وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧): ربما قال الرجلُ: لا إله إلا الله؛ أو سبحان الله فأخشى عليه النار، قيل: وكيف ذلك؟ قال: يُغْتَابُ بين يديه ويُعْجِبُه ذلك فيقول: لا إله إلا الله، وليس هذا موضعه، إنما موضعُ هذا أن ينصحَ له في نفسه ويقول له: اتقِ الله. [عيون الأخبار (٢/٤١١)]

* وقيل للإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١): رجل أجازه إسحاق بن إبراهيم بألف درهم، قال: لا تُسمِّين أحداً^(١). [طبقات الحنابلة (٢/٥٧٤)]

(١) إنما نهاه عن التسمية مخافة الغيبة.

• وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا تَكَلَّمَ أَحَدٌ فِي النَّاسِ إِلَّا سَقَطَ وَذَهَبَ حَدِيثُهُ، قَدْ كَانَ بِالْبَصْرَةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: الْأَفْطُسُ كَانَ يَرُوي عَنِ الْأَعْمَشِ وَالنَّاسِ، وَكَانَتْ لَهُ مَجَالِسُ وَكَانَ صَحِيحَ الْحَدِيثِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَا يَسْلَمُ عَلَى لِسَانِهِ أَحَدٌ فَذَهَبَ حَدِيثُهُ وَذَكَرَهُ. [الآداب الشرعية (٢/١٠٢)]

• وقال الموفق ابن قدامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٢٠) عن أحد علماء زمانه ممن ابْتُلِيَ بتبّع عيوب الناس - وخاصة أهل العلم والصلاح -: ظننتُ أَنَّهُ يَكُونُ فِي الْفَتْوَى مُبْرَزاً عَلَى أَبِيهِ وَغَيْرِهِ، إِلَى أَنْ رَأَيْتُ لَهُ فِتَاوَى غَيْرَهُ فِيهَا أَسَدٌ جَوَاباً، وَأَكْثَرُ صَوَاباً، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ ابْتُلِيَ بِذَلِكَ لِمَحَبَّتِهِ تَخْطِئَةَ النَّاسِ، وَاتِّبَاعِهِ عِيُوبَهُمْ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُعَاقِبَ اللَّهُ الْعَبْدَ بِجِنْسِ ذَنْبِهِ، وَقَدْ شَغَلَ كَثِيراً مِنْ زَمَانِهِ بِالرَّدِّ عَلَى النَّاسِ فِي تَصَانِفِهِمْ، وَكَشَفِ مَا اسْتَرَّ مِنْ خَطَايَاهُمْ، وَمَحَبَّةِ بَيَانِ سَقَطَاتِهِمْ، وَلَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، أَفْتَرَاهُ يُحِبُّ لِنَفْسِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ مَنْ يَنْتَصِبُ لِكَشْفِ سَقَطَاتِهِ، وَعَيْبِ تَصَانِفِهِ وَإِظْهَارِ أَخْطَائِهِ؟

وكما لا يُحِبُّ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ، يَنْبَغِي أَنْ لَا يُحِبَّهُ لغيرِهِ، سَيِّمًا لِلأُمَّةِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَالْعُلَمَاءِ الْمُبْرِزِينَ، وَقَدْ أَرَانَا اللَّهُ تَعَالَى آيَةً فِي ذَهَابِهِ عَنِ الصَّوَابِ فِي أَشْيَاءَ تَظْهَرُ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ. [ذيل الطبقات (٣/٤٣١)]

ج - حفظ اللسان من النسيمة:

* عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) قال: الناقل الكلمة الزور، والذي يمد بحبلها: في الإثم سواء. [ابن أبي الدنيا (٤/٣٩٩)]

* وعن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قال: اتقوا النسيمة؛ فإن صاحبها لا يستريح من عذاب القبر. [ابن أبي الدنيا (٤/٤٠٥)]

* وقال يحيى بن أبي كثير رضي الله عنه (ت: ١٢٩): يفسد المنام في ساعة، ما لا يفسد الساحر في شهر.
[تهذيب الحلية (١/٤٥٦)]

د - ذم ذي اللسانين والحذر منه:

* قَالَ أَنَسُ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنه (ت: ٧٣): إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا، فَنَقُولُ لَهُمْ خِلَافَ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: «كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا».
[صحيح البخاري (٧١٧٨)]

هـ - حفظ اللسان من الكذب:

* عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه (ت: ١٣) قال: إياكم والكذب؛ فإنَّ الكذب مجانِبُ الإيمان.
[الزهد لابن المبارك (٦٨٧)]

* وقال عمر رضي الله عنه (ت: ٢٣): لا تجد المؤمن كذاباً.
[ابن أبي الدنيا (٢٠٩/٥)]

* وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه (ت: ٣٢) يَقُولُ: إِنَّ الْكُذِبَ لَا يَصْلُحُ مِنْهُ جِدٌّ وَلَا هَزَلٌ، وَلَا يَعِدُ الرَّجُلُ صَبِيحًا ثُمَّ لَا يُنْجِزُ لَهُ.
[الأدب المفرد للبخاري (٣٨٧) وصححه الألباني]

* وقال رضي الله عنه: إن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى ما يكون للفجور في قلبه موضع إبرة يستقر فيها، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى ما يكون للبر في قلبه موضع إبرة يستقر فيها.
[الزهد لهناد (١٣٦٦)]

* وقال ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (ت: ٦٠): كل الخلال يُطبع عليها المؤمن إلا الكذب والخيانة، فلا تجد المؤمن خائناً ولا كاذباً.
[الزهد لابن المبارك (٧٧٧)، الزهد لهناد (١٣٧٠)]

* وعن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: يُعَدُّ مِنَ النِّفَاقِ: اخْتِلَافُ الْعَمَلِ، وَاخْتِلَافُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْمُدْخَلُ وَالْمَخْرَجُ، وَأَصْلُ النِّفَاقِ وَالَّذِي بَنِيَ عَلَيْهِ النِّفَاقُ: الْكُذْبُ. [ابن أبي الدنيا (٥/٢٠٨)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْكُذْبُ جَمَاعُ النِّفَاقِ. [الزهدي لأحمد (٤٧١)]

* وقال يونس بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣٩): كُلُّ خَلَّةٍ يُرْجَى تَرْكُهَا يَوْمًا مَا إِلَّا صَاحِبُ الْكُذْبِ. [ابن أبي الدنيا (٧/٣٠١)]

* وقال حذيفة المرعشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٧): لِأَنَّ أَدْعَى اللَّهِ كَذِبَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْجَ حِجَّةً. [تهذيب الحلي (٣/٦٥)]

* وكان سمعون بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٩٨) يتكلم في المحبة، ثم سمي نفسه الكذاب لموضع دعواه في قوله:

ليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فامتحتني

فامتحن بحصر البول، فصار يدور في المكاتب، ويقول للصبيان، ادعوا لعمكم المبتلى بلسانه. [المتنظم (١٣/١٢١)]

* وقال بعض البلغاء: الصادق مصان جليل، والكاذب مُهانٌ ذليل. [أدب الدين (٤١٨)]

* وقال إبراهيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٦): مَا كَانُوا يَرْخِصُونَ فِي الْكُذْبِ فِي جِدِّ وَلَا هَزَلٍ. [ابن أبي الدنيا (٧/٣٠٣)]

* وقال يزيد بن ميسرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٢٠): إِنْ الْكُذْبُ يَسْقِي بَابَ كُلِّ شَرٍّ، كَمَا يَسْقِي الْمَاءُ أَصُولَ الشَّجَرِ. [ابن أبي الدنيا (٥/٢١٤)]

* وقال بعض حكماء العرب: إني امتحنت خصال الناس فوجدت أشرفها صدق اللسان، ومن عديم فضيلة الصدق من منطقته فقد فُجِعَ بِأَكْرَمِ أَخْلَاقِهِ. [المجالسة وجواهر العلم (٤٥٦)]

و - حفظ اللسان من المسابة والمشاتمة :

* عن كعب رضي الله عنه (ت : ٥٠) قال : من لعن شيئاً من غير ذنب لم تزل اللعنة تَرَدَّد بين السماء والأرض حتى تلزم تَرْقُوة صاحبها .

[ابن أبي الدنيا (٧/٢٣٠)]

* وقال أبو جعفر محمد بن علي رضي الله عنه (ت : ١١٨) : سلاح اللئام قبيح الكلام .

[صفة الصفوة (٢/٤٥٨)]

* وعن ابن المبارك رضي الله عنه (ت : ١٨١) قال : من استخفَّ بالعلماء ذهب آخِرتهُ ، ومن استخفَّ بالأمرء ذهب دنياه ، ومن استخفَّ بالإخوان ذهب مُروءتهُ .

[تهذيب السَّير (٢/٧٦٩)]

* وقال مجاهد رضي الله عنه (ت : ١٠٤) : قلَّ ما ذَكَرَ الشَّيْطَانُ قَوْمٌ إِلَّا حضرهم ، فإذا سمع أحداً يلعنه قال : لقد لعنت مُلَعَّناً ، ولا شيء أقطع لظهره من : لا إله إلا الله .

[ابن أبي الدنيا (٧/٢٣١)]

ز - حفظ اللسان من السخرية :

* قال إبراهيم النخعي رضي الله عنه (ت : ٩٦) : إني لأرى الشيء مما يُعاب ، ما يمنعني أن أتكلّم به إلا مخافة أن أبتلى به .

[الزهد لوكيع (٣١٣) ، الزهد لهناد (١١٩١)]

* وعن الحسن رضي الله عنه (ت : ١١٠) قال : كانوا يقولون : من رمى أخاه بذنب قد تاب إلى الله جلَّ وعز منه : لم يمت حتى يبتليه الله به .

[ابن أبي الدنيا (٤/٤١٥)]

ح - حفظ اللسان من القول على الله بلا علم، والورع في الفتيا والنقل عن النبي ﷺ:

* عن ميمون بن مهران رضي الله عنه قال: كان أبو بكر رضي الله عنه (ت: ١٣) إذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى به بينهم، فإن لم يجد في الكتاب نظر: هل كانت من النبي ﷺ فيه سنة؟ فإن علمها قضى بها، وإن لم يعلم خرج فسأل المسلمين، فقال: أتاني كذا وكذا، فنظرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ فلم أجد في ذلك شيئاً، فهل تعلمون أن نبي الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ فربما قام إليه الرهط فقالوا: نعم، قضى فيه بكذا وكذا، ف يأخذ بقضاء رسول الله ﷺ.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣) يفعل ذلك، فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء؟ فإن وجد أبا بكر قد قضى فيه بقضاء قضى به، وإلا دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم، فإذا اجتمعوا على الأمر قضى بينهم.

[السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٣٦٧)]

* وعن عبيد بن جريح قال: كنت أجلس بمكة إلى ابن عمر رضي الله عنهما (ت: ٧٣)، فما يقول فيما يُسأل: «لا علم لي»، أكثر مما يُفتي به.

[مسند الدارمي (١٥٧)]

* وعن جابر بن زيد أن ابن عمر رضي الله عنهما لقيه في الطواف فقال له: يا أبا الشعثاء إنك من فقهاء البصرة، فلا تُفت إلا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلك. [مسند الدارمي (١٦٦)]

* وقال عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ، مَنْ عِلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ عز وجل قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَفِّرِينَ﴾ [ص: ٨٦]. [صحيح البخاري (٤٧٧٤)، صحيح مسلم (٢٧٩٨)]

* وصح عن ابن مسعود وابن عباس (ت: ٦٨) رضي الله عنهما أنهما قالوا: من أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه فهو مجنون. [أعلام الموقعين (١/٥١٦)]

* وقال ﷺ: قال رسول الله ﷺ، ثم ارتعد، ثم قال: نحو ذلك. [مسند الدارمي (٢٨٩)]

* وكان أنس رضي الله عنه (ت: ٩٣) قليل الحديث عن رسول الله ﷺ، وكان إذا حدث عن رسول الله ﷺ قال: أو كما قال رسول الله ﷺ. [مسند الدارمي (٢٨٤)]

* وقال الشعبي رضي الله عنه (ت: ١٠٣): «لا أدري» نصف العلم. [مسند الدارمي (١٨٦)]

* وعن عمر بن أبي زائدة قال: ما رأيت أحداً أكثر أن يقول إذا سئل عن شيء: «لا علم لي به» من الشعبي رضي الله عنه. [مسند الدارمي (١٣٤)]

* وقيل للشعبي رضي الله عنه: كيف كنتم تصنعون إذا سئلتكم؟ قال: كان إذا سئل الرجل قال لصاحبه: أفتهم، فلا يزال حتى يرجع إلى الأول. [مسند الدارمي (١٣٨)]

* وعن ابن أبي ليلي رضي الله عنه قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ، فما كان منهم محدث إلا ودّ أن أخاه كفاه الحديث، ولا مُفْتٍ إلا ودّ أن أخاه كفاه الفتيا. [الزهدي لابن المبارك (٥١)]

* وقال بعض الحكماء: لا تقل فيما لا تعلم؛ ففتَّهم فيما تعلم.

[المجالسة وجواهر العلم (٣٠١)]

* وكان ابن سيرين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) إذا سُئِلَ عن الحَلَالِ والحَرَامِ، تَغَيَّرَ لَوْنُهُ حتى تقول: كَأَنَّهُ ليس بالذي كان.

[تهذيب السَّيَر (٥٦٩/٢)]

* وقال القاسم بن محمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠): لأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعلم حق الله عليه خير له من أن يقول ما لا يعلم.

إنا والله ما نعلم كل ما تسألون عنه، ولو علمنا ما كتمناكم، ولا حل لنا أن نكتمكم.

[مسند الدارمي (١١٢ - ١١٣)]

* وعن ابن المنكدر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٠) قال: إن العالم يدخل فيما بين الله وبين عباده، فيطلب لنفسه المخرج.

[مسند الدارمي (١٣٩)]

* وقال الربيع بن خثيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٠): ليتَّق أحدكم أن يقول أحلَّ الله كذا وحرَّم كذا، فيقول الله: كذبت لم أحل كذا ولم أحرَّم كذا.

[جامع العلوم والحكم (٣٧٥)]

* وسُئِلَ سُحْنُونُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٤٠): أَيَسَعُ العَالِمَ أن يقول: لا أدري فيما يدري؟ قال: أمَّا ما فيه كتابٌ أو سُنَّةٌ ثابتة فلا، وأمَّا ما كان من هذا الرأْي، فَإِنَّهُ يَسَعُهُ ذلك؛ لأنه لا يدري أمصيب هو أم مخطئ.

[تهذيب السَّيَر (٩٨٢/٢)]

* وعن زيد الياحي قال: ما سألت إبراهيم النخعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٦) عن شيء إلا عرفت الكراهية في وجهه، يقول: أرجو أن تكون وعسى.

[مسند الدارمي (١٣٣)]

* وقال الأعمش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما سمعت إبراهيم النخعي يقول قطّ: حلال ولا حرام، إنما كان يقول: كانوا يتكروهون، وكانوا يستحبون.

[مسند الدارمي (١٩٠)]

* وعن ابن مهدي قال: سأل رجل مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩) عن مسألة، فقال: لا أحسنها، فقال الرجل: إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها، فقال له مالك: فإذا رجعت إلى مكانك وموضعك فأخبرهم أنني قلت لك: لا أحسنها. [صفة الصفوة (٢/٥٠٤)]

* وعن ابن وهب قال: لو شئت أن أملاً ألواحي من قول مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا أدري، فعلت. [تهذيب الجلية (٢/٣٥٦)]

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لم يكن من أمر الناس ولا من مضى من سلفنا ولا أدركت أحداً أقندي به يقول في شيء: هذا حلال وهذا حرام، وما كانوا يجترئون على ذلك، وإنما كانوا يقولون نكره كذا، ونرى هذا حسناً، فينبغي هذا، ولا نرى هذا، ولا يقولون حلال ولا حرام، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَإِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفَرُّوتُمْ﴾ [يونس: ٥٩] الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله. [أعلام الموقعين (١/٤٣)]

• وسأل رجل الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١) فقال له: سل من يعلم، سل من يعلم. [طبقات الحنابلة (١/٤٢٤)]

• وحكى أبو سهل محمد بن عمر عن بعض مشايخ بلخ قال: دخلت بغداد، وإذا على الجسر رجل يُنادي ثلاثة أيام يقول: ألا إن القاضي أحمد بن عمرو الخصاف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٦١) استفتني في مسألة

كذا، فأجاب بكذا وكذا، وهو خطأ، والجواب كذا وكذا، رحم الله من بلَّغها صاحبها. [الجواهر المضية (١/٨٨)]

قال تقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي رحمته الله (ت: ١٠١٠) معلّقاً على هذه القصّة: هكذا ينبغي أن يكون العلماء، وهكذا يجب أن يكون التحفظ في دين الله، والنصيحة لعباد الله. [الطبقات السنية (١٢٤)]

• وقال الشيخ عطية سالم عن شيخه العلامة محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣) رحمهما الله: ومما لُوْحظ عليه في سنواته الأخيرة تباعده عن الفتيا، وإذا اضطر يقول: لا أتحمل في ذمتي شيئاً، العلماء يقولون: كذا وكذا.

وسألته مرة عن ذلك، فقال: إن الإنسان في عافية ما لم يبتل والسؤال ابتلاء؛ لأنك تقول عن الله ولا تدري أتصيب حكم الله أم لا، فما لم يكن عليه نص قاطع من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب التحفظ فيه.

ويتمثل بقول الشاعر:

إذا ما قتلت الشيء علما فقل به ولا تقل الشيء الذي أنت جاهله
فمن كان يهوى أن يرى متصدرا ويكره لا أدري أصيبت مقاتله

ا.هـ [أضواء البيان (٩/٥٠٤)]

ط - حفظ اللسان من التكلم فيما لا يعني:

* دُخِلَ على أبي دجانة رضي الله عنه (ت: ١١) وهو مريض، ووجهه يتهلّل، فقال: ما من عملي شيء أوثق في نفسي من اثنين: لم أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليماً. [ابن أبي الدنيا (٧/٨٧)]

* وقال بعض السلف: من تكلف ما لا يعنيه ضيع ما يعنيه^(١).

[الزهد للبيهقي (٢٨٦)]

* وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧): تكلمت فيما لا

يعنيك فشغلك عما يعنيك، ولو شغلك ما يعنيك تركت ما لا يعنيك.

[تهذيب الحلية (٢٧/٣)]

• وقال الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩): لا يصلح الرجل حتى يترك

ما لا يعنيه، فإذا كان كذلك أوشك أن يفتح الله في قلبه.

[ترتيب المدارك (١/١٨٠)]

* وقال معروف الكرخي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤): كلام العبد فيما لا

يعنيه، خذلان من الله تعالى.

[تهذيب الحلية (٣/١٠٢)]

ي - كلام السلف في تفضيل السكوت على الكلام أحياناً، والعكس:

* عن عبيد الله بن أبي جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣٦) قال: إذا كان

المرء يحدث في مجلس فأعجبه الحديث، فليمسك، وإذا كان ساكناً،

فأعجبه السكوت فليتحدث.

[ابن أبي الدنيا (٧/٨٠)]

* وقال مالك بن دينار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣١): الصبر هو الصمت،

والصمت من الصبر، ولا يكون المتكلم أروع من الصامت، إلا رجل

عالم يتكلم في موضعه ويسكت في موضعه.

[تهذيب الحلية (٣/٩٢)]

ك - حفظ اللسان من التعر بالكلام

* قال إبراهيم بن المهدي (ت: ٢٢٤) لعبد الله بن صاعد كاتبه

(١) صدق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمن تكلف ما لا يعنيه من الحديث في الناس والقدح في الآخرين -

لا سيما أهل الخير والعلم - ضيع ما يعنيه من صلاح نفسه ومعرفة عيوبها.

رحمهما الله: إياك وتتبع الوحشي من الكلام طمعاً في نيل البلاغة؛ فإن ذلك هو العي الأكبر، عليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السُّفَل.

[العمدة لابن رُشيق (١/٢٠٢)]

ل - مَنْ تجوز غيبته:

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣): ليس لفاجر حرمة.

[ابن أبي الدنيا (٤/٣٨٠)]

* وعن الحسن البصري رضي الله عنه (ت: ١١٠) قال: ثلاثة لا غيبة لهم: الإمام الخائن، وصاحب الهوى الذي يدعو إلى هواه، والفاسق المعلن فسقه.

[الزهد لأحمد (٤٨٦)]

* وعن إبراهيم التيمي رضي الله عنه قال (ت: ١٠٠): ثلاثة ليس لهم غيبة: الظالم، والفاسق، وصاحب البدعة.

[ابن أبي الدنيا (٤/٣٧٧)]

* وقال أيضاً رضي الله عنه: كانوا لا يرونها غيبة ما لم يُسمَّ صاحبها.

[ابن أبي الدنيا (٤/٣٧٧)]

م - حفظ اللسان من إخلاف الوعد:

* لما حضرت عبد الله بن عمرو رضي الله عنه (ت: ٦٥) الوفاة قال: إنه كان خطب إلي ابنتي رجلٌ من قريش، وقد كان مني إليه شبيهة بالوعد، فوالله لا ألقى الله بثلاث النفاق، اشهدوا أنني قد زوجتها إياه.

[ابن أبي الدنيا (٧/٢٦٩)]

* وعن شعبة رضي الله عنه قال: ما واعدت أيوب السخثياني رضي الله عنه (ت: ١٣١) موعداً قط إلا قال لي حين يريد أن يفارقني: ليس بيني وبينك موعد، فإذا جئتُ وجدته قد سبقني.

[ابن أبي الدنيا (٧/٢٧٢)]

ن - حفظ اللسان من الفظاظة والحدّة:

* قال بعض السلف: ما تكلم الناس بكلمة شديدة إلا وإلى جنبها كلمة هي ألين منها تجزئ مجزأتها. [مكارم الأخلاق للخرائطي (١٤٩)]

* وقال أبو العَالِيَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قوله تعالى في الميثاق الذي أخذه على بني إسرائيل: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]: أي: قولوا لهم الطيب من القول، وجازوهم بأحسن ما تجبون أن تجازوا به. [تفسير القرطبي (٢/٢٣٣)]

س - حفظ اللسان من السؤال عما لم يقع:

* جاء رجل يوماً إلى ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٣)، فسأله عن شيء لا أدري ما هو، فقال له ابن عمر: لا تسأل عما لم يكن، فإني سمعت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه (ت: ٢٣) يلعن من سأل عما لم يكن. [مسند الدارمي (١٢٣)]

* وقال عمر رضوان الله عليه على المنبر: أخرج بالله على رجل سأل عما لم يكن، فإن الله قد بين ما هو كائن. [مسند الدارمي (١٢٦)]

ع - فوائد أخرى:

* عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: ما في المؤمن بضعة أحب إلى الله ﷻ من لسانه، به يدخله الجنة، وما في الكافر بضعة أبغض إلى الله ﷻ من لسانه، به يدخله النار. [تهذيب الحلية (١/١٧٦)]

* وقال أبو حازم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٤٠): ينبغي للمؤمن أن يكون أشد حفظاً للسانه منه لموضع قدميه. [تهذيب الحلية (١/٥١٩)]

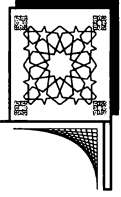
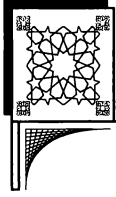
* وعن ابن عيينة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٩٨) قال: انتهى حكيم إلى قوم

يتحدثون، فوقف عليهم وسلم عليهم فقال: تحدثوا بكلام قوم يعلمون
أن الله ليسمع كلامهم، والملائكة يكتبون. [تهذيب الحلية (٢/٤٤٢)]

* وقال يحيى بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٥٨): القلوب كالقدور في
الصدر تغلي بما فيها، ومغارفها ألسنتها فانتظر الرجل حتى يتكلم، فإن
لسانه يغترف لك ما في قلبه، من بين حلو وحامض وعذب وأجاج،
يخبرك عن طعم قلبه اغترافاً لسانه. [تهذيب الحلية (٣/٢٦٥)]

* وقال بعض الحكماء لبنيه: أصلحوا ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه
النائبة، فيستعير دابة أخيه وثوب أخيه، ولا يجد أحداً يعيره لسانه.
[أخبار الشيوخ (٣٤٩)]





الأمانة، والمسؤولية

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣): لو مات جمل ضائعاً على شط الفرات لخشيت أن يسألني الله وَعَلَى عنه. [المنتظم (٤/١٤١)]

* وحينما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي نادى ابنه عبد الله فقال: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدِّينِ، فَحَسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةَ وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، قَالَ: إِنْ وَفَى لَهُ مَالُ آلِ عُمَرَ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَّا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالَهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ، وَلَا تَعُدَّهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ. [صحيح البخاري (٣٧٠٠)]

* وَلَمَّا قَدِمَ عَتَبَةُ بْنُ فَرْقَدٍ أَذْرَبِيحَانَ، جِيءَ بِالْخَبِيصِ^(١) فَذَاقَهُ فَوَجَدَهُ حَلْوًا، فَقَالَ: لَوْ صَنَعْتُمْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرٍ مِنْ هَذَا، فَجَعَلَ لَهُ سَفَطَيْنِ^(٢) عَظِيمَيْنِ، ثُمَّ حَمَلَهُمَا عَلَى بَعِيرٍ مَعَ رَجُلَيْنِ فَبَعَثَ بِهِمَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمَا عَلَى عَمْرِ قَالَا: أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا خَبِيصٌ، فَذَاقَهُ فَيَاذَا هُوَ حَلْوٌ، فَقَالَ: أَكُلُّ الْمُسْلِمِينَ يَشْبَعُ مِنْ هَذَا فِي رَحْلِهِ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَرُدَّهُمَا، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ: أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّكَ وَلَا مِنْ كَدِّ أَيْتِكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أَمَلِكَ، أَشْبَعُ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا تَشْبَعُ مِنْهُ فِي رَحْلِكَ. [مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٩١٧)، وأصله في صحيح مسلم (٢٠٦٩)]

(١) الْخَبِيصُ: الْمَعْمُولُ مِنَ التَّمْرِ وَالسَّمْنِ.

(٢) السَّفَطُ: وَعَاءٌ مَصْنُوعٌ مِنْ أَغْصَانِ الشَّجَرِ أَوْ الْقَصْبِ، تُوَضَعُ فِيهِ الْفَاكُهُ وَنَحْوُهَا.

* ولما أُجذب الناسُ على عهد عمر رضي الله عنه، ما أكل سميناً ولا سمناً حتى أكل الناس .
[الزهد لابن المبارك (٥٣٤)]

* وعن أبي صالح الحنفي قال: دخلت على أم كلثوم رضي الله عنها (ت: ٩) فقالت: ائتوا أبا صالح بطعام، فأتوني بمرقة فيها جنوب، فقلت: أتطعموني هذا وأنتم أمراء!؟

قالت: كيف لو رأيت أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه (ت: ٤٠) وأتي بأترج فأخذ الحسن أو الحسين منها أترجةً لصبي لهم، فانتزعها من يده وقسمها بين المسلمين.
[ابن أبي الدنيا (٢/٢١٨)]

* وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (ت: ١٠١) يقسم تفاح ألفيء، فتناول ابنٌ له صغيراً تفاحه، فانتزعها من فيه فأوجعه، فسعى إلى أمه مستعبراً، فأرسلت إلى السوق فاشتريت له تفاحاً، فلما رجع عمر وجد ريح التفاح، فقال: يا فاطمة هل أتيت شيئاً من هذا الفيء؟ قالت: لا . وقصّت عليه القصة، فقال: والله لقد انتزعتها من ابني لكأنما نزعته عن قلبي، ولكن كرهتُ أن أُضَيِّع نصيبي من الله وَعَلَى بتفاحه من فيء المسلمين.
[صفة الصفوة (٢/٤٦٥)]

* ولما قدم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه المدينة والياً، فصلّى الظهر دعا بعشرة: عروة، وعبيد الله، وسليمان بن يسار، والقاسم، وسالم، وخارجة، وأبا بكر بن عبد الرحمن، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني دعوتكم لأمر تؤجرون فيه، ونكون فيه أعواناً على الحق، ما أريدُ أن أقطع أمراً إلاً برأيكم، أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحداً يتعدى، أو بلغكم عن عاملٍ ظلامه، فأحرج بالله على من بلغه إلاً أبلغني، فجزوه خيراً، وافترقوا . [تهذيب السير (٢/٥٨٦)]

* وكان عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يحمل على البريد إلا في حاجة المسلمين، وكتب إلى عامل له يشتري له عسلاً ولا يُسَخَّر فيه شيئاً، وأن عامله حملة على مركبة من البريد، فلما أتى قال: على ما حملة؟ قالوا: على البريد، فأمر بذلك العسل فبيع وجعل ثمنه في بيت مال المسلمين، وقال: أفسدت علينا عسلك. [تهذيب الجلية (٢/٢٢١)]

* وعرض محمد بن واسع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٢٣) حماراً له على البيع، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيته لك لم أبعه.

[صفة الصفوة (٣/١٩٣)]

• وقال الشيخ عبد الله البسام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٢٣): أخبرني الشيخ صالح بن عبد الله الزغيبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣٧٢) أنه في مدة إمامته في المسجد النبوي التي تجاوزت عشرين سنة لم يتخلف أبداً، وكان لا يُنيب أحداً. [علماء نجد (٢/٤١٩)]



الثبات على الدين والتضحية لأجله

* قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): لا تكون إمعة، قالوا: وما الإمعة؟ قال: يقول: أنا مع الناس، إن اهتدوا اهتديت وإن ضلوا ضللت، ألا ليوطنن أحدكم نفسه على أنه إن كفر الناس أن لا يكفر.

[المعجم الكبير للطبراني (١٥٢/٩)]

* وَقَالَ رضي الله عنه: أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةٌ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ، فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلَّا وَقَدَّ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالٌ رضي الله عنه (ت: ٢٠)، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَعْطُوهُ الْوِلْدَانَ، وَأَخَذُوا يُطَوِّفُونَ بِهِ شِعَابَ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ، أَحَدٌ.

[مسند الإمام أحمد (٣٨٣٢) وحسن إسناده محققوه]

* وقال محمد ابن الحنفية رضي الله عنه (ت: ٨١): إن الله عز وجل جعل الجنة ثمناً لأنفسكم، فلا تتبعوها غيرها.

[صفة الصفوة (٤٣٥/٢)]

* وكان الحسن البصري رضي الله عنه (ت: ١١٠) يقول: ليس العجب ممن عطب كيف عطب، إنما العجب ممن نجا كيف نجا.

[الكامل في اللغة (١٥٥)]

* وقيل لابن المبارك رحمته الله: بم ارتفع ابن عون (ت: ١٦٠)؟ قال:
بالاستقامة^(١). [تهذيب الجلية (١/٤٤٤)]

* وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رحمته الله (ت: ١٩٨): «كَانَ يُقَالُ: اسْلُكُوا
سُبُلَ الْحَقِّ، وَلَا تَسْتَوْحِشُوا مِنْ قَلَّةِ أَهْلِهَا». [الجليّة (٣٠٦/٧)]

* وعن عطاء بن يسار رحمته الله (ت: ١٠٣) قال: تبدّى إبليس لرجل
عند الموت، فقال: نجوت مني!
قال: ما أمتك بعدُ. [الزهدي لابن المبارك (٢٩٣)]

* وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمته الله (ت: ٢٤١) قال: لمّا
حضرتُ أبي الوفاةُ جلستُ عنده، ويبيدي الخرقه لأشدّ بها لحيه، فجعل
يعرق، ثم يقيق، ثم يفتح عينيه، ويقول بيده هكذا: لا بعد لا بعد، ففعل
هذا مرّةً وثانيةً، فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبة أيّ شيء هذا قد
لهجتُ به في هذا الوقت؟ تعرق حتى نقول: قد قضيت، ثم تعود،
فتقول: لا بعد لا بعد.

فقال لي: يا بنيّ ما تدري ما قلت؟ قلت: لا، فقال: إبليس
لعنه الله قائم حذائي عاضّ على أنامله يقول لي: يا أحمد فتني، فأقول:
لا بعد لا بعد حتى أموت. [صفة الصفوة (٦١٥/٢)]

• وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ رحمته الله: دخلت على أحمد بن حنبل رحمته الله
بعد المحنة فقلت له: يا أبا عبد الله قمت مقام الأنبياء.

فقال لي: اسكت^(٢)، فإني رأيتُ الناس يبيعون أديانهم، ورأيتُ

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة. «مدارج السالكين»
(٣٣٩/٢).

(٢) أمره بالسكوت كراهةً لسماعه المدح؛ هضماً لنفسه وخوفاً عليها، وإلا فلا محذور في =

العلماء ممن كان معي يقولون ويميلون، فقلت: مَنْ أنا؟ وما أنا؟ وما أقول لربي غداً إذا وقفتُ بين يديه ﷻ فقال لي: بعثَ دينك كما باعه غيرك؟

ففكرتُ في أمري، ونظرتُ إلى السِّيفِ والسوطِ فاخترتهما وقلت: إنَّ أنا مُتٌ صِرتُ إلى ربي ﷻ، فأقول: دُعيتُ إلى أنْ أقول في صفةٍ من صفاتك مخلوقة فلم أقل، فالأمر إليه، إن شاء عذب وإن شاء رحم.

فقلت: وهل وجدتَ لأسواطهم ألماً؟ قَالَ لي: نعم، وتجلدتُ إلى أن تجاوزتَ العشرين، ثم لم أدر بعد ذلك، فلما حُلَّ العَقَابانِ كأني لم أجد له ألماً، وصلَّيتُ الظهر قائماً.

قَالَ الحسن: فبكيْتُ، فقال لي: ما يُبيكيك؟ قلت: بكيتُ مما نزل بك، قَالَ: أليس لم أكُفِّر؟ ما أبالي لو تَلِفْتُ.

[طبقات الحنابلة (١/ ٣٧٥ - ٣٧٨)]

• وقال الربيع بن سليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: دخلت على البويطي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣١) أيام المحنة^(١)، فرأيتُه مقيداً إلى أنصاف ساقيه، مغلولاً يده إلى عنقه.. وهو يقول: إنما خلق الخلق بكن، فإذا كانت مخلوقة، فكل مخلوق خلق بمخلوق، ولئن أُدخِلْتُ عليه^(٢) لأصدقته - يعني: الواثق -،

= ذلك، قال الإمام مالك بن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩): لا بأس أن يحب الرجل أن يُثنى عليه صالحاً ويُرَى في عمل الصالحين، إذا قَصَدَ به وجه الله تعالى.

وقال ابن عثيمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (ليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته؛ لأن هذا إنما طراً بعد الفراغ من العبادة، وليس من الرياء أيضاً أن يفرح الإنسان بفعل الطاعة في نفسه؛ بل ذلك دليل على إيمانه). «مجموع فتاواه» (٢/ ٢٩، ٣٠).

(١) أي: محنة القول بخلق القرآن، التي تزعمها المعتزلة بتحريض من القاضي أحمد بن أبي دؤاد.

(٢) أي: المأمون.

ولأموتنَّ في حديدي هذا، حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قومٌ في حديدهم^(١).

قال الربيع: وكتب إليَّ من السجن يقول: إنه ليأتي علي أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي فإذا قرأت كتابي هذا فأحسن خُلُقك مع أهل حلقتك، واستوصِ بالغرباء خاصة خيراً، فكثيراً ما كنت أسمع الشافعي رحمته الله يتمثل بهذا البيت^(٢):

أهين لهم نفسي لكي يكرمونها ولا تُكْرَم النفس التي لا تُهينها

[المنتظم (١١/١٧٥)]

* وقال عبد العزيز بن أبي رواد رحمته الله (ت: ١٥٩): كان يقال:

القول بالحق والصبر عليه يُعدّل بأعمال الشهداء. [ابن أبي الدنيا (٤/٦٠)]

* وقال شيخ الإسلام الهروي رحمته الله (ت: ٤٨١): عُرِضْتُ على

السيف خمسَ مرات لا يقال لي: ارجع عن مذهبك، لكن يقال لي:

اسكت عمّن خالفك، فأقول: لا أسكُت. [تهذيب السيِّر (٣/١٤٣٧)]



(١) كم ثبت وصبر وضحي علماء المسلمين، ولم يقبلوا التنازل عن دينهم أو تحريف حرف منه رغبة ولا رهبة، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، فلولا توفيق الله ثم صبرهم وثباتهم لما وصلنا الدين نقيّاً كما أنزل.

(٢) قال ابن القيم رحمته الله عن هذا البيت: وغلط هذا القائل؛ فإن ذلك لا يصلح إلا لله وحده؛ فإنه كلما أهان العبد نفسه له أكرمه وأعزه، بخلاف المخلوق، فإنك كلما أهنت نفسك له ذلت عند الله وعند أوليائه وهنت عليه. «إغاثة اللفهان» (١/١٩٨).

التوبة والرجوع إلى الله

* عن عائشة رضي الله عنها (ت : ٥٨) قال: طوبى لمن وجد في كتابه استغفاراً كثيراً. [الزهد لهناد (٩٢٣)]

* وعن عبد الله بن عون رضي الله عنه (ت : ١٦٠) قال: لو أن رجلاً انقطع إلى هؤلاء الملوك في الدنيا لانتفع، فكيف بمن ينقطع إلى من له السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى؟ [صفة الصفوة (٣/٢٢٢)]

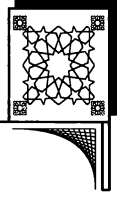
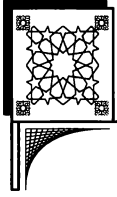
* وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه (ت : ٢٥٨): للتائب فخرٌ لا يعادله فخر، فرح الله بتوبته. [صفة الصفوة (٣/٣٤٢)]

* وعن الربيع بن خثيم رضي الله عنه (ت : ٩٠) أنه قال لأصحابه: تدرن ما الداء والدواء والشفاء؟ قالوا: لا، قال: الداء الذنوب، والدواء الاستغفار، والشفاء أن تتوب فلا تعود. [صفة الصفوة (٣/٤٢)]

* وعن سعيد الجريري قال: قلت للحسن رضي الله عنه (ت : ١١٠): يا أبا سعيد الرجل يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، حتى متى؟ قال: ما أعلم هذا إلا أخلاق المؤمنين.

[تهذيب الحلية (٢/٣١٥)]

* وعن شقيق بن إبراهيم البلخي رضي الله عنه (ت : ١٩٤) قال: علامة التوبة البكاء على ما سلف، والخوف من الوقوع في الذنب، وهجران إخوان السوء، وملازمة الأخيار. [السيرة (٨/٧٢)]



التأمل والتفكر

- * عن أبي الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢) قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. [الزهد للإمام أحمد (٢٦٢)]
- * وسئلت أم الدرداء رضي الله عنها: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء رضي الله عنه? قالت: التفكير والاعتبار. [الزهد لابن المبارك (٢٧٢)]
- * وعن يوسف بن سعيد بن مسلم قال: قلت لعلي بن بكار: كان إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه (ت: ١٧٠) كثير الصلاة؟ قال: لا، ولكنه صاحب تفكر يجلس ليله يتفكر. [تهذيب الجلية (٤٨٣/٢)]
- * وقيل لإبراهيم رضي الله عنه: إنك لتطيل الفكرة، قال: الفكرة مخ العمل. [تهذيب الجلية (٣/٢٦)]
- * وقال الحسن البصري رضي الله عنه (ت: ١١٠): الفكر مرآة تريك حسناك وسيئاتك. [تهذيب الجلية (٢٦/٣)]
- * وقال أيضاً رضي الله عنه: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. [الزهد لأحمد (٤٦٢)]



العزلة، وأهمية الاستغناء عن الناس، وعدم سؤالهم

أ - اعتزال الناس وعدم الإكثار من مخالطتهم والحذر منهم:

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣): خذوا بحظكم من العزلة. [ابن أبي الدنيا (٥٠٣/٦)]

* وعن أبي الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢) قال: نعم صومعة المرء المسلم بيته، يكف فيه بصره وسمعته وفرجه، وإياكم ومجالس الأسواق؛ فإنها تُلغي^(١) وتُلهي. [الزهد لأبي داود (٢٠٣)]

* وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه (ت: ٣٦) - وكان من دهاة قريش - قال: أقلُّ لعيب المرء أن يُكثر الجلوس في بيته. [الزهد لأبي داود (١٢١)]

* وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه (ت: ٥١) أنه قال: لولا الجمعة والجماعة لبنيت في أعلى داري هذه بيتاً فلم أخرج منه حتى أخرج إلى قبوري. [الزهد لأحمد (٢٨١)]

* وقال وهيب بن الورد رضي الله عنه (ت: ١٦٠): كان يقال: الحكمة عشرة أجزاء، فتسعة منها في الصمت، والعاشرة عزلة الناس، فعالجت نفسي على الصمت، فلم أجدني أضبط كل ما أريد منه، فرأيت أن هذه الأجزاء العشرة عزلة الناس. [ابن أبي الدنيا (٥٣٧/٦)]

(١) أي: تبعث على اللغو، وهو الكلام الذي لا يُفيد ولا ينفع.

* وقال السري السقطي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٥١): من قلة الصدق كثرة الخُلطاء.
[صفة الصفوة (٢/٦٢٧)]

* وقيل لابن المبارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨١): إذا صَلَّيْتَ معنا لم تجلس معنا؟ قال: أذهب أجلس مع الصحابة والتَّابِعِينَ!
قالوا: ومن أين الصحابة والتابعون؟

قال: أذهب أنظرُ في علمي فأدرِكُ آثارهم وأعمالهم، ما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس، والبُعد من كثير من الناس أقربُ إلى الله، وفرَّ من الناس كَفِرَارِكِ من أسد، وتمسك بدينك يسلم لك مَجْهُودُكَ.
[الحلية (٨/١٦٥)]

* وقال الإمام مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩): كان الناس الذين مضوا يحبون العزلة والانفراد من الناس.
[ابن أبي الدنيا (٦/٥١٣)]

* وكان حبيب أبو محمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٩) يخلو في بيته، فيقول: من لم تفر عينه بك فلا قرت، ومن لم يأنس بك فلا أنس.
[ابن أبي الدنيا (٦/٥٢٠)]

* وقال مالك بن دينار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣١): كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه خيراً في أمر دينك: ففر منه.
[ابن أبي الدنيا (٦/٥٣٣)]

* وقال بعض السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عجبت لمن عرف الطريق إلى ربه، كيف يعيش مع غيره.
[تهذيب الحلية (٣/٤٥٨)]

ب - أهمية الاستغناء عن الناس، وعدم سؤالهم، وقطع منتهم:

* عن أم الدرداء قالت: قال لي أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لا تسألني الناس شيئاً، قالت: فقلت: فإن احتجت؟ قال: فإن احتجت

فتتبعي الحصادين فانظري ما سقط منهم فاخبطيه ثم اطحنه ثم كليه ولا تسألني الناس شيئاً. [الزهد لأحمد (٢٦٦)]

* وقال سفيان الثوري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦١): عليك بالكسب الطيب، وما تكسب بيدك، وإياك وأوساخ الناس أن تأكله أو تلبسه، فالذي يأكل أوساخ الناس هو يتكلم بهوى، ويتواضع للناس مخافة أن يمسكوا عنه. فإن الذي يعطيك شيئاً من ماله فإنما هو وسخه، وتفسير وسخه تطهير عمله من الذنوب.

فاتق الله يا أخي، فإنه ما نال أحد من الناس شيئاً إلا صار حقيراً ذليلاً عند الناس. [تهذيب الحلية (٤٠٨/٢)]

* وعن قتادة قال: وجدت خلود بن عبد الله العصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١) قال: تلقى المؤمن عفيفاً سؤولاً، وتلقاه غنياً فقيراً.

قال: تلقاه عفيفاً عن الناس، سؤولاً لربه وَعَجَلَ ذليلاً لربه، عزيزاً في نفسه، غنياً عن الناس، فقيراً إلى ربه.

قال قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٨). تلك أخلاق المؤمن، هو أحسن معونة وأيسر الناس مؤونة. [الزهد لأحمد (٤١٠)]

ج - أقوال بعض السلف في تفضيل مخالطة الناس، وتوجيههم لمن خالطهم:

* جاء رجل إلى وهب بن منبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٤) فقال: إني قد حدثت نفسي أن لا أخالط الناس فما ترى؟ قال: لا تفعل، إنه لا بد للناس منك، ولا بد لك منهم، لك إليهم حوائج، ولهم إليك حوائج،

ولكن كن فيهم أصم سمياً، أعمى بصيراً، سكوتاً نطقاً.

[ابن أبي الدنيا (٧/٥٢٤)]

* وذكروا عند وهب بن منبه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عبادة بني إسرائيل وسياحتهم قال: فقال وهب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: من خالط الناس فورع وصبر على أذاهم كان أفضل عندي.

* وقال الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤): الانقباضُ عن الناس مكسبةٌ للعداوة، والانبساطُ إليهم مَجْلِبَةٌ لِقُرْنَاءِ السَّوِّءِ، فَكُنْ بَيْنَ الْمُنْقَبِضِ وَالْمُنْبَسِطِ.

• وقال الإمام أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١): إذا كانت الفِتنَةُ فلا بأس أن يعتزل الرجل حيثُ شاء، وأما إذا لم تكن فتنة فالأمصار خير.

[طبقات الحنابلة (٢/٥٤٣)]



حال السلف عند الموت

أ - قصص وأخبار:

* لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه (ت: ١٣) جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت

بهذا البيت:

من لم يزل دمه مُقَنَّعا فإنه لا بد مرةً مدْفُوق

فقال أبو بكر رضي الله عنه: بل ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ

نَجِيذٌ﴾ [ق: ١٩]. [الزهد لأبي داود (٦١)]

* وعن ابن عمر قال: كان رأس عمر رضي الله عنه (ت: ٢٣) على فخذي

في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضع رأسي على الأرض، قال:

فقلت: وما عليك كان على فخذي أم على الأرض؟ قال: ضعه على

الأرض، قال: فوضعت على الأرض، فقال: ويلى ويلى أمي إن لم يَعْفِرْ

لي ربي. [الزهد لأبي داود (٤٤)]

* وبعث النبي ﷺ سبعين من القراء إلى بني عامر فلما قدموا: قال

لهم حرام بن ملحان رضي الله عنه (ت: ٤): أتقدمكم، فإن آمنوني حتى أبلغهم

عن رسول الله ﷺ وإلا كنتم مني قريبا، فتقدم فأمنوه، فبينما يحدثهم عن

النبي ﷺ إذ أومؤوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه، فقال بالدم هكذا،

فنضح على وجهه ورأسه، ثم قال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة.

[صحيح البخاري (٣٨٦٥)، صحيح مسلم (٦٧٧)]

* وعن زياد مولى ابن عباس، قال: حدّثني من دخل على حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (ت: ٣٦) في مرضه الذي مات فيه، فقال: لولا أني أرى هذا اليوم آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة لم أتكلّم به، اللَّهُمَّ إنك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنى، وأحب الذلة على العز، وأحب الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، ثم مات رضي الله عنه. [المنتظم (١٠٦/٥)]

* وعن سلم بن بشير بن حجل قال: بكى أبو هريرة رضي الله عنه (ت: ٥٩) في مرضه، فقيل له: ما يبكيك يا أبا هريرة؟ قال: أما إنني ما أبكي على دنياكم هذه، ولكني أبكي لبعث سفري، وقلة زادي، وإنني أصبحت في صعود مهبطه على جنة ونار، فلا أدري أيهما يُسلك بي. [«الزهد الكبير للبيهقي (ص ٢٢١)»]

* ولما احتضر أبو الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢) جعل يقول: مَنْ يَعْمَلُ لمثل يومي هذا؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا؟. [الزهد لأبي داود (١٩٤)]

* واجتهد أبو موسى الأشعري رضي الله عنه (ت: ٥٢) قبل موته اجتهاداً شديداً، فقيل له: لو أمسكت ورفقت بنفسك؟ قال: إنَّ الخيل إذا أُرسِلت فقاربت رأس مجراها، أخرجت جميع ما عندها، والذي بقي من أجلي أقل من ذلك. [تهذيب السيّر (١/٢٨١)]

* ولما حضرت معاوية رضي الله عنه (ت: ٦٠) الوفاة جعلوا يديرونه في القصر فقال: هل بلغنا الخضراء؟ فصرخت ابنته رملة! فقال: ما أصرحك؟ قالت: نحن ندور بك في الخضراء، وتقول هل بلغت الخضراء بعد؟ فقال: إنَّ عُرْبَ عقلُ أبيك فطالماً وقر. [ابن أبي الدنيا (٥/٣١٩)]

* ولما نزل به الموت قال: ليتني كنت رجلاً من قريش بذني

طوى، وأني لم آل^(١) من هذا الأمر شيئاً. [ابن أبي الدنيا (٥/٣٢١)]

* وقال بلال رضي الله عنه (ت: ٢٠) حين حضرته الوفاة: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه، وتقول امرأته: واويلاه، يقول: وافرحاه.

[ابن أبي الدنيا (٥/٣٧١)]

* وبكى سلمان الفارسي رضي الله عنه (ت: ٣٣) عند الموت فقيل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي ضناً بدنياكم، ولا جزعاً من الموت، ولكن قلّة الزاد، وبعد المفاز.

[ابن أبي الدنيا (٥/٣٧٨)]

* وقال أنس بن سيرين: شهدت أنس بن مالك رضي الله عنه (ت: ٩٣) وحضره الموت، فجعل يقول: لقنوني: لا إله إلا الله، فلم يزل يقولها حتى قبض.

[ابن أبي الدنيا (٥/٥٠٧)]

* وبكى إبراهيم النخعي رضي الله عنه (ت: ٩٦) عند موته فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أنتظر من الله رسولاً يبشرني بالجنة أو بالنار!

[الزهد لابن المبارك (٤١٣)]

* ولما احتضر عبد الرحمن بن الأسود رضي الله عنه (ت: ٩٩) بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أسفاً على الصوم والصلاة، ولم يزل يقرأ القرآن حتى مات.

[ابن أبي الدنيا (٥/٣٤٨)]

* وحضر الموت رجلاً من الصالحين رضي الله عنه، فبكى فقيل له: علام تبكي، فإنما هي الدنيا التي تعرفها!، فقال: ليس عليها أبكي، ولكني والله أبكي على فراق الذكر ومجالس أهله.

[ابن أبي الدنيا (٥/٣٥٠)]

* ولما احتضر عامر بن عبد الله رضي الله عنه (ت: ٨٠) بكى، فقيل: ما

(١) أن أتول ولاية.

يُبيكيك؟ قال: ما أبكي جَزَعاً من المَوْتِ، ولا حِرْصاً على الدُّنْيَا، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر وعلى قيام ليالي الشتاء^(١).

[الزهد لابن المبارك (٢٦٥)]

* وكان ابن عون رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٦٠) يقول عند الموت: السُّنَّةُ،

السُّنَّةُ، وإيّاكم والبدع، حتى مات. [شرح السُّنَّة (١٢٦ - ١٢٩)]

* وعن محمد بن ثابت البناني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٣) قال: ذهبت ألقن

أبي عند الموت فقال: يا بني خل عني، فإني في وردي السابع، كأنه يقرأ ونفسه تخرج. [ابن أبي الدنيا (٣٤٢/٥)]

* ونزل الموت برجل من أهل المدينة فجزع، ف قيل له: أتجزع؟

فقال: ولم لا أجزع؟ فوالله إن كان رسول أمير المدينة ليأتيني فأفزع لذلك، فكيف برسول رب العالمين؟! . [ابن أبي الدنيا (٣٥٤/٥)]

• ولما حضرت الوفاة الشيخ الكاساني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٥٨٧) شرع في

قراءة سورة إبراهيم حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] فخرجت روحه عند فراغه من قوله: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ . [طبقات الحنفية (٢٤٥)]

ب - أهمية تذكّر الموت والاستعداد له :

* قالت صفية بنت عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : إن امرأة اشتكت إلى عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

(ت: ٥٨) قساوة القلب، فقالت: أكثري من ذكر الموت يرق قلبك،

ف فعلت، فرق قلبها، فجاءت تشكر عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا . [ابن أبي الدنيا (٤٤٢/٥)]

(١) كان كثيرٌ من السلف الصالح يبكي عند الموت، فيُقال لهم: ما يبكيكم؟ فيقولون: ما نبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكن نبكي على قيام ليالي الشتاء! فكم فرط الكثير من المسلمين في قيام ليالي الشتاء الطويلة، التي طالما بكى على فراقها الصالحون حتى عند الموت، وتحسروا على لذاتها والدمعات التي سُكبت فيها.

* وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت: ٤٠): من ارتقب الموت سارع في الخيرات.

[ابن أبي الدنيا (٢/٩٢)]

* وقال أبو الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢): ما أكثر عبد ذكر الموت، إلا قلَّ فرحه وقلَّ حسده.

[ابن أبي الدنيا (٥/٥١٤)]

* وقال أبو هريرة رضي الله عنه (ت: ٥٩): إذا مات الميت قالت الملائكة: ما قدم؟ ويقول الناس: ما ترك؟

[الزهدي لأبي داود (ص ٢٥٢)]

* وروي عن سعيد بن جبير رضي الله عنه (ت: ٩٤) أنه قال: لو فارق ذكر الموت قلبي، لخشيت أن يفسد علي قلبي.

[تهذيب السَّير (٢/٥٠٦)]

* وقال مطرف بن الشخير رضي الله عنه (ت: ٩٥): إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيماً لا موت فيه.

[صفة الصفوة (٣/١٥٩)]

* وقال مالك بن دينار رضي الله عنه (ت: ١٣١): عجباً لمن يعلم أن الموت مصيره، والقبر مورده، كيف تقرُّ بالدنيا عينه؟ وكيف يطيب فيها عيشه؟ ثم يبكي.

[صفة الصفوة (٣/١٩٨)]

* وَقَالَ الشَّاعِرُ:

نَرُوحُ وَنَعْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مَنُ عَاشَ لَا تَنَقُضِي
تَمُوتُ مَعَ الْمَرِّ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ

[أدب الدين (٨٧)]

• وقال معروف الكرخي رضي الله عنه (ت: ٢٠٤): رأيتُ أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١) فتى عليه آثار النسك، سمعته يقول كلاماً جمع فيه الخير، سمعته يقول: مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا مَاتَ نُسِي أَحْسَنَ وَلَمْ يُسَيِّءِ.

[طبقات الحنابلة (٢/٤٧٨)]

ج - ما قيل في الموت ورهبته :

* عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (ت : ٦٨)، أنه سئل عن نفسين اتفق موتهما في طرفة عين، واحد في المشرق، وواحد في المغرب، كيف قدرة ملك الموت عليهما؟ قال: ما قدرة ملك الموت على أهل المشارق والمغارب، والظلمات والهواء، والبحور، إلا كرجل بين يديه مائدة، يتناول من أيها شاء. [ابن أبي الدنيا (٥/٤٦٤)]

* وقال كعب الأخبار رضي الله عنه (ت : ٣٢): من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وغمومها. [ابن أبي الدنيا (٥/٤٥١)]

* وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (ت : ١٠١): لقد نغص هذا الموت على أهل الدنيا ما هم فيه من غضارة الدنيا وزهرتها، فبينما هم فيها كذلك وعلى ذلك، أتاهم حادٍ من الموت فاخترمهم مما هم فيه، فالويل والحسرة هنالك لمن لم يحذر الموت، ويذكره في الرخاء، فيُقَدِّم لنفسه خيراً يجده بعدما يفارق الدنيا وأهلها، ثم بكى عمر حتى غلبه البكاء، فقام. [ابن أبي الدنيا (٥/٤٠٤)]

* وعن عبد العزيز أبي مرحوم، قال: دخلنا مع الحسن البصري رضي الله عنه (ت : ١١٠) على مريض نعوده، فلما جلس عنده قال: كيف تجددك؟ قال: أجدني أشتهي الطعام، فلا أقدر أن أسيغه، وأشتهي الشراب فلا أقدر على أن أتجرعه، قال: فبكى الحسن، وقال: على الأسقام والأمراض أُسِّست هذه الدار، فهبك تصح من الأسقام، وتبرأ من الأمراض، هل تقدر على أن تنجو من الموت؟ قال: فارتج البيت بالبكاء. [ابن أبي الدنيا (٥/٥٢٣)]

* وقال رضي الله عنه: إنما يتوقع الصحيح منكم داء يصيبه، والشاب منكم

هرماً يُفنيه، والشيخ منكم موتاً يُرديه، أليس العواقب ما تسمعون؟ أليس غداً تفارق الروح الجسد؟

المسلوب غداً أهله وماله، الملقوف غداً في كفنه، المتروك غداً في حفرتة، المنسي غداً من قلوب أحبته، الذين كان سعيه وحزنه لهم.

ابن آدم، نزل بك الموت فلا ترى قادماً، ولا تجيء زائراً، ولا تُكلم قريباً، ولا تعرف حبيباً، تُنادى فلا تجيب، وتسمع فلا تعقل، قد خربت الديار، وأُيِّمَتِ الأولاد، قد شخص بصرك، وعلا نفسك، واصطكت أسنانك، وضعفت ركبتيك، وصار أولادك غرباء عند غيرك.

[ابن أبي الدنيا (٥٥١/٥)]

* وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فضح الموتُ الدنيا، فلم يترك فيها لذي لبٍّ فرحاً.

[تهذيب السَّير (٥٦٣/٢)]

* وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: أصبت رقعة في الجنازة فيها مكتوب: وهبتم همكم للدنيا، وتناسيتم سرعة حلول المنيا، أما والله ليحلن بكم من الموت يوم مظلم، ينسيكم طول معاشره النعمة، ولتندمن ولا تنفعكم الندامة، الحذر! الحذر! الحذر! قبل بُغْتان المنيا، ومجاورة أهل البلى.

[ابن أبي الدنيا (٥٥٨/٥)]

* وقال رجل لبعض السلف: أوصني، قال: عسكر الموتى

ينتظرونك.

* وعن زيد بن أسلم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٦): قال: إذا بقي على

المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغها بعمله شُدُّد عليه الموت، ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة، وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفاً

في الدنيا يهون عليه الموت، ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا، ثم يصير إلى النار.

[ابن أبي الدنيا (٥/٤٥٠)]

* وعن إبراهيم بن الأشعث قال: كنا إذا خرجنا مع الفضيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧) في جنازة لا يزال يعظ ويذكر ويبكي حتى لكأنه يودع أصحابه، ذاهب إلى الآخرة. حتى يبلغ المقابر فيجلس، فكأنه بين الموتى جلس من الحزن والبكاء حتى يقوم، ولكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها.

[تهذيب الحلية (٣/٣)]

د - ما قيل في الجنائز والمقابر والاحتضار:

* عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) قال: إذا وضع الكافر في قبره فيرى مقعده من النار، قال: (رب ارجعون)، حتى أتوب وأعمل صالحاً، فيقال: قد عُمرت ما كنت معمراً، فيضيق عليه قبره، فهو كالمنهوش ينام ويفزع، تهوي إليه هوام الأرض، حياتها وعقاربها. [ابن أبي الدنيا (٥/٤٧٨)]

* وعن إبراهيم النخعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٦) قال: إن كانوا يشهدون الجنازة فيظلون الأيام محزونين، يُعرف ذلك فيهم.

[الزهد لابن المبارك (١٨٦)]

قال: وإنكم في جنائزكم تتحدثون بأحاديث دنياكم.

[ابن أبي الدنيا (٦/٦٣)]

* وعن الأعمش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٨) قال: إن كنا لنشهد الجنازة، فلا ندري أيهم يُعزى من حزن القوم.

[الزهد لوكيع (٢٠٨)، ابن أبي الدنيا (٦/٦٣)]

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أدركت الناس وإذا كانت فيهم جنازة جاءوا فجلسوا

صموتاً لا يتكلمون، فإذا وُضعت نظرت إلى كل رجل واضعاً حبوته على صدره، كأنه أبوه أو أخوه أو ابنه. [ابن أبي الدنيا (٦٧/٦)]

* وعن سلام بن أبي مطيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شهدت قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت): (١١٨) في جنازة فلم يتكلم حتى انصرف، وشهدت الحريري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جنازة فلم يزل يبكي حتى تفرق القوم، وشهدت محمد بن واسع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٢٣) في جنازة فلم يزل مقنّع الرأس، مطرقاً، ما يلتفت يميناً ولا شمالاً. [ابن أبي الدنيا (٦٤/٦)]

* وقيل لسفيان بن عيينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت ١٩٨): لأي شيء كان يُستحب خفض الصوت عند الجنائز؟ قال: شبهوه بالحشر إلى الله، أما سمعته يقول: ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]. [ابن أبي الدنيا (٦٧/٦)]

* وكان الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) في جنازة، فرأى رجلاً يحدث صاحبه ويتبسم إليه، فقال: يا سبحان الله! أما كان في الذي بين يديك مشغول عن التبسم؟! قال الحسن: كانوا يعظمون الموت أن يُرفع عنده صوت. [ابن أبي الدنيا (٦٨/٦)]

* وعن محمد بن كعب القرظي قال: أتيت عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠١) وهو خليفة، فلما دخلت عليه أدمت النظر إليه، فقال: إنك لتنظر إلي نظراً ما كنت تنظره إلي بالمدينة - لما كان والياً عليها - قلت: أجل يا أمير المؤمنين، أعجبني ما كَلَّ من جسمك، وتغير من لونك، ورث من شعرك، فقال: كيف لو رأيتني بعد ثلاث في القبر، وقد سقطت حدقتي على وجنتي، وخرج الصديد والدود من منخري وفمي، كنت أشد لي نكرة. [ابن أبي الدنيا (٨٠/٦)]

• وَقَالَ رجل للإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١): أوصني؟ فقال له: انظر إلى أحب ما تريد أن يجاورك في قبرك فاعمل به.

[طبقات الحنابلة (١/١٩٢)]

هـ - القبر راحة المؤمن:

* عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) قال: إذا قُبِضت نفسُ العبد تلقاه أهل الرحمة من عباد الله كما يَلْقَوْنَ البشير في الدنيا، فيقبلون عليه ليسألوه، فيقول بعضهم لبعض: أنظروا أحاكم حتى يستريح، فإنه كان في كرب، فيقبلون عليه فيسألونه ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ هل تزوجت؟ فإذا سألوا عن الرجل قد مات قبله قال لهم: إنه قد هلك، فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية، فبئست الأم وبئست المربية، قال: فيعرض عليهم أعمالهم، فإذا رأوا حسناً فرحوا واستبشروا، وقالوا: هذه نعمتك على عبدك فأتَمها، وإن رأوا سوءاً قالوا: اللَّهُمَّ راجع بعبدك.

[الزهد لابن المبارك (ص١٤٩)]

* وقال مسروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٣): ما من بيت خيرٍ للمؤمن من لحد، قد استراح فيه من هموم الدنيا، وأمن عذاب الله. [الزهد لو كيع (٨٧)]

و - تلقين المحتضر الشهادة:

* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): احضروا موتاكم وذكروهم، فإنهم يرون ما لا ترون، ولقنوهم شهادة أن لا إله إلا الله.

[ابن أبي الدنيا (٥/٣٠٥)]

* وقال الحسن بن الربيع: سمعت ابن المبارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨١) حين حضرته الوفاة وأقبل نُصير يقول له: يا أبا عبد الرحمن قل: لا إله

إِلَّا اللَّهَ، فَقَالَ لَهُ: يَا نُصَيْرُ قَدْ تَرَى شِدَّةَ الْكَلَامِ عَلَيَّ، فَإِذَا سَمَعْتَنِي قُلْتُهَا
فَلَا تَرُدُّهَا عَلَيَّ حَتَّى تَسْمَعَنِي قَدْ أَحْدَثْتُ بَعْدَهَا كَلَامًا، فَإِنَّمَا كَانُوا
يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَكُونَ آخِرَ كَلَامِ الْعَبْدِ ذَلِكَ. [صفة الصفوة (٤/٣٨٠)]



الشوق إلى لقاء الله وجنته

أ - أحوالهم وأقوالهم في الشوق إلى لقاء الله وجنته :

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت : ٣٢) قال : ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله .
[ابن أبي الدنيا (٤١٢/٥)]

* ودُخل على مكحول رضي الله عنه (ت : ١١٢) في مرضه الذي مات فيه ، فقيل له : أحسن الله عافيتك أبا عبد الله؟ فقال : الإلحاق بمن يُرجى عفوهُ ، خير من البقاء مع من لا يؤمن شره .
[تهذيب الحلية (١٨٠/٢)]

* وقال سُفيان الثوري رضي الله عنه (ت : ١٦١) : ما نفس تخرج أحب إليّ من نفسي ، ولو كانت في يدي لأرسلتها .
[تهذيب الحلية (٣٧٣/٢)]

ب - حال بعض السلف الذين يرغبون طول العمر للزيادة في العمل :

* قال عمر رضي الله عنه (ت : ٢٣) : لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيت الله ، لولا أن أضع جبته في الله ، أو أجلس في مجالس يُنتقى فيها طيب الكلام كما ينتقى جيد التمر ، أو أن أسير في سبيل الله ويعلى .
[تهذيب الحلية (٧١/١)]



حال بعض الملوك، والأمراء، والمذنبين عند الموت

* قال عمرو بن العاص رضي الله عنه (ت: ٤٣): وهو في الموت: اللَّهُمَّ لا ذو قوة أنتصر، ولا ذو براءة فأعتذر، اللَّهُمَّ إني مقرٌّ، مذنب، مستغفر. [ابن أبي الدنيا (٥/٣٣٠)]

* ولما حضرت عبد العزيز بن مروان (ت: ٨٥) الوفاة قال: ائتوني بكفني الذي تكفونوني فيه، فلما وضع بين يديه، ولأهم ظهره، فسمعوه وهو يقول: أف لك^(١)، أف لك، ما أقصر طويلك، وأقل كثيرك. [ابن أبي الدنيا (٥/٣٣١)]

* ولمّا أتاه البشير يُبشّره بماله الواصل في العام، فقال: مالك؟ قال: هذه ثلاث مئة مُدِّي من ذهب قال: ما لي وله، لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كان بعراً حائلاً بِنجد.

قال الذهبي رحمته الله (ت: ٧٤٨): هذا قول كلِّ ملكٍ كثيرِ الأموال، فهلاً يُبادر ببذله؟. [تهذيب السِّير (١/٤٩٠)]

* ولما احتُضر بشر بن مروان (ت: ٧٣) قال: والله لوددت أني كنت عبداً حبشياً لأسوأ أهل البادية ملكةً، أرعى عليهم غنمهم، وأنى لم أكن فيما كنت فيه.

* ومرض عبد الملك بن مروان (ت: ٨٦) فجعل في مرضه يذم الدنيا ويقول: إن طويلك لقصير، وإن كثيرك لقليل، وأنا منك لفي غرور.

ونظر إلى غسال يلوي ثوباً بيده، فقال: لوددت أني كنت غسلاً آكل من كسب يدي ولم آل شيئاً من هذا الأمر.

فبلغ ذلك أبا حازم، فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا احتضروا يتمنون ما نحن فيه، وإذا احتضرنا لم نتمن ما هم فيه.

وقال سفيان: الحمد لله الذي جعلهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم.

[المنتظم (٢٧٣/٦)، ابن أبي الدنيا (٥/٣٢٢، ٥/٣٣١)]

* وجعل المنتصر (ت: ٢٤٨) يقول وهو يكيده بنفسه وقائل يقول: لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال: ليس إلا هذا؟ لقد ذهبت الدنيا والآخرة!.

* وقال الربيع بن برة رضي الله عنه: رأيت بالشام رجلاً يقال له وهو في الموت: قل لا إله إلا الله، فقال: اشرب واسقه!. [ابن أبي الدنيا (٥/٣٦١)]

* وقيل لرجل وهو في الموت: قل لا إله إلا الله، قال: هيهات! حيل بيني وبينها.

* وقال عبد العزيز بن أبي رواد رضي الله عنه: حضرت رجلاً في النزاع فجعلت أقول له: قل لا إله إلا الله، فكان يقول، فلما كان في آخر ذلك قلت له: قل لا إله إلا الله، قال: كم تقول؟ إنني كافر بما تقول، وقُبض على ذلك، فسألت امرأته عن أمره فقالت: كان مدمن خمر، فكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب فإنما هي أوقعته.

[جامع العلوم والحكم (٧٨)، ابن أبي الدنيا (٥/٣٧٠)]

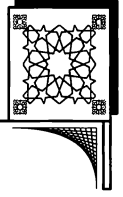
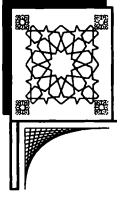
* وقال ابن القيم رحمته الله: قيل لبعضهم: قل: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فقال: آه آه، لا أستطيع أن أقولها. وقيل لآخر: قل (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فقال:

يا رَبِّ قائلة يوماً وقد تعبت كيف الطريق إلى حمام منجاب؟ ثم قضى. وقيل لآخر: قل (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فجعل يهذي بالغناء، ويقول: تاتنا تاتنا، حتى قضى. وقيل لآخر ذلك، فقال: ما ينفعني ما تقول، ولم أدع معصية إلا ركبتها، ثم قضى ولم يقلها. وقيل لآخر ذلك، فقال: وما تغني عني وما أعرف أنني صليت لله صلاة؟ ولم يقلها. وقيل لآخر ذلك، فقال: هو كافر بما تقول، وقضى. وقيل لآخر ذلك، فقال: كلما أردت أن أقولها ولساني يمسك عنها.

قال رحمته الله: وأخبرني من حضر بعض الشحاذين عند موته، فجعل يقول: فليس لله، فليس لله، فليس لله، حتى قضى. وأخبرني بعض التجار عن قرابة له أنه احتضر وهو عنده، وجعلوا يلقنونه (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وهو يقول: هذه القطعة رخيصة، هذا مشترى جيد، هذه كذا، حتى قضى.

[الداء والدواء (٩٧ - ٩٨)]





أهوال يوم القيامة، والحساب

* قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢) إن الفجار ليُجمهم العرق يوم القيامة قبل الحساب.

قيل له: أين المؤمنون؟

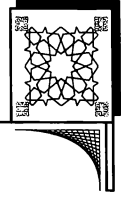
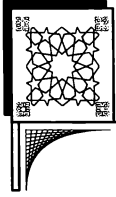
قال: على كراسي قد ظلل عليهم بالغمام ما طول ذلك اليوم عليهم إلا كأمر الساعة من نهار. [الزهد لهناد (٣٢٥)]

* وقال الحسن البصري رضي الله عنه (ت: ١١٠) في قول الله: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]: كل آدمي في عنقه قلادة، تكتب فيها نسخة عمله، فإذا طويت قُلِّدَهَا، فإذا بعث نُشِرت له، وقيل: ﴿أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

يا ابن آدم، أنصفك من خلقك، جعلك حسيب نفسك.

[الزهد لهناد (١١٨٥)]





الجنة ونعيمها

* عن ابن عباس رضي الله عنهما (ت: ٦٨) قال: إذا سكن أهل الجنة: نُورٌ سقّف مساكنهم نورٌ عرشه. [ابن أبي الدنيا (٦/٣٢٠)]

* وقال أيضاً رضي الله عنهما: الظل الممدود: شجرة في الجنة على ساق، قدر ما يسير الراكب المُجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها، قال: فيخرج إليها أهل الجنة، أهل الغرف وغيرهم، فيتحدثون في ظلها، فيشتهي بعضهم، ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحاً من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا. [ابن أبي الدنيا (٦/٣٢٨)]

* وقال أيضاً رضي الله عنهما: نخل الجنة: جذوعها زمرد أخضر، وكربها ذهب أحمر، وسعفها كسوة أهل الجنة، منها مُقطّعاتهم وحللهم. [الزهد لهناد (١/٩١)]

* وقال أيضاً رضي الله عنهما: الرمان من رمان الجنة يجتمع حولها بشر كثير يأكلون منها، فإن جرى على ذكر أحدهم شيء يريد وجده في موضع يده حيث يأكل. [ابن أبي الدنيا (٦/٣٤٦)]

* وقال البراء بن عازب رضي الله عنه (ت: ٧١) في هذه الآية ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣] قال: يتناولونها وهم نيام وهم جلوس، وعلى أيّ حال شاؤوا. [الزهد لهناد (١/٩٢)]

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما (ت: ٧٣) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] قال: الكوثر نهر في الجنة، حافتاه قصب

الذهب، مجراه على الدرّ والياقوت، ماؤه أشدّ بياضاً من الثلج، وأشدّ حلاوة من العسل، تربته أطيب من ريح المسك. [ابن أبي الدنيا (٦/٣٣٤)]

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه (ت: ٩٣) قال: لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض؟ لا والله، إنها سائحة على وجه الأرض، إحدى حافتيها اللؤلؤ، والأخرى الياقوت، وطينه المسك الأذفر.

قيل: ما الأذفر؟ قال: الذي لا خلط له. [ابن أبي الدنيا (٦/٣٣٤)]

* وقال أيضاً رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٦٦] قال: بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة، كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا. [ابن أبي الدنيا (٦/٣٣٥)]

* وقال أيضاً رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٦٥] قال: يتجلى لهم كل جمعة. [ابن أبي الدنيا (٦/٣٤٠)]

* وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه (ت: ٥٠) وهو يخطب على منبر البصرة: إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة ملكاً إلى أهل الجنة، فيقول: يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون فيرون الحلي والحلل، والثمار والأنهار، والأزواج المطهرة، فيقولون: نعم أنجزنا ما وعدنا، ثم يقول الملك: هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ ثلاث مرات، فلا يفقدون شيئاً مما وعدوا، فيقولون: نعم، فيقول: قد بقي لكم شيء، إن الله عز وجل يقول: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنِهِمْ زِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ألا إن الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجهه الكريم. [البعث والنشور للبيهقي (٢٦٢)]

* وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه (ت: ٦٥) قال: العنقود - يعني: في الجنة - : أبعد من صنعاء - وهو بعمّان بالشّام - . [الزهد لهناد (١/٩٤)]

* وقال مجاهد رضي الله عنه (ت: ١٠٤) في قوله تعالى: ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا

نَدِيلًا ﴿١٤﴾ [الإنسان: ١٤]: إذا قام ارتفعت، وإذا قعد تدلّت حتى يتناولها،
وإذا اضطجع تدلت، فذلك تذليلها. [ابن أبي الدنيا (٣٤٥/٦)]

* وقال رَضِيَ اللهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ ﴿٧٦﴾
[الرَّحْمَنُ: ٧٢]: «أنفسهن وأبصارهن وقلوبهن مقصورات على أزواجهن لا
يُردن غيرهم في خيام اللؤلؤ». [الزهد لهناد (٥٦/١)]

* وعن الضحاک رَضِيَ اللهُ (ت: ١٠٥) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَمٌّ دَرَجَتْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٤] قال: بعضهم أفضل من بعض، فيرى الذي
فُضِّلَ: به فضيلة، ولا يرى الذي أسفل منه: أنه فُضِّلَ عليه أحد من
الناس. [ابن أبي الدنيا (٣٥٩/٦)]

* وقال الزهري رَضِيَ اللهُ (ت: ١٢٤): لسان أهل الجنة عربي.

[ابن أبي الدنيا (٣٦٣/٦)]



النار وعذابها

* عن ابن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢) في قوله: ﴿زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾، قال: عقارب أنيابها كالنخل الطوال. [الزهد لأسد بن موسى (٢٨)]

* وقال أيضاً رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]: في توابيت من حديد مبهمة^(١) عليهم.

[الزهد لهناد (١٦١)]

* وقال رجل لابن مسعود رضي الله عنه: حدثنا عن النار كيف هي؟ قال: لو رأيته لزال قلبك من مكانه.

[ابن أبي الدنيا (٦/٤١١)]

* وعن ابن عباس رضي الله عنه (ت: ٦٨) قال: لو أن دلواً من غساق^(٢) يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا.

[ابن أبي الدنيا (٦/٤١٦)]

* وقال أيضاً رضي الله عنه: ﴿وَنَادَا يَمَلِكُ﴾ قال: يمكث عنهم ألف سنة ثم يجيهم: ﴿إِنَّكُمْ مَلَكَوْتُمْ﴾ رضي الله عنه [الزخرف: ٧٧]. [الزهد لأسد بن موسى (ص١٦)]

* وقال أيضاً رضي الله عنه: يستعيد أهل النار من الحر، فيُغاثون بريح بارد، يصدع العظم بردها، فيسألون الحر.

[ابن أبي الدنيا (٦/٤١٧)]

* وقال أيضاً رضي الله عنه في قوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ

(١) أي: مقلعة عليهم لا يهتدون لمكان فتحها.

(٢) الغساق: بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم، وقيل: الزمهرير.

أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴿٤٥﴾ قال: ينادي الرجل أخاه: يا أخي، قد احترقت فأغثنني، فيقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف: ٥٠]. [ابن أبي الدنيا (٦/٤٥١)]

* وعن أبي الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢) قال: يُرسل على أهل النار الجوع، حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب، قال: فيستغيثون، فيغاثون بالضرع الذي ﴿لَا يُسَمِّنُ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْجُوعِ ﴿٧﴾﴾ [الغاشية: ٧]، قال: فيستغيثون، فيغاثون بطعام ذي غصة، قال: فيذكرون أنهم يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب، قال: فيرفع إليهم الحميم بكلايب الحديد، فإذا دنا من وجوههم شوى وجوههم، وإذا دخل بطونهم قطع ما في بطونهم، فيقولون: كلموا خزنة النار، فيقولون: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر: ٤٩]، فيجيبونهم: ﴿قَالُوا أَوْلَمْ نَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٥٠]. فيقولون: كلموا مالكا فيقولون: ﴿يَمْلِكُ لِقَضَائِنَا رَبُّكَ ﴿٧٧﴾﴾ فيجيبهم: ﴿إِنَّكُمْ مَكْنُوتٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧]، فيقولون: ادعوا ربكم، فإنه ليس أحد خيرا لكم من ربكم. فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عِذْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، قال: فيجيبهم: ﴿أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، قال: فعند ذلك يياسون من كل خير، ويأخذون في الشهيق والويل والثبور.

* وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه (ت: ٧٣) قال: أهل النار مكبلون بأصفاة النار، معلقون بشجر في النار، وإن جلودهم لتقطر بصهارة الحميم، خالدين فيها، لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب عظيم، ولو أن رجلاً أُخرج من أهل النار إلى الدنيا، لمات أهل الدنيا

من وحشة منظره وبتن ريعه، ثم بكى عبد الله بن عمرو بكاء شديداً.

[ابن أبي الدنيا (٤٢٦/٦)]

* وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «يؤتى بالصراط، حده كحد موسى، فتقول الملائكة: يا ربنا من يجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي، قال: فيقولون: ربنا ما عبدناك حق عبادتك».

[الزهدي لأسد بن موسى (ص ٣٨)]

* وقال الحسن رضي الله عنه (ت: ١١٠) في قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٢] قال: لم تخشع لله في الدنيا، فأخشعها وأنصبها في النار، فذلك عملها.

[ابن أبي الدنيا (٤٢٧/٦)]

* وقال أيضاً رضي الله عنه في قوله: ﴿إِنَّكَ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] قال: الغرام: اللازم الذي لا يفارق صاحبه أبداً، وكل عذاب يفارق صاحبه فليس بغرام.

[ابن أبي الدنيا (٤٤٤/٦)]

* وعن وهب بن منبه رضي الله عنه (ت: ١١٤) قال: إن أهل النار الذين هم أهلها لا يهدؤون، ولا ينامون، ولا يموتون، يمشون على النار، ويجلسون على النار، ويشربون من صديد أهل النار ويأكلون من زقوم النار، لحفهم نار، وفرشهم نار، وقمصهم نار وقطران، ﴿وَقَعَشَىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، ثم بكى.

[ابن أبي الدنيا (٤٢٦/٦)]

* وقال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢] قال: الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاؤوا، فإذا انقطعت الدنيا وصاروا إلى الله استأنفوا بكاء لا ينقطع عنهم أبداً.

[ابن أبي الدنيا (٤٤٦/٦)]

* وعن عبد الأعلى رضي الله عنه (ت: ١٤٠) قال: ما جلس قوم مجلساً

فلم يذكروا الجنة والنار إلا قالت الملائكة: أغفلوا العظيمتين.

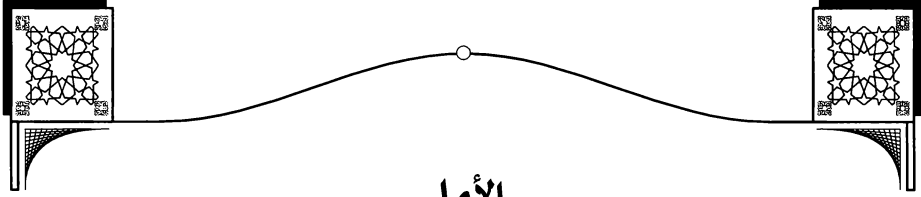
[ابن أبي الدنيا (٣٩٩/٦)]

* وقال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الزمر: ٢٤]: تشد أيديهم وأرجلهم، فكلما جاءهم نوع من العذاب، اتقوه بوجوههم.

* وعن مالك بن دينار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣١) قال: إذا أحس أهل النار في النار بضرب المقامع انغمسوا في حياض الجحيم فيذهبون سفلاً سفلاً كما يغرق الرجل في الماء في الدنيا يذهب سفلاً سفلاً.

[الزهدي لأحمد (٥٣٤)]





الأمل

أ - ما قيل في الأمل وأنه غريزة في الإنسان :

* قال مطرف بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت : ٩٥) : لو علمت متى أجلي لخشيت على ذهاب عقلي، ولكن الله مَنَّ على عباده بالغفلة عن الموت، ولو لا الغفلة ما تهنَّؤوا بعيش، ولا قامت بينهم الأسواق.

[ابن أبي الدنيا (٣/٣٠٩)]

ب - الحث على قصر الأمل :

* قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت : ٤٠) : إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتين : اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى : فيصد عن الحق، وأما طول الأمل : فينسي الآخرة، ألا وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

[الزهد لوكيع (١٩١)]

* وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت : ١٨٧) : إنما أمس مثلٌ، واليومَ عملٌ، وغداً أملٌ.

[تهذيب السَّير (٢/٧٧٤)]

* وقال بعض السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ما نمت نوماً قط، فحدثت نفسي أنني أستيقظ منه.

[ابن أبي الدنيا (٣/٣١١)]

* وكان محمد بن واسع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت : ١٢٣) إذا أراد أن ينام قال

لأهله: أستودعكم الله فلعلها أن تكون مني التي لا أقوم منها وكان هذا دأبه إذا أراد النوم. [جامع العلوم والحكم (٥٠٣)]

* وكانت امرأة متعبدة بمكة إذا أمست قالت: يا نفس، الليلة ليلتك، لا ليلة لك غيرها، فاجتهدت، فإذا أصبحت قالت: يا نفس اليوم يومك، لا يوم لك غيره فاجتهدت. [جامع العلوم والحكم (٥٠٣)]

* وقال بكر المزني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٠٨): إذا أردت أن تنفعك صلاتك فقل: لعلي لا أصلي غيرها. [جامع العلوم والحكم (٥٠٣)]

* وقال بعض السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يقال: من قَصُرَ أمله هان عليه عيشه.

قال سفيان: يعني: في المطاعم والملابس. [ابن أبي الدنيا (٣/٣١١)]

* وعن شميظ بن عجلان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٢٦) قال: إن المؤمن يقول لنفسه: إنما هي أيام ثلاثة: فقد مضى أمس بما فيه، وغداً أملٌ لعلك لا تدركه، إنك إن كنت من أهل غد فإن غداً يجيء برزق غد، إن دون غد يوماً وليلة تُخترم فيه أنفس كثيرة، لعلك المخترم فيها. كفى كل يوم همُّه.

ثم قد حَمَلَتْ على قلبك الضعيف همَّ السنين والأزمته، وهمَّ الغلاء والرخص، وهمَّ الشتاء قبل أن يجيء الشتاء، وهمَّ الصيف قبل أن يجيء الصيف، فماذا أبقيت من قلبك الضعيف لآخرته؟

كلُّ يوم يَنْقُصُ من أجلك وأنت لا تحزن، وكل يوم تَسْتَوْفِي رزقك وأنت لا تحزن!

أَعْطَيْتَ ما يكفيك فأنت تطلب ما يُطْعِيكَ؟ لا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع!

وكيف لا يَسْتَبِينُ بعالمٍ جهله وقد عَجَزَ عن شكر ما هو فيه، وهو

مغترٌّ في طلب الزيادة؟ أم كيف يعمل للآخرة من لا تنقطع من الدنيا شهوته، ولا تنقضي منها نهمته؟

فالعجب كلُّ العجب لمن يصدّق بدار الحيوان وهو يسعى لدار الغرور!^(١). [ابن أبي الدنيا (٣/٣١٦)]

* وعن إبراهيم بن نسيط قال: قال لي أبو زرعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩١): لأقولن لك قولاً ما قلته لأحد سواك: ما خرجت من المسجد منذ عشرين سنة فحدثت نفسي أن أرجع إليه. [ابن أبي الدنيا (٣/٣١٨)]

* وقال بعض السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعداً!

وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملاً!

وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفاً!

فعلام تُعرجون؟ وما عسيتم تنتظرون؟

الموت؟

فهو أول وارد عليكم من الله بخير أو بشر.

يا إخوتاه، سيروا إلى ربكم سيراً جميلاً. [ابن أبي الدنيا (٣/٣٣٧)]



(١) هذا الكلام يُكتب بماء الذهب، حريّ به يُحفظ ويسمعه الناس.

ذم الطمع والبخل

* قال أبو بكر رضي الله عنه (ت: ١٣): أَيُّ ذَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ؟ .

[صحيح البخاري (٤٣٨٣)]

* وكان عمر رضي الله عنه (ت: ٢٣) يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الطَّمْعَ فَقْرٌ، وَإِنَّ الْيَأْسَ غِنَى، وَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا يَتَسَّ مِنَ الشَّيْءِ اسْتَعْنَى عَنْهُ». [الزهد لابن المبارك (٥٨٦)، القناعة والتعفف لابن أبي الدنيا (١٨٧) واللفظ له]

* وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه (ت: ٢٥٨): مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما في ماله عند موته، قيل: ما هما؟ قال: يُؤَخِّدُ مِنْهُ كُلَّهُ وَيُسْأَلُ عَنْهُ كُلَّهُ.

* وقال بعض السلف رضي الله عنه: إِذَا كَانَ عِنْدَكَ مَا أَعْطَى اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً عليهم الصلاة والسلام: لا تراه شيئاً^(١)، وإنما تريد ما أعطى الله نمرود وفرعون وهامان^(٢) فمتى تفلح؟ .

[صفة الصفوة (٤/٤٨٤)]

* وقال بنانُ الحمَّال رضي الله عنه (ت: ٣١٦): الحرُّ عبد ما طَمِعَ، والعبدُ حرٌّ ما قَنِعَ.

[تهذيب السير (٣/١١٦٩)]

(١) أعطاهم الإيمان والعمل الصالح.

(٢) أعطاهم المال ومتاع الدنيا.

فوائد الطاعة والأعمال الصالحة، وتوجيهات السلف في ذلك

أ - محبة الله للمطيع، وتحبيب الناس له، وتيسير أموره:

* قال أبو الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢): إن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله، وحببه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله وبغضه إلى خلقه. [الزهد لوكيع (٥٢٤)]

* وقال ابن عباس رضي الله عنهما (ت: ٦٨) في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]: حفظهما بصلاح أبيهما، ولم يذكر منهما صلاحاً. [الزهد لأبي داود (ص ٢٩٢)]

* وقال رجل للحسن رضي الله عنه (ت: ١١٠): أوصني، قال: «أعزّ أمر الله يعزك الله».

* وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه (ت: ٢٥٨): على قدر خوفك من الله يهابك الخلق، وعلى قدر حبك لله يحبك الخلق، وعلى قدر شغلك بالله يشتغل الخلق بأمرك. [صفة الصفوة (٤/٣٤٣)]

* وقال هرير بن حيان (ت: ٤٦) ومحمد بن واسع (ت: ١٢٣) رحمهما الله: ما أقبلَ عبدٌ بقلبه إلى الله إلا أقبلَ الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقهُ ودّهم. [تهذيب السير (١/٤٤١)، تهذيب الحلية (١/٤١٠)]

* وعن كعب الأحبار رضي الله عنه (ت: ٣٢) قال: ما استقر لعبد ثناء في

الأرض حتى يستقر في السماء^(١).

[الزهد لابن المبارك (٤٢٨)، الزهد لأبي داود (٣٧٤)]

* وقال ﷺ: إذا أحببتهم أن تعلموا ما للعبد عند ربه فانظروا ماذا

يتبعه من حسن الشاء. [الزهد لأبي داود (٣٨٢)]

* وسئل بشر بن الحارث ﷺ (ت: ٢٢٧): ما كان بدء

أمرك؟

قال: كنت رجلاً عيَّاراً^(٢)، فُجِزْتُ يوماً فإذا أنا بقرطاس في

الطريق، فرفعته فإذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم»، فمسحته وجعلته في

جيبِي، وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما، فذهبت إلى العطارين

فاشترت بهما غالية^(٣)، ومسحته في القرطاس، فنمت تلك الليلة فرأيت

في المنام كأن قائلاً يقول لي: يا بشر بن الحارث رفعت اسمنا عن

الطريق، وطيبته، لأطيبين اسمك في الدنيا والآخرة، ثم كان ما كان.

[تهذيب الحلية (١٨٩/٣)]

* وقال إبراهيم الخواص ﷺ (ت: ٢٩١): على قدر إعزاز

المؤمن لأمر الله يلبسه الله من عزه، ويقيم له العز في قلوب المؤمنين.

فذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]

[تهذيب الحلية (٣/٤٢١)]

(١) فإذا وضع الله القبول للإنسان عند أهل الصلاح والخير والإيمان، ومدحوه وأثنوا

عليه: كان هذا علامة على أن الله وضع له القبول عند ملائكته، وعلامة على محبة الله

له.

(٢) العيار: اللص الماهر في السرقة.

(٣) نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن.

ب - اللذة، والأنس، وانسراح الصدر:

* قال مالك بن دينار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣١): خَرَجَ أَهْلُ الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَذُوقُوا أَطْيَبَ شَيْءٍ فِيهَا، قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ ﷻ.
[صفة الصفوة (٣/٢٠١)]

* وعن الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: تَفَقَدُوا الحِلاوةَ فِي الصلاةِ وَفِي القرآنِ وَفِي الذِّكْرِ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهَا فامضُوا وأبشروا، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوهَا فاعلموا أَنَّ البابَ مَغْلُوقٌ.
[تهذيب الحلية (٣/٣٠٤)]

* وقال بعض السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنْ اللَّهُ يَرْزُقُ العَبْدَ حِلاوةَ ذِكْرِهِ، فَإِنْ فَرِحَ بِهِ وَشَكَرَهُ أَنَسَهُ بِقَرْبِهِ، وَإِنْ قَصَرَ فِي الشُّكْرِ أَجْرَى الذِّكْرِ عَلَى لِسَانِهِ وَسَلَبَهُ حِلاوتَهُ بِهِ.
[تهذيب الحلية (٣/٤٥٣)]

* وقال إبراهيم بن أدهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٧٠) لو عَلِمَ المَلُوكُ وَأَبْنَاءُ المَلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَالسُّرُورِ لَجَالِدُونَا بِالسُّيُوفِ أَيَّامَ الحَيَاةِ عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ لَذِيذِ العَيْشِ وَقِلَّةِ التَّعَبِ.
[الزهد للخطيب (١٣٣)]

* وقال مسلم بن يسار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٩): مَا تَلَذَّذَ المَتَلَذِّذُونَ بِمِثْلِ الخُلُوةِ بِمَنَاجَاةِ اللَّهِ ﷻ.
[تهذيب الحلية (١/٣٩٥)]

* وقال بعض السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَنَحْنِئِنَّهُ حَيَوَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ [النحل: ٩٧] لَنَرزُقَنَّهُ طَاعَةَ يَجِدُ لَدَيْهَا فِي قَلْبِهِ.
[ابن أبي الدنيا (٦/٥٣٧)]

* وَلَمَّا رَكِبَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٧٢٨) عَلَى بَابِ الحَبْسِ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا سَيِّدِي هَذَا مَقَامُ الصَّبْرِ!
فَقَالَ: بَلْ هَذَا مَقَامُ الحَمْدِ وَالشُّكْرِ، وَاللَّهُ إِنَّهُ نَازَلَ عَلَى قَلْبِي مِنَ الفَرَحِ وَالسُّرُورِ شَيْءٌ لَوْ قُسِمَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ وَمِصْرَ لِفَضْلِ عَنَّهُمْ، وَلَوْ أَنَّ

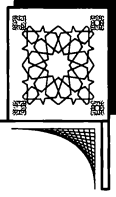
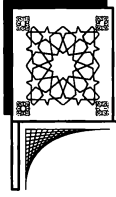
معي في هذا الموضوع ذهباً وأنفقته ما أدت عشر هذه النعمة التي أنا فيها. [الجامع لسيرة شيخ الإسلام (١/١٥٠)]

ج - الذلّ عند الطاعات، والعزّ عند المعاصي:

* قال عون بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٢٣): كانوا يقولون: ذلوا عند الطاعة، وعزوا عند المعصية^(١). [تهذيب الحلية (٢/٩٧)]



(١) أي: ينبغي للمؤمن أن يكون ذليلاً لله عند قيامه بالطاعة، حتى لا يُصاب بالعجب والغرور، وأن يكون عزيزاً عندما يوسوس له الشيطان بالمعصية، فإنّ من الذلّ والصغار أن ينقاد له، ومن العز وكبر النفس أن يعصيه ويُخالف هواه.



أضرار المعصية

أ - شؤم المعصية وما ينتج عنها:

* قال ابن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان تعلمه، للخطيئة يعملها. [الزهد لو كيع (٢٦٩)]

* وقال رضي الله عنه: إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن بهلاكها. [ابن أبي الدنيا (٤/٤٣١)]

* وعن جبير بن نفير قال: لما فتحت قبرس فرق بين أهلها فبكي بعضها إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢) جالساً وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله وَعَلَيْكَ إذا تركوا أمره، بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله، فرأيتهم كما ترى. [صفة الصفوة (١/٣٠٣)]

* وعن عائشة رضي الله عنها (ت: ٥٨) قالت: من أسخط الناس برضا الله كفاه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس. [الزهد لأحمد (٣٠٣)]

* وعن حذيفة رضي الله عنه (ت: ٣٦) قال: ما استخف قوم بحق الله وَعَلَيْكَ إلا بعث الله وَعَلَيْكَ عليهم من يستخف بحقهم. [ابن أبي الدنيا (٤/٤٤١)]

* وعن ابن عباس رضي الله عنه (ت: ٦٨) أنه قال: يا صاحب الذنب لا

تأمننّ سوء عاقبته، ولَمَا يَتَّبِع الذَّنْبَ أَعْظَمُ من الذَّنْبِ إِذَا عَمَلْتَهُ، قَلَّةٌ حِيَاثُكَ مِمَّنْ عَلَى الْيَمِينِ وَعَلَى الشَّمَالِ وَأَنْتِ عَلَى الذَّنْبِ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي صَنَعْتَهُ، وَضَحَكَكَ وَأَنْتِ لَا تَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَفَرَحَكَ بِالذَّنْبِ إِذَا عَمَلْتَهُ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَحُزْنُكَ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا فَاتَكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا ظَفَرْتَ بِهِ، وَخَوْفُكَ مِنَ الرِّيحِ إِذَا حَرَكْتُ سِتْرَ بَابِكَ وَأَنْتِ عَلَى الذَّنْبِ، وَلَا يَضْطَرِبُ فَوَادُكَ مِنْ نَظَرِ اللَّهِ إِلَيْكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا عَمَلْتَهُ. [صفة الصفوة (١/٣٧٢)]

* وقال عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٠): إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْحَسَنَةَ، فَاعْلَمْ أَنَّ لَهَا عِنْدَهُ أَخَوَاتٍ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ يَعْمَلُ السَّيِّئَةَ، فَاعْلَمْ أَنَّ لَهَا عِنْدَهُ أَخَوَاتٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ تَدُلُّ عَلَى أُخْتِهَا، وَإِنَّ السَّيِّئَةَ تَدُلُّ عَلَى أُخْتِهَا. [صفة الصفوة (٢/٤٤١)]

* وقال أبو حازم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٠): لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ إِلَّا أَحْسَنَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِبَادِ، وَلَا يُعَوِّرُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَرَبِّكَ إِلَّا أَعَوَّرَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِبَادِ، وَلَمْصَانَعَةٌ وَجْهٌ وَاحِدٌ أَيْسَرُ مِنَ مَصَانَعَةِ الْوُجُوهِ كُلِّهَا، إِنَّكَ إِذَا صَانَعْتَ هَذَا الْوَجْهَ مَالَتْ الْوُجُوهُ كُلُّهَا إِلَيْكَ، وَإِذَا أَفْسَدْتَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ شَتَّتَكَ الْوُجُوهُ كُلُّهَا. [صفة الصفوة (٢/٤٨٩)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يَتَابِعُ نَعْمَهُ عَلَيْكَ وَأَنْتِ تَعْصِيهِ فَاحْذَرِيهِ. [ابن أبي الدنيا (١/٤٧٣)، صفة الصفوة (٢/٤٨٩)]

* وقيل لو هيب بن الورد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦٠): أَيْجِدُ طَعْمَ الْعِبَادَةِ مِنْ يَعْصِي اللَّهِ؟ قَالَ: لَا وَلَا مِنْ يَهْمُ بِالْمَعْصِيَةِ. [صفة الصفوة (٢/٥٣٣)]

* وقال شاب للحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠): أَعْيَانِي قِيَامُ اللَّيْلِ فَقَالَ: قَيْدَتُكَ خَطَايَاكَ. [صفة الصفوة (٣/١٦٦)]

* وقال سليمان التيمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٣): الحسننة نور في القلب وقوة في العمل، والسيئة ظلمة في القلب وضعف في العمل.

[تهذيب الجلية (١/٤٤١)]

* وقال أبو سليمان الداراني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٥): إنما عصى الله وَعَبَّكَ من عَصَاهُ لِهَوَانِهِمْ عَلَيْهِ، ولو كَرُمُوا عَلَيْهِ لَحَجَّزَهُمْ عَنْ مَعَاصِيهِ.

[صفة الصفوة (٤/٤٤٢)]

* وقال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠١): لا تغترّ بتأخير عقوبة الله تعالى عنك، وإنما يُعَجَّلُ مَنْ يخاف الفوت^(١).

[ابن أبي الدنيا (٤/٤٩٧)]

* وقال الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠): إن الفتنة والله ما هي إلا عقوبة من الله وَعَبَّكَ تحل بالناس.

* وعن مالك بن دينار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣١) قال: ما ضرب عبداً بعقوبة أعظم من قسوة القلب.

* وقال أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن لله تعالى عقوباتٍ، فتعاهدوهنّ من أنفسكم في القلوب، والأبدان، وضمنك في المعيشة، ووهن في العبادة، وسخطه في الرزق.

[ابن أبي الدنيا (٤/٤٤٩)، صفة الصفوة (٣/٢٠٤)]

ب - ما قيل في المعاصي، والحذر منها، وفضل من تجنبها:

* قال سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣): إذا أسأت سيئة في سريرة، فأحسن حسنة في سريرة، وإذا أسأت سيئة في علانية، فأحسن

(١) أي: إنما يُعَجَّلُ بالعقوبة مَنْ يخاف فوت الجاني والمخطئ، فأما من كانت الأشياء

في قبضته وملكه فليس يُعَجَّلُ فيها.

حسنة في علانية لكي تكون هذه بهذه. [صفة الصفوة (١/٢٥٨)]

* وعن عائشة رضي الله عنها (ت: ٥٨) قالت: من سرّه أن يسبق الدّائب المجتهد فليكف نفسه عن الذنوب؛ فإنكم لن تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب.

* وسئل ابن عباس رضي الله عنهما (ت: ٦٨) عن الرجل يجتهد في العمل ويصيب من الذنوب، ورجل لا يجتهد ولا يذنب؟ قال: السلامة أحبّ إليّ. [الزهد لأبي داود (٢٩٠)]

* وعن مجاهد رضي الله عنه (ت: ١٠٤) قال: مررت مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (ت: ٧٣) بخربة فقال: يا مجاهد، ناده: يا خربة، أين أهلك؟ قال: فناديت، فقال ابن عمر: ذهبوا، وبقيت أعمالهم.

[الزهد لابن المبارك (٥٩٣)]

* وكان أبو مسلم الخولاني رضي الله عنه (ت: ٦٢) إذا أتى خربة وقف عليها ثم قال: يا خربة أين أهلك؟ ذهبوا وبقيت أعمالهم، انقطعت الشهوة وبقيت الخطيئة، ابن آدم ترك الخطيئة أهون من طلب التوبة.

[الزهد لأحمد (٦٥١)]

* وقال بعض السلف: لترك دانق^(١) مما يكره الله، أحب إلي من خمس مائة حجة.

[ابن أبي الدنيا (١/١٩٩)]

* وقال الحسن رضي الله عنه (ت: ١١٠): ما عبد العابدون بشيء أفضل من ترك ما نهاهم الله عنه.

[ابن أبي الدنيا (١/١٩٦)]

* وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه (ت: ٢٨٣): ليس من عمل

(١) الدانق: سدس درهم، وهو مال يسير جداً.

بطاعة الله صار حبيبَ الله، ولكن من اجتنب ما نهى عنه الله صار حبيب الله .

ولا يجتنب الآثام إلا صديق مقرب .

وأما أعمال البر يعملها البر والفاجر . [تهذيب الحلية (٣/٣٣٧)]

* وقال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠١): إن الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة ولكن إذا عمل المنكر جهاراً استحقوا العقوبة كلهم . [الزهد لأحمد (٤٩٦)]

* وقال بلال بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٢٠) لا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ، وَلَكِنْ انظُرْ مَنْ عَصَيْتَ . [الزهد لابن المبارك (٦٤)]

* وقال عليُّ بن حَشْرَم: ما رأيتُ بيد وكيع بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٩٧) كتاباً قطُّ، إنما هو حِفْظٌ، فسألته عن أدوية الحِفْظِ، فقال: إن عَلِمْتُكَ الدِّوَاءَ اسْتَعْمَلْتَهُ؟ قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ؟ قَالَ: تَرَكُ الْمَعَاصِي، مَا جَرَّبْتُ مِثْلَهُ لِلْحِفْظِ . [تهذيب السِّير (٢/٨١٠)]

* وقال الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤):

شَكُوتٌ إِلَى وَكَيْعٍ سُوءِ حِفْظِي فَأُرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وَأُخْبِرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ وَنُورُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِعَاصِي

[ديوان الشافعي (١٠٦)]

ج - نظرة السلف للمعصية وللعاصي :

* كان رجلٌ على حالٍ حسنة، فأذنب ذنباً، فرفضه أصحابه ونبذوه، فبلغ إبراهيم النخعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٦)، فقال: تداركوه وعظوه ولا تدعوه . [صفة الصفوة (٣/٦١)]

* وقال بعض السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: من نظر إلى الخلق بعينه طالت خصومته معهم؛ ومن نظر إليهم بعين الله عذرهم فيما هم فيه، وقلَّ اشتغاله بهم. [تهذيب الجلية (٣/٣٥٩)]

* وقال الوزير ابن هبيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٥٦٠): لولا الظلم الجائر: ما حصلت الشهادة للشهيد، ولولا أهل المعاصي ما بانت بلوى الصابر في الأمر بالمعروف، ولو كان المجرمون ضعفاءً لقهروا فلم يحصل ذلك المعنى. [ذيل الطبقات (٢/١٥٧)]

د - الستر على العاصي، وعدم إفشاء معصيته:

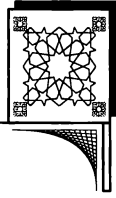
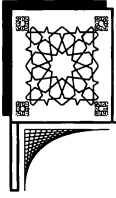
* كان شرحبيل بن السمط على جيش فقال: إنكم نزلتم أرضاً فيها نساء وشراب، فمن أصاب منكم حدًّا فليأتنا حتى نطهره، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فكتب إليه: «لا أم لك، تأمر قوماً ستر الله عليهم أن يهتكوا ستر الله عليهم! [الزهد لوكيع]

* وعن طارق بن شهاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلاً خطب إليه ابنة له، وكانت قد أحدثت له، فجاء إلى عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فذكر ذلك له فقال عمر: ما رأيت منها؟ قال: ما رأيت إلا خيراً، قال: فزوجها ولا تخبر.

[مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١٠٦٨٩)]

* وقال بعض السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قال: كان يقال: من سمع بفاحشة فأفشاها كان فيها كالذي بدأها. [الزهد لوكيع (٤٥)]





محاسبة النفس

أ - أهمية وفضل محاسبة النفس :

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت : ٢٣) : زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة : ١٨] .
[تهذيب الحلية (١/٧٢)]

* وقال السري السقطي رحمته الله (ت : ٢٥١) : من حاسب نفسه استحيا الله من حسابه .
[صفة الصفوة (٢/٦٣٠)]

* وعن الحسن البصري رحمته الله (ت : ١١٠) قال : إن المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله ويعتقك ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ، إن المؤمن يَفَجَّؤهُ الشيءُ يعجبه فيقول : والله إنني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي ، ولكن والله ما من صلة إليك ، هيهات هيهات ، حيل بيني وبينك . ويفرط منه الشيء ، فيرجع إلى نفسه ، فيقول : ما أردت إلى هذا . ما لي ولهذا؟ والله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله ، إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن ، وحال بينهم وبين هلكتهم . إن المؤمن أسيرٌ في الدنيا يسعى في فكاك رقبته لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله ويعتقك ، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه . [صفة الصفوة (٣/١٦٥ - ١٦٦)]

* وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن الرجل كان يشاك الشوكة يقول: إني لأعلم أنك بذنب وما ظلمني ربي رَجَلًا .
[الزهد لأحمد (٤٧٧)]

ب - توجيهات ونصائح في محاسبة النفس :

* قال الربيع بن خثيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت : ٩٠) : إذا تكلمت فاذكر سَمَعَ اللهُ إليك، وإذا هممت فاذكر عِلْمَهُ بك، وإذا نظرت فاذكر نَظْرَهُ إليك، وإذا تفكرت فاذكر اِطْلَاعَهُ عليك، فإنه يقول تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].
[صفة الصفوة (٣/٤٦)]

* وعن ميمون بن مهران رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت : ١١٧) قال: لا يكون الرجلُ تقياً حتى يكونَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ مَحَاسِبَةً مِنَ الشَّرِيكِ لِشَرِيكِهِ، وَحَتَّى يَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ وَمَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ .

[الزهد لنهاد (١٢٢٨)]، [تهذيب السَّير (٤/٤١٤)] واللفظ له

* وقال ابن المُقَفَّع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت : ١٤٤) : على العاقل أن يُحصي على نفسه مساويها في الدين، وفي الأخلاق، وفي الآداب، فيجمع ذلك كله في صدره، أو في كتاب، ثم يكثر عرضه على نفسه، ويكلفها إصلاحه، ويوظف ذلك عليها توظيفاً من إصلاح الخلة والخلتين والخلال في اليوم أو الجمعة أو الشهر .

فكلما أصلح شيئاً محاه، وكلما نظر إلى محو استبشر، وكلما نظر إلى ثابت اكتأب^(١) .
[الأدب الصغير (١٦ - ١٧)]

ج - قصص ووقائع في محاسبة النفس :

* رأى عمر أبا بكر (ت : ١٣) وهو مدل لسانه آخذه بيده

(١) هذه طريقة ناجحة مجرّبة .

فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ فقال: وهل أوردني الموارد إلا هذا. [الزهد لأحمد (٢١٨)]

* وعن أنس بن مالك قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣) يوماً - وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعتة وهو يقول وبينني وبينه جدار وهو في جوف الحائط -: عمر أمير المؤمنين بخ بخ والله بُنيَّ الخطاب لتتقين الله أو ليعذبنك. [الزهد لأحمد (٢٢٣)، الزهد لأبي داود (٧٣)]

* وعن سلمة بن منصور، عن مولى لهم كان يصحب الأحنف بن قيس رضي الله عنه (ت: ٧٢) قال: كنت أصحبه، فكان عامّة صلّاته بالليل الدعاء.

وكان يجيء إلى المصباح فيضع أصبعه فيه ثم يقول: يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟. [صفة الصفوة (٣/١٤٠)]

* واستطال رجلٌ على أبي معاوية الأسود رضي الله عنه (ت: ٢٠٨) فقال: أستغفر الله من الذنب الذي سلّطت به عليّ. [عيون الأخبار (١/٣٢٦)]

* ومر حسان بن أبي سنان رضي الله عنه (ت: ١٥١) بغرفة فقال: مذ كم بنيت هذه؟ قال: ثم رجعت إلى نفسي فقال: وما عليك مذ كم بنيت، تسألين عما لا يعينك. [تهذيب الحلية (١/٤٧٢)]

* وكان رجلٌ يتبع سفيان الثوري رضي الله عنه (ت: ١٦١)، فيجده أبدأً يخرج من لبنة رقعةً ينظر فيها، فأحب أن يعلم ما فيها، فوقع في يده الرقعة، فإذا فيها مكتوب: سفيان اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى.

[تهذيب الحلية (٢/٣٧٤)]

* وعن أبي سليمان الداراني رضي الله عنه (ت: ٢٠٥) أنه قال: سمعت

أبا جعفر المنصور يبكي في خطبته يوم الجمعة سمعت أبا جعفر المنصور يبكي في خطبة قال: فأشعلني الغضب وحضرتني نية في أن أقوم إليه فأكلمه بما سمعت من كلامه وبما أعرف من فعله إذا نزل.

ثم تفكرت في أن أريد أقوم إلى الخليفة فأعظه والناس جلوس، فيرمقوني بأبصارهم، فيدخلني التزُّين، فيأمر بي فيقتلني، فأقتل على غير تصحيح، فجلست وسكنت. [الحلِّية (٢٧٢/٩)]

* وقال السري السقطي رحمته الله (ت: ٢٥١): خفيت عليّ علة ثلاثين سنة، وذلك أنا كنا جماعة ن بكر إلى الجمعة، ولنا أماكن قد عرفت بنا، لا نكاد أن نخلو عنها، فمات رجل من جيراننا يوم الجمعة، فأحببت أن أشيع جنازته، فشيعتها وأضحيت عن وقتي، ثم جئت أريد الجمعة، فلما أن قربت من المسجد، قالت لي نفسي: الآن يرونك وقد أضحيت، وتخلفت عن وقتك، فشق ذلك عليّ، فقلت لنفسي: أراك مرآية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري؟ فتركت ذلك المكان الذي كنت آتية، فجعلت أصلي في أماكن مختلفة لئلا يعرف مكاني هذا أو نحوه.

[تهذيب الحلِّية (٢٩٠/٣)]

د - أهمية معرفة عيوب النفس وأفاتها، وترك عيب الناس:

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣): لا تشغلوا أنفسكم بذكر الناس فإنه بلاء، وعليكم بذكر الله فإنه رحمة. [ابن أبي الدنيا (٣٥٩/٤)]

* وقال أيضاً رضي الله عنه: أحبُّ الناس إليّ من أهدى إليّ عيوبي.

[عيون الأخبار (٤١٠/٢)]

* وقال أبو هريرة رضي الله عنه (ت: ٥٩): يبصر أحدكم القذاة في عين

أخيه وينسى الجذع في عينه. [الزهد لأحمد (٣٢٣)]

* وقال بلال بن سعد رضي الله عنه (ت: ١٢٠): ذُكِرَ حَسَنَاتِكَ وَنَسِيَانُكَ سَيِّئَاتِكَ غِرَّةً.
[صفة الصفوة (٤/٤٣٥)]

* وقال الحسن البصري رضي الله عنه (ت: ١١٠): يَا بَنَ آدَمَ إِنَّكَ لَا تَصِيبُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى لَا تَعِيبَ النَّاسَ بَعِيبَ هُوَ فَيْكَ، وَحَتَّى تَبْدَأَ بِصَلَاحِ ذَلِكَ الْعَيْبِ مِنْ نَفْسِكَ فَتَصْلِحْهُ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ لَمْ تَصْلِحْ عَيْبًا إِلَّا وَجَدْتَ عَيْبًا آخَرَ لَمْ تَصْلِحْهُ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كَانَ شِغْلَكَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَنْ كَانَ كَذَلِكَ.

[صفة الصفوة (٣/١٦٥)، ابن أبي الدنيا (٧/١٣٨)]

* وقال عون بن عبد الله رضي الله عنه (ت: ١٢٣): مَا أَحْسَبُ أَحَدًا تَفَرَّغَ لِعَيْبِ النَّاسِ إِلَّا مِنْ غَفْلَةٍ غَفَلَهَا عَنْ نَفْسِهِ.
[تهذيب الجلية (٢/٩٨)]

* وروي عن بعض السلف أنه قال: أَدْرَكَتْ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِيُوبٌ، فَذَكَرُوا عِيُوبَ النَّاسِ، فَذَكَرَ النَّاسُ لَهُمْ عِيُوبًا، وَأَدْرَكَتْ قَوْمًا كَانَتْ لَهُمْ عِيُوبٌ، فَكَفُّوا عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ، فَنَسِيتْ عِيُوبَهُمْ أَوْ كَمَا قَالَ.

[جامع العلوم والحكم (٤٥١)]

* وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (ت: ١٠١) لَمُزَّاحِمَ مَوْلَاهُ: إِنَّ الْوُلَاةَ جَعَلُوا الْعِيُونَ عَلَى الْعَوَامِ وَأَنَا أَجْعَلُكَ عَيْنِي عَلَى نَفْسِي، فَإِنْ سَمِعْتَ مِنِّي كَلِمَةً تَرَبُّبًا بِي عَنْهَا أَوْ فَعَالًا لَا تُحِبُّهُ فِعْظُنِي عِنْدَهُ وَأَنْهِنِي عَنْهُ.

[عيون الأخبار (٢/٤١٦)]

* وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه (ت: ١٨٧): يَكُونُ شِغْلَكَ فِي نَفْسِكَ، وَلَا يَكُونُ شِغْلَكَ فِي غَيْرِكَ، فَمَنْ كَانَ شِغْلُهُ فِي غَيْرِهِ فَقَدْ مُكِّرَ

[تهذيب الجلية (٣/٢٠)]

* وقال السري السقطي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٥١): مِنْ علامة الاستدراج،
العمى عن عيوب النفس. [صفة الصفوة (٢/٦٢٧)]

* وقال أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا يطلع على عثرات الخلق إلا جاهل، ولا
يهتك ستر ما اطلع عليه إلا ملعون. [تهذيب الحلية (٣/٣٣٦)]

هـ - مجاهدة النفس:

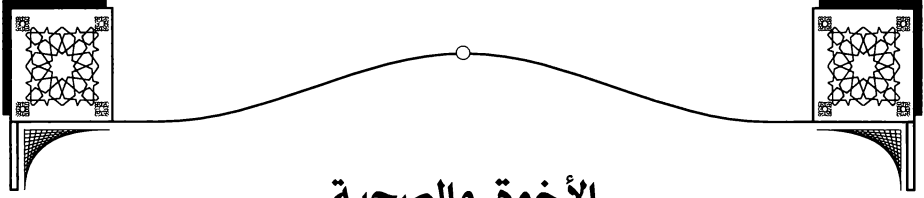
* قال أبو مسلم الخولاني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٦٢): أُرأيتُمْ نفساً إذا
أكرمَتْها ونعمَتْها ذمّني غداً عند الله، وإن أنا أهنتُها وأنصبتُها وأعملتُها
مدَحْتني عند الله غداً؟ قالوا: مَنْ تيك يا أبا مسلم؟ قال: تِلْكَ والله
نفسي. [صفة الصفوة (٤/٤٢٩)]

* وقال قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٨): ابن آدم إن كنت لا تريد أن تأتي
الخير إلا بنشاط، فإنَّ نفسك إلى السَّامة وإلى المملل أميل، ولكنَّ المؤمنَ
هو المتحامل، والمؤمن المتقوى، وما زال المؤمنون يقولون ربنا ربنا في
السر والعلانية حتى استجاب لهم. [تهذيب الحلية (١/٤٠٨)]

* وقال: محمد بن المنكدر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٠): كابدتُ نفسي
أربعين سنة حتى استقامت. [صفة الصفوة (٢/٤٧٩)]

* وقال أبو يزيد البسطامي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٧٠): دعوت نفسي إلى الله
فأبت عليّ واستصعبت، فتركها ومضيت إلى الله. [تهذيب الحلية (٣/٢٤٨)]





الأخوة والصحبة

أ - فضل الأخوة والصحبة في الله، والإحسان إليهم:

* عن ابن عباس رضي الله عنهما (ت: ٦٨) قال: أَحَبُّ في الله، وأَبْغَضُ في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك، ولا يجد عبدٌ طعم الإيمان وإن كثرت صلواته وصيامه حتى يكون كذلك.

[ابن ابي الدنيا (١٥٧/٨)]

* وعن كعب الأخبار رضي الله عنه (ت: ٣٢): قال: رب قائم مشكور له، ورب نائم مغفور له، وذلك أن الرجلين يتحابان في الله، فقام أحدهما يصلي، فرضي الله صلواته ودعائه، فلم يرد عليه من دعائه شيئاً، فذكر أخاه ذلك في دعائه من الليل، فقال: يا رب أخي فلان اغفر له فغفر الله له وهو نائم.

[تهذيب الحلية (٢٥٣/٢)]

* وقال ابن المُقَفَّع رضي الله عنه (ت: ١٤٤): من المعونة على تسليمة الهموم، وسكون النفس: لقاء الأخ أخاه، وإفضاء كل واحد منهما إلى صاحبه بيته.

وإذا فُرِّق بين الأليف وأليفه: فقد سلب قراره، وحُرم سروره.

[الأدب الصغير (٢٠)]

* وقال رضي الله عنه: اعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا، هم

زينة في الرخاء، وعُدَّة^(١) في الشدة، ومعونة على خير المعاش والمعاد^(٢)، فلا تفرطن في اكتسابهم، وابتغاء الوُصلات والأسباب إليهم^(٣).

[الأدب الكبير (١٠٢)]

* وقال محمد بن سوقة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣٠): ما استفاد رجل أخاً في الله إلا رفعه الله بذلك درجة.

[تهذيب الحلية (١٢٩/٢)]

* وعن عليّ بن الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٨) قال: فقد الأحبة غربة.

[تهذيب السيرة (٥٥٤/٢)]

* وقال القاسم بن محمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠): قد جعل الله في الصديق البارّ عَوْضاً عن الرَّجْمِ المُدْبِرَةِ.

[عيون الأخبار (٩٠/٣)]

* وعن مكحول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٢) قال: من أحب رجلاً صالحاً فإنما أحب الله.

[تهذيب الحلية (١٨١/٢)]

* وقال محمد بن يوسف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٢٠) - وذكر الإخوان - فقال: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقسمون ميراثك، وهو قد تفرد بجدتك^(٤)، يدعو لك وأنت بين أطباق الأرض.

[تهذيب الحلية (٥٤/٣)]

* وعن أبي زرعة بن عمرو بن جرير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩١) قال: ما تحاب رجلان في الله رَجَبًا إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه.

[الزهد للإمام أحمد (٦٣٠)]

(١) العدة: ما أعدته لحوادث الدهر من مال وسلاح.

(٢) المعاش والمعاد: الحياة الدنيا والآخرة.

(٣) الوصلة: الاتصال، الأسباب، جمع سبب: وهو كل ما ربط به شيء بآخر من حبل ونحوه.

(٤) أي: قَبْرِك.

ب - قصص ومواقف في الإحسان إلى الأخص والصديق :

* عن أمّ الدرداء قالت: كان لأبي الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢) ست وثلاث مئة خليل في الله، يدعو لهم في الصلاة، فقلت له في ذلك، فقال: إنه ليس رجل يدعو لأخيه في الغيب إلا وكَّلَ الله به ملكين يقولان: ولك بمثل، أفلا أرغب أن تدعو لي الملائكة؟.

[تهذيب السير (١/٢٧٣)]

* وقال كعب بن مالك رضي الله عنه في حديثه حين تخلَّفَ عن رسول الله ﷺ عن غزوة تبوك، فتاب الله عليه: وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً، يهنوني بالتوبة يقولون: لتهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، فإذا برسول الله ﷺ حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه (ت: ٣٦) يهرول، حتى صافحني وهناني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره، لا أنساها لطلحة.

[صحیح البخاري (٤٤١٨)]

* وطلب ابن أخي محمد بن سودة رضي الله عنه (ت: ١٣٠) منه شيئاً فبكى، فقال له: والله يا عمّ لو علمت أن مسألتي تبلغ منك هذا ما سألتك، قال: ما بكيت لسؤالك، إنما بكيت؛ لأنني لم أبتدئك قبل سؤالك.

[صفة الصفوة (٣/٨٢)]

* وعن مطرف بن الشخير رضي الله عنه (ت: ٩٥) أنه قال لبعض إخوانه: يا أبا فلان إذا كانت لك حاجة فلا تكلمني واكتبها في رُقعة فإني أكره أن أرى في وجهك ذل السؤال.

[تهذيب السير (٣/١٦٠)]

* وأقام طاووس رضي الله عنه (ت: ١٠٦) على رفيق له مريض حتى فاته

[تهذيب الجلية (٢/٣٠)]

الحج.

ج - الصبر عليهم، والتجاوز عن تقصيرهم، والتماس العذر لهم:

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣): لا تظنَّ بكلمة خرجت

من فيّ مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً. [ابن أبي الدنيا (٧/٥٢٦)]

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه (ت: ٩٣) في قول الله تبارك وتعالى:

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُقْنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقْنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ

عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٤ - ٣٥] قال: الرجل يشتمه أخوه، فيقول: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك. [ابن أبي الدنيا (٧/٥٢٥)]

* وكان بين سعد بن أبي وقاص (ت: ٦٠) وخالد بن الوليد

(ت: ١٨) رضي الله عنه كلام، فذهب رجلٌ يقع في خالد عند سعد، فقال: مه،

إن ما بيننا لم يبلغ ديننا. [ابن أبي الدنيا (٤/٣٩٨)]

* وعن أبي قلابة رضي الله عنه (ت: ١٠٤) قال: إذا بلغك عن أخيك

شيء تكرهه، فالتمس له العذر جُهدك، فإن لم تجد له عذراً، فقل في

نفسك: لعل لأخي عذراً لا أعلمه. [ابن أبي الدنيا (٧/٥٢٥)]

* وعن يونس بن عبد الأعلى قال: قال لي الشافعي رضي الله عنه (ت:

٢٠٤): يا يونس إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه، فإياك أن تبادره

بالعداوة وقطع الولاية، فتكون ممن أزال يقينه بشك، ولكن القه وقل له:

بلغني عنك كذا وكذا، واحذر أن تسمي له المُبلِّغ، فإن أنكر ذلك، فقل

له: أنت أصدق وأبر لا تزیدن على ذلك شيئاً، وإن اعترف بذلك فرأيت

له في ذلك وجهاً لعذر، فاقبل منه، وإن لم تر ذلك، فقل له: ماذا أردت

بما بلغني عنك؟ فإن ذكر ما له وجه من العذر فاقبل منه، وإن لم تر

لذلك وجهاً لعذر وضاق عليك المسلك، فحينئذ أثبتها عليه سيئة، ثم

أنت في ذلك بالخيار: إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه، والعمو أقرب للتقوى وأبلغ في الكرم لقول الله تعالى: ﴿وَحَزْرًا وَسَيِّئَةً سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فاذكر فيما سبق له لديك من الإحسان فعدها، ثم ابدر له إحساناً بهذه السيئة، ولا تبخسن باقي إحسانه السالف بهذه السيئة، فإن ذلك الظلم بعينه.

يا يونس إذا كان لك صديق فشد يديك به، فإن اتخاذا الصديق صعب ومفارقته سهل^(١).

[صفة الصفوة (٢/٥٥٣)]

* وتوفي ابن ليونس بن عبيد رحمهما الله تعالى (ت: ١٣٩) فقيل له: إن ابن عون لم يأتك!

فقال: إنا إذا وثقنا بمودة أخ لا يضرنا ألا يأتينا!

[شعب الإيمان (٨٠٤١)]

د - نصائح وتوجيهات للصديق:

* عن بكر بن عبد الله المزني رضي الله عنه (ت: ١٠٨) قال: تذلل المرء لإخوانه، تعظيم له في أنفسهم.

[تهذيب الحلية (١/٣٧١)]

* وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه (ت: ٢٥٨): ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تُفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تدممه.

[الزهد للخطيب (١١٤)]

* وعن جعفر بن برقان قال: قال لي ميمون بن مهران رضي الله عنه (ت: ١١٧): يا جعفر! قل لي في وجهي ما أكره، فإن الرجل

(١) ما أجل كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه هذا، وما أحرى كل إنسان بأن يحفظه ويعمل به.

لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره. [تهذيب الحلية (٢/٥٤)]

* وصدق الشاعر:

وقد رمى بك في تيهاء مهلكة مَنْ بات يَكتُمك العيب الذي فيكَ

* وقال محمد بن سيرين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠): لا تكرم أخاك بما

يكره. [الزهد لأحمد (٥١٥)]

* وقال مالك بن دينار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣١): كل أخ وجليس

وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيراً فانبذ عنك صحبته.

[تهذيب الحلية (٢/٣٣٤)]

* وقال بعض الحكماء: لا تكن في الإخاء مكثراً ثم تكون فيه

مدبراً؛ فيعرف سَرَكَ في الإكثار بجفائك في الإدبار.

[المجالسة وجواهر العلم (١٨٠)]

* وقال الإمام مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩): عليك بمجالسة من يزيد

في علمك قوله، ويدعوك لحال الآخرة فعله، وإياك ومجالسة من يعلِّك

قوله، ويعيبك دينه، ويدعوك إلى الدنيا فعله. [ترتيب المدارك (١/١٨٠)]

• وقال الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤): لا تقصر في حق أخيك

اعتماداً على موَدَّته. [طبقات الشافعيين (١/٦٥)]

* وقال السري السقطي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٥١): لا تصحب الأشرار،

ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأختيار. [تهذيب الحلية (٣/٢٨٩)]

* وقال ابن المُقَفَّع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٤٤): إذا أقبل إليك مُقبِل بوَدّه

فسرك ألا يدبر عنك، فلا تُنعم الإقبال عليه^(١)، والفتِّح له، فإنَّ الإنسان

(١) أي: لا تبلغ في الإقبال عليه.

طبع على ضرائب^(١) لؤم، فمن شأنه أن يرحل عنن لصق به، ويلصق بمن رحل عنه، إلا من حفظ بالأدب نفسه، وكابر طبعه.

[الأدب الكبير (٩٦)]

هـ - فوائد أخرى:

* سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣) رجلاً يشني على رجل فقال: أسافرت معه؟ قال: لا.

قال: أخالطته؟ قال: لا.

قال: والله الذي لا إله غيره ما تعرفه. [ابن أبي الدنيا (٣٢٩/٧)]

* وعن مالك بن دينار رضي الله عنه (ت: ١٣١) قال: كل جليس لا تستفيد منه خيراً فاجتنبه. [تهذيب الجلية (١/٤٢٥)]

* وعن الزهري رضي الله عنه (ت: ١٢٤) قال: إذا طال المجلس، كان للشيطان فيه نصيب. [تهذيب السير (٦٠٧/٢)]

* وعن مجاهد رضي الله عنه (ت: ١٠٤) قال: ثلاثٌ يُصْفِينَ لَكَ وَدَّ أَخِيكَ: أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه.

وثلاثٌ من العي: أن تعيب على الناس ما تأتي، وأن ترى من الناس ما يخفى عليك من نفسك، وأن تؤذي جليسك فيما لا يعينك.

[عيون الأخبار (١٣/٣)]



تقوى الله وأثرها على المسلم

* قال علي رضي الله عنه (ت: ٤٠): كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل، فإنه لن يقلَّ عمل مع التقوى، وكيف يقل عمل يتقبل؟
[تهذيب الحلية (٨١/١)]

* وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢) في قوله تعالى: ﴿حَقَّ تَقَاتِرُهُ﴾ [آل عمران: ١٠٢]: يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.
[الزهد لأبي داود (١٤٧)]

* وعن عائشة رضي الله عنها (ت: ٥٨) أنها كتبت إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: إنك إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئاً، فاتق الله.
[الزهد لأبي داود (ص ٢٨١)]

* وقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه (ت: ٧٣): إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم: من صبر على البلاء، ورضي بالقضاء، وشكر النعمة، وذلَّ لحكم القرآن.
[الزهد لأبي داود (٣٢٥)]

* وعن قتادة رضي الله عنه (ت: ١١٨) قال: من يتق الله يكن الله معه، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تُغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضلّ.
[صفة الصفوة (٣/١٨٥)]

* وَلَمَّا كَانَتْ فِتْنَةُ ابْنِ الْأَشْعَثِ قَالَ طَلِقَ بَنِي حَبِيبٍ رضي الله عنهم
(ت: ٨٢): اتَّقَوْهَا بِالتَّقْوَى.

فقيل له: صف لنا التقوى؟ فقال: التقوى عَمَلٌ بطاعة الله، على نور من الله، رجاء رحمة الله، وترك معصية الله، على نور من الله، خيفة عقاب الله. [الزهد لابن المبارك (١٠٥٤)]

قال الذهبي رحمته الله (ت: ٧٤٨): أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بترواً من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله. لا يقال فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون التَّركُ خوفاً من الله، لا لِيُمدَحَ بتركها، فمن داوم على هذه الوصية فقد فاز. [تهذيب السير (٥٦٦/٢)]

* وعن سلام بن أبي مطيع أو غيره قال: ما كان يونس بن عبيد رحمته الله (ت: ١٣٩) بأكثرهم صلاةً ولا صوماً، ولكن لا والله ما حضر حق لله إلا وهو متهيئٌ له. [تهذيب السير (٦٥٢/٢)]

* وقال عمر بن عبد العزيز رحمته الله (ت: ١٠١): التقى مُلجَم، لا يستطيع كل ما يريد. [شعب الإيمان (٥٤٠٤)]

* وعن داود الطائي رحمته الله (ت: ١٧٠): قال: ما أخرج الله عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى، إلا أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وأنسه بلا أنيس. [تهذيب الحلية (٤٦٦/٢)]



الاعتذار والرجوع إلى الحق

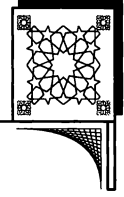
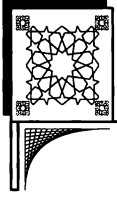
* كان أبو هريرة رضي الله عنه (ت: ٥٩) يقول: مَنْ أَصْبَحَ جُنْبًا أَفْطَرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ.

فَسُئِلَتْ عَائِشَةُ (ت: ٥٨) وَأُمُّ سَلَمَةَ (ت: ٦١) رضي الله عنهما عن ذلك فَقَالَتَا: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُصْبِحُ جُنْبًا ثُمَّ يَصُومُ.
فَأَخْبَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ بِمَا قَالَتَا فَقَالَ: هُمَا أَعْلَمُ، وَرَجَعَ عَمَّا كَانَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ.

* وقال ابن كثير رضي الله عنه: سئل عبد الله بن الحسن رضي الله عنه (ت: ٦٨) عن مسألة فأخطأ في الجواب، فقال له قائل: الحكم فيها كذا وكذا فأطرق ساعة، ثم قال: إذا أرجع وأنا صاغر، لأن أكون ذنباً في الحق أحب إلي من أن أكون رأساً في الباطل. [البداية والنهاية (١٠/٢١٧)]

* وقال رضي الله عنه: صنف الحافظ عبد الغني كتاباً فيه أوهام الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥) رحمهما الله، فلما وقف عليه الحاكم جعل يقرؤه على الناس، ويعترف لعبد الغني بالفضل، ويشكره على ذلك، ويرجع إلى ما أصاب فيه من الرد عليه، رحمهما الله. [البداية والنهاية (١٢/٧٥)]

• وأفتى عز الدين بن عبد السلام رضي الله عنه (ت: ٦٦٠) بفتيا، ثم ظهر له أنه أخطأ، فنأدى في مصر والقاهرة على نفسه: من أفتى له فلان بكذا فلا يعمل به فإنه خطأ. [طبقات المفسرين للداوودي (١/٣٢٢)]



ذم الحمقى واللئام

* قال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠١) لجلسائه: أخبروني بأحمق الناس؟ قالوا: رجل باع آخرته بدينياه، فقال عمر: أو أنبيئكم بأحمق منه؟ قالوا: بلى، قال: رجل باع آخرته بدينياه غيره.

[تهذيب الجلية (٢/٢٣٢)]

* وقال وهب بن منبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٤): الأحمق إذا تكلم فضحه حمقه، وإذا سكت فضحه عيئه، وإذا عمل أفسد، وإذا ترك أضاع، لا علمه يعينه، ولا علم غيره ينفعه، تَوَدُّ أُمَّهُ أَنَّهَا تَكَلَّمَتْ، وامرأته لو عَدِمَتْهُ، ويتمنى جاره منه الوحدة، ويجد جليسه منه الوحشة. [تهذيب السير (٢/٥٥٥)]

* وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦١): وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام. [تهذيب الجلية (٢/٣٧٢)]

* وقال ابن السَّمَاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٣): هِمَّةُ الْعَاقِلِ فِي النِّجَاةِ وَالْهَرَبِ، وَهِمَّةُ الْأَحْمَقِ فِي اللَّهْوِ وَالطَّرْبِ. [تهذيب السير (٢/٧٦١)]



حال السلف في باب المناظرة

* سئل سلمان بن ربيعة عن فريضة، فخالفه عمرو بن شرحبيل، فغضب سلمان بن ربيعة ورفع صوته، فقال عمرو بن شرحبيل: والله لكذلك أنزلها الله تعالى!

فأتيا أبا موسى الأشعري رضي الله عنه (ت: ٥٢) فقال: القول ما قال أبو ميسرة، وقال لسلمان: ما كان ينبغي لك أن تغضب إن أرشدك رجل، وقال لعمرو: قد كان ينبغي لك أن تساره ولا ترد عليه والناس يسمعون. [تهذيب الحلية (٧٠/٢)]

* ولما دخل حاتم الأصم رضي الله عنه (ت: ٢٣٧) بغداد اجتمع إليه أهلها فقالوا له: أنت رجل أعجمي، ليس يكلمك أحد إلا قطعته لأي معنى؟ قال حاتم: معي ثلاث خصال، أظهر بها على خصمي، قالوا: ما هي؟ قال: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي أن لا أتجهل عليه. [الحلية (٨٠/٨)]

* وقال الشافعي رضي الله عنه (ت: ٢٠٤): ما ناظرت أحداً فأحببت أن يُخطئ.

* وقال أيضاً رضي الله عنه: ما ناظرت أحداً قط إلا على النصيحة.

[تهذيب الحلية (١٢٦/٣)]



الحكمة، وحسن التصرف، ولطف الكلام

* قال معاوية رضي الله عنه (ت: ٦٠): لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت.

قيل: وكيف ذلك؟ قال: كنت إذا مدّوها خلّيتها وإذا خلّوها مددتها. [عيون الأخبار (١/٥٣)]

* ووقفت عجوزٌ على قيس بن سعد رضي الله عنه (ت: ٦٠) فقالت: أشكو إليك قلة الجردان!

قال: ما أحسن هذه الكناية! املؤوا بيتها خبزاً ولحمًا وسمناً وتمراً. [عيون الأخبار (٣/١٣٠)]

* وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه (ت: ١٠٠) قال: ليس الرجل الذي إذا وقع في الأمر تخلص منه، ولكن الرجل يتوقى الأمور حتى لا يقع فيها. [ابن أبي الدنيا (٦/٤٧٨)]

* وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (ت: ١٠١): إني لأجمع أن أخرج للمسلمين أمراً من العدل فأخاف أن لا تحتمله قلوبهم فأخرج معه طمعاً من طمع الدنيا، فإن نفرت القلوب من هذا سكنت إلى هذا.

[عيون الأخبار (١/٥٣)]

* وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر رضي الله عنه: ما

يمنعك أن تنفذ لرأيك في هذا الأمر؟ فوالله ما كنت أبالي أن تغلي بي وبك القدور في إنفاذ هذا الأمر، فقال عمر: إني أروض الناس رياضة الصعب، فإن أبقاني الله مضيت لرأيي، وإن عجلت على منية فقد علم الله نيتي، إني أخاف إن بادته^(١) الناس بالتي تقول: أن يلجئوني إلى السيف، ولا خير في خير لا يجيء إلا بالسيف. [تهذيب الحلية (٢/٢١٣)]

* وعن الشعبي قال: شهدت شريحاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٨) وجاءته امرأة تخاصم رجلاً، فأرسلت عينيها فبكت، فقلت: أبا أمية ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة، فقال: يا شعبي، إن أخوة يوسف جاءوا أباهم عشاءً يكون. [المنتظم (٦/١٨٥)]

* وكان لإبراهيم بن طهمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦٣) جارية^(٢) من بيت المال فاخرة، فسئل يوماً مسألة في مجلس الخليفة فقال: لا أدري! فقالوا له: تأخذ في كل شهر كذا وكذا ولا تحسن مسألة؟

قال: إنما آخذه على ما أحسن، ولو أخذت على ما لا أحسن لفني بيت المال ولا يفنى ما لا أحسن.

فأعجب أمير المؤمنين جوابه، وأمر له بجائزة فاخرة وزاد في جاريته. [المنتظم (٨/٢٦٥ - ٢٦٦)]

* وقال المنصور ذات يوم لشبيب بن شيبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦٤): عظني وأوجز فقال: يا أمير المؤمنين إن الله لم يرض من نفسه بأن يجعل فوقك أحداً من خلقه، فلا ترض له من نفسك بأن يكون عبداً له أشكر منك، فقال: والله لقد أوجزت. [المنتظم (٨/٢٧٣)]

(١) أي: فاجأت.

(٢) أي: مبلغ من المال.

* وأتى رجلٌ بعضَ الولاية، وكان صديقه، فتشاغل عنه، فترأى له يوماً فقال: اعذرني فإنني مشغول، فقال: لولا الشغلُ ما أتيتك.

[عيون الأخبار (٣/١٢٧)]

* وقال أبو سَمَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٣) لرجلٍ: لم أصنُ وجهي عن الطَّلَبِ إليك، فصنُ وجهك عن ردِّي، وضعني من كرمك بحيثُ وضعتُ نفسي من رجائك.

[عيون الأخبار (٣/١٢٩)]

• وقالَ الإمام أحمد بن حنبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يؤكل الطعام لثلاث: مع الإخوان بالسرور، ومع الفقراء بالإيثار، ومع أبناء الدنيا بالمروءة.

[طبقات الحنابلة (٢/١٤٣)]



حال السلف مع النعم، وشكر المُنعم

أ - حال السلف مع نعم الله وما قيل في ذلك :

* قال أبو الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢): من لم ير لله عليه نعمةً إلا في الأكل والشرب فقد قلَّ فهمه، وحضر عذابه. [الزهد لأبي داود (١٩٨)]

* وقال أيضاً رضي الله عنه: كم من نعمة لله تعالى في عرق ساكن.

[تهذيب الحلية (١/١٦٨)]

* وعن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه قال: خرجنا مع عمر رضي الله عنه (ت: ٢٣) في حج أو عمرة، حتى إذا كنا بشعب ضَجْنَانَ التفت عمر وقال: لقد رأيتني بهذه الشعاب في أجْمَالٍ للخطاب وكان فظاً غليظاً، أحتطب عليها مرة وأختبط^(١) أخرى، فأصبحت اليوم ويضرب الناس بِجَنَابِي^(٢) ليس فوقي أحد إلا الله ثم قال:

لا شيء فيما ترى إلا بشاشته يبقى الإله ويؤدى المأل والولد

[الزهد لأبي داود (٩٥)]

* وعن أبي العالية رضي الله عنه (ت: ٩٣) قال: إني لأرجو أن لا يهلك عبدٌ بين نعمتين: نعمة يحمدهُ الله عليها وذنب يستغفرُ الله منه.

[تهذيب السيرة (١/٤٧٩)]

(١) أي: أضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها.

(٢) أي: بناحيتي.

* وعن عبد الملك بن أبجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٥٠) أنه قال: ما من الناس إلا مُبْتَلَىٰ بِعَافِيَةٍ لِيُنْظَرَ كَيْفَ شَكَرَهُ، أَوْ بِبَلِيَّةٍ لِيُنْظَرَ كَيْفَ صَبَرَهُ.

[المتنم (٨/١٢٥)]

* وقال سفيان بن عيينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٩٨): إن من شكر الله على النعمة أن تحمده عليها، وتستعين بها على طاعته، فما شكر الله من استعان بنعمته على معصيته.

* وقال الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠): إِنَّ اللَّهَ لَيَمْتَعُ بِالنِّعْمَةِ مَا شَاءَ، فَإِذَا لَمْ يُشْكِرْ قَلْبَهَا عَلَيْهِمْ عَذَابًا.

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أكثروا ذكر هذه النعمة فإن ذكرها شكرها.

[ابن أبي الدنيا (١/٤٨٠)]

* وقال بعض السلف: ذكر النعمة يورث الحب لله وَعَلَيْكَ.

[ابن أبي الدنيا (١/٤٧٥)]

* وقال رجلٌ لبعض السلف: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بين نعمتين، لا أدري أيتهما أفضل: ذنوب سترها الله وَعَلَيْكَ فلا يستطيع أن يعيرني بها أحدٌ، ومودةٌ قذفها الله وَعَلَيْكَ في قلب العباد لم يبلغها عملي.

[ابن أبي الدنيا (١/٤٧٨)]

* وقال فضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧): كان يقال: من عرف نعمة الله جلَّ وعز بقلبه، وحمده بلسانه، لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة؛ لقول الله وَعَلَيْكَ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال: كان يقال: من شكر النعمة أن تحدّث بها.

[ابن أبي الدنيا (١/٤٨٣)]

* وعن سفيان الثوري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦١) في قول: ﴿سَسَدْرُهُمْ مِّنْ

حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ [القَلَمَ: ٤٤]، قال: نسبغ عليهم النعم ونمنعهم الشكر.

وقال غير سفيان: كلما أحدثوا ذنباً أحدثت لهم نعمة.

[ابن أبي الدنيا (١/٥٠٤)]

* وقال ابن شوذب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٥٦): اجتمع قوم فتذاكروا أي النعم أفضل؟ فقال رجل: ما ستر الله به بعضنا عن بعض، قال: فيرون أن قول ذلك أرجح. [تهذيب الحلية (٢/٢٨٣)]

* وقال بعض السلف: كن لنعمة الله عليك في دينك أشكر منك نعمة الله عليك في دنياك. [تهذيب الحلية (٢/٣١١)]

* وكان مطرف بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٥) يقول: إن من أحب عباد الله إلى الله الصبار الشكور، الذي إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر. [تهذيب الحلية (١/٣٥٩)]

* وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لأن أعافى فأشكر أحب إلي من أن أبتلى فأصبر. [الزهد لوكيع (٢٠١)]، [الزهد لهناد (٤٤٢)]

* وسئل الجنيد بن محمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٩٧) عن حقيقة الشكر فقال: ألا يُستعان بشيء من نعمه على معاصيه. [تهذيب الحلية (٣/٣٨٠)]

• وقال بشر بن الحارث رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٢٧): تفكرت في بشر النصراني، وبشر اليهودي، وبشر المجوسي، ونفسي، واسمي بشر، فقلت: ما الذي سبق منك إليه حتى خَصَّكَ؟ فتفكرت في تَفْضُّلِهِ عَلَيَّ أَنْ جعلني من خاصَّته وألبَسَنِي لباس أحبَّابه. [طبقات الحنابلة (٢/٥٨٣)]

• وَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٥١٣): فِي الْفُنُونِ: النَّعْمُ أَضْيَافٌ،

وقراها^(١) الشُّكْرُ، والبلايا أضيافُ، وقراها الصَّبْرُ، فاجتهدْ أنْ ترحلَ الأضيافُ شاكرةً حُسنَ القِرَى، شاهدةً بما تسمعُ وترى.

[الأداب الشرعية (١٢٧/٢)]

ب - حال السلف مع من أحسن إليهم من الخلق:

* قال ابن عباس رضي الله عنهما (ت: ٦٨): لو قال لي فرعون: بارك الله

فيك، قلت: وفيك. [الأدب المفرد (٣٨١) وصححه الألباني]

* وقال بعض السلف: إن الرجل ليلقاني بالصحبة الحسنة فأرى أن

سأموت قبل أن أكافئه. [ابن أبي الدنيا (١٩٧/٤)]

* وقال حكيم من الحكماء: أشكرُ الناسَ لله وَعَلَى أشكرُهُم لعباده،

ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، والمكافأة بالإحسان فريضة، والإفضال نافلة. [المجالسة وجواهر العلم (٥٢٩)]



حفظ الوقت

* عن الأوزاعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٥٧) أنه قال: ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيامة يوماً فيوماً وساعة فساعة، فلا تمر به ساعة لم يذكر الله فيها إلا تقطعت نفسه عليها حسرات، فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ويوم مع يوم^(١). [المنتظم (١٩٦/٨)]

* وقال فضيل الرقاشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٠): لا يشغلك كثرة الناس عن نفسك^(٢)؛ فَإِنَّ الأَمْرَ يَخْلُصُ إِلَيْكَ دُونَهُمْ.

وإياك أن تُذهب نهارك تُقَطِّعه ههنا وههنا؛ فإنه محفوظ عليك.

[تهذيب الحلية (١/٤٦٦)]

* وقال أبو سليمان الداراني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٥): كل ما شغلك عن الله وَعَلَيْكَ من أهلٍ ومالٍ أو ولدٍ فهو عليك مَشْؤُومٌ.

[صفة الصفوة (٤/٤٤٢)]

* وقيل للمعافى بن عمران رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٨٤): ما ترى في الرجل يقرض الشعر ويقول: يا له من جوارب عجيب شديد؟

قال: هو عمرك فأفنه فيما شئت^(٣).

[تهذيب الحلية (٣/٧٤)]

(١) وكيف إذا قضى هذه الأيام الساعات في الحرام؟

(٢) كمن يشغل بالأصدقاء أو الأهل أو اللعب المباح، عن إصلاح نفسه وتهذيبها وتعلم ما ينفعه ويُقربه إلى ربه.

(٣) يا له من جوارب عجيب شديد.

* وقال يحيى بن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٥٨): أعظم المصيبة على الحكيم في اليوم أن يمضي عنه، لا يأتيه فيه هدية من ربه - يعني: حكمة جديدة - .
[تهذيب الجلية (٣/٢٥٩)]



ذم الحسد

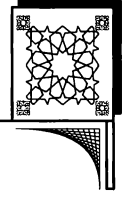
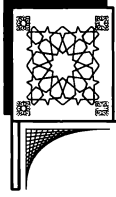
* قال معاوية رضي الله عنه (ت: ٦٠): كلّ الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسدَ نعمةٍ فإنه لا يُرضيه إلا زوالها. [عيون الأخبار (٢/٤٠٧)]

* وقيل للحسن البصري رضي الله عنه (ت: ١١٠): أَيْحَسُدُ الْمُؤْمِنُ؟ فَقَالَ: مَا أَنْسَاكَ إِخْوَةَ يُوسُفَ، وَلَكِنْ عُمَّهُ فِي صَدْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ مَا لَمْ تَعُدْ بِهِ يَدًا وَلِسَانًا. [الزهد لهناد (٢/٦٤٢)]

* وقال بعضهم: الحسدُ أوّلُ ذنبٍ عُصِيَ اللهُ به في السماءِ؛ يعني: حسدَ إبليسَ آدمَ، وأوّلُ ذنبٍ عُصِيَ اللهُ به في الأرضِ؛ يعني: حسدَ ابنِ آدمَ أخاه حتى قتله. [عيون الأخبار (٢/٤٠٨)]

* وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه (ت: ١٨٧): الغبطة من الإيمان، والحسد من النفاق، والمؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط. [تهذيب الحلية (٣/١٤)]





العدل ودم الظلم

* اشترى عمر رضي الله عنه (ت: ٢٣) فرساً من رجل على أن ينظر إليه، فأخذ الفرس فسار به فعطب، فقال لصاحب الفرس: خذ فرسك؟ فقال: لا! قال: فاجعل بيني وبينك حكماً، قال الرجل: شريح، قال: ومن شريح؟ قال: شريح العراقي، قال: فانطلقا إليه فقصا عليه القصة، فقال: يا أمير المؤمنين رد كما أخذته، أو خذ بما ابتعته، فقال عمر: وهل القضاء إلا هذا، سر إلى الكوفة، فإنه لأول يوم عرفه يومئذ.

[تهذيب الحلية (٢/٦٩)]

* وقال لمحمد بن مسلمة رضي الله عنه (ت: ٤٣): كيف تراني يا محمد؟ فقال: أراك والله كما أحب، وكما يحب من يحب لك الخير، أراك قوياً على جمع المال، عفيفاً عنه، عادلاً في قسمه، ولو ملت عدلناك، كما يُعدّل السهم في الثقاف^(١)، فقال عمر: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا ملت عدلوني.

[الزهد لابن المبارك (٤٧٣)]

* ودخل عثمان بن عفان رضي الله عنه (ت: ٣٥) على غلام له يعلف ناقة، فرأى في علفها شيئاً كرهه، فأخذ بأذن غلامه فعرکہا، ثم ندم فقال له: خذ بأذني فاعرکہا، فأبى الغلام، فلم يدعه حتى أخذ بأذنه، فجعل عثمان يقول له: شد، شد، حتى ظن أنه قد بلغ منه مثل ما بلغ منه، قال

(١) الثقاف: ما تسوى به الرماح.

عثمان: واهما^(١) لقصاص الدنيا قبل قصاص الآخرة.

[ابن أبي الدنيا (٦/٢٥٠)]

* وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه (ت: ٣٢): إن أبغض الناس إليّ أن أظلمه الذي لا يستعين عليّ إلا بالله وَعَلَيْكَ.

[الزهد لأبي داود (٢٠١)]

* وقال ابن عباس رضي الله عنه (ت: ٦٨): لو أن جبلاً بغى على جبل لُدك الباغي.

[تهذيب الحلية (١/٢٢٨)]

* وسمع ابن سيرين رضي الله عنه (ت: ١١٠) رجلاً يدعو على من ظلمه، فقال: اقصر يا هذا، لا يَرَبِحَ عليك ظالمك.

[عيون الأخبار (١/١١٩)]

* وكتب عُمرُ بنُ عبد العزيز رضي الله عنه (ت: ١٠١) إلى بعض عماله: أمّا بعدُ، فإذا دَعَتَكَ قُدْرَتُكَ على النَّاسِ إلى ظُلْمِهِمْ، فاذكر قدرة الله تعالى عليك، ونَفَادَ ما تَأْتِي إليهم، وبَقَاءَ ما يَأْتُونَ إليك.

[تهذيب السَّير (٢/٥٨٩)]

* وكان رضي الله عنه إذا أراد أن يُعاقِبَ رجلاً حبسه ثلاثاً، ثم عاقبه كراهية أن يعجلَ في أوّل غضبه.

[تهذيب السَّير (٢/٥٩٠)]

* وقال بعض الحكماء: الأمان أهنأ عيش، والعدل أقوى جيش.

[أدب الدين (٢٣١)]

* وقال الفضيلُ بن عياض رضي الله عنه (ت: ١٨٧): والله ما يحلُّ لك أن تؤذي كلباً ولا خنزيراً بغير حقّ، فكيف تُؤذي مسلماً.

[تهذيب السَّير (٢/٧٧٤)]

(١) كلمة تعجب تقال للشيء الطيب الحسن.

* وسمع مسلم بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٩) رجلاً يدعو على رجل، فقال: كِلِ الظالم إلى ظلمه، فإنه أسرع إليه من دعائك عليه، إلا أن يتداركه بعمل، وقَمِنَ أن لا يفعل^(١). [الزهد لأبي داود (٣٨٦)]

• وجاء رجل إلى أَحْمَدَ بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١) فقال له: نكتب عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ منصور الطوسي (ت: ٢٥٤)؟ فقال: إذا لم تكتب عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ منصور فعمن يكون ذلك؟ - مراراً - فقال له الرجل: إنه يتكلم فيك، فقال أَحْمَدُ: رجل صَالِحِ ابْتُلِيَ فينا فما نعمل؟

[طبقات الحنابلة (٢/٤٥)]

* وقال الشاعر:

أما واللّه إن الظلم شؤم وما زال المسيء هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضي وعند اللّه تجتمع الخصوم
ستعلم في المعاد إذا التقينا غدا عند المليك من الظلوم

[أدب الدين (٢٢٥)]

• وكان الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧٩) يستعمل الإنصاف، ويقول: ليس في الناس أقلّ منه، فأردتُ المداومةَ عليه. [ترتيب المدارك (١/١٠٥)]

* وقال الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤): بئسَ الزادُ إلى المَعَادِ العدوَانُ على العباد.

[تهذيب السيرة (٢/٨٤٩)]

(١) صدق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومعنى كلامه: كِلِ أمر الظالم إلى ظلمه، فإن شؤم ظلمه أسرع إليه من دعائك عليه، إلا أن يتداركه بعمل صالح أو توبة نصوح، وحرِيَّ أن لا يفعل؛ لأنَّ السيئة تجرّ السيئة.

مكائدُ الشيطان ووسوسته، والحذر منه

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢) قال: شيطان المؤمن مهزول. [ابن أبي الدنيا (٤/٥٣٥)]

* وقال رضي الله عنه: مثل المحقرات من الأعمال مثل قوم نزلوا منزلاً ليس به حطب ومعهم لحم، فلم يزالوا يلقطون حتى جمعوا ما نضجوا به لحمهم. [الزهد لهناد (١٨٩٣)]

* وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه (ت: ٣٣) عن السوق: لا تكن أول أهلها دخولاً، ولا آخرهم منها خروجاً؛ فإنها حيث باض الشيطان وفرخ. [الزهد لهناد (٦٧٥)]

* وقال مطرف بن الشخير رضي الله عنه (ت: ٩٥): لو أن رجلاً رأى صيداً والصيد لا يراه يختله أليس يوشك أن يأخذه، قالوا: بلى! قال: فإن الشيطان هو يرانا، ونحن لا نراه فيصيب منا. [تهذيب الحلية (١/٣٦١)]

* وقال أيضاً رضي الله عنه: وجدت العبد مُلقى بين ربه تعالى وبين الشيطان، فإن استنقذه نجا، وإن تركه للشيطان ذهب به.

[الزهد لابن المبارك (٢٨٣)]

* وقال بعض السلف: وجدت التسوييف جنداً من جنود إبليس، قد أهلك خلقاً من خلق الله كثيراً. [تهذيب الحلية (٢/٢٥٩)]

* وعن الحسن بن صالح رضي الله عنه (ت: ٢٦٩) قال: إن الشيطان

ليفتح للعبد تسعةً وتسعين باباً من الخير، يريد بها باباً من الشر^(١).

[تهذيب السير (٧٠٣/٢)]

* ودخل أبو حازم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٤٠) المسجدَ فَوَسَّوسَ إليه الشيطانُ: إنك قد أحدثتَ بعد وُضوءِكَ! فقال: وقد بَلَغَ هذا من نصحك!

[عيون الأخبار (٧٣٧/٢)]

* وقال بعض السلف: إذا نظر إليك الشيطان فرآك مداوماً في طاعة الله: ملكٌ ورفضك، وإذا كنت مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك.

* وقال أبو سليمان الداراني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٥): لا تَجِيءُ الوَسَّوِسُ إِلَّا إِلَى كُلِّ قَلْبٍ عَامِرٍ، رَأَيْتَ لِيصًّا يَأْتِي الْخُرَابَةَ يَنْقُبُهَا وَهُوَ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّ الْأَبْوَابِ شَاءَ؟.

[تهذيب الحلية (١٨٣/٣)]

* وشكا إليه رجلٌ الوسواس فقال: إذا أردت أن ينقطع عنك فأبِئ وقتٍ أحسستَ به فافرح، فإنك إذا فرحت به انقطع عنك؛ لأنه لا شيء أبغضُ إلى الشيطان من سرور المؤمن، وإذا اغتممتَ به زادك.

[المستطرف (١٥١)]

• وقال إسحاق بن راهويه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: رأيت أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١) يصلي فقال بيده هكذا - يشير بأصبعيه -، فلما سلم قلت: يا أبا عبد الله ما قلتَ في صلاتك؟ قال: كنتُ على طهارة فجاء إبليس فقال: إنك على غير طهارة، فقلتُ: شاهدين عدلين.

[طبقات الحنابلة (٢٨٨/١)]

(١) قال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وهانئا لطيفة للشيطان لا يتخلص منها إلا حاذق، وهي أن يظهر له في مظان الشر بعض شيء من الخير ويدعوه إلى تحصيله فإذا قرب منه ألقاه في الشبكة. «عدة الصابرين» (٨٦)

• وقال بعضهم: إنَّ الشيطان ليقنع من الإنسان بأن ينقله من طاعة إلى طاعة؛ ليفسخ عزمه بذلك^(١). [طبقات المفسرين للداودي (٢/٢١٠)]



(١) وهذا يحصل كثيراً، فتجد بعض الناس يعزم على القيام عمل نافع، ثم يفتر وينتقل إلى طاعة أخرى، وهو يرى أنه فعل الأحسن والأكمل، ولم يعلم أن مضيئه في عمله الأول حتى يتمه أحسن وأنفع له ولغيره.

النصيحة والاستشارة والاستخارة

* قال معمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٥٣): كان يقال: أنصح الناس من يخاف الله وَعَجَلَ فيك. [الزهد لابن المبارك (١٠٧٣)]

* وقال الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠): المسلم مرآة أخيه. [الزهد لهناد (١٠٢٧)]

* واستشار عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوم يستعملهم، فقال له بعض أصحابه: عليك بأهل العُذر قال: ومن هم؟ قال: الذين إن عدلوا فهو ما رجوت منهم، وإن قصّروا قال الناس: قد اجتهد عمر. [عيون الأخبار (١/٦٠)]

* وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧): استخيروا الله ولا تَحَيَّرُوا عليه، فكم من عبد تخيّر لنفسه أمراً كان هلاكه فيه. [عيون الأخبار (٧٣١/٢)]

* وكان يقال: من أُعطي أربعاً لم يُمنع أربعاً: من أُعطي الشكر لم يُمنع المزيد، ومن أُعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أُعطي المشورة يمنع الصواب، ومن أُعطي الاستخارة لم يُمنع الخيرة. [عيون الأخبار (٧٢/١)]

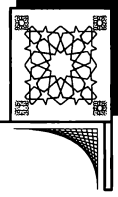
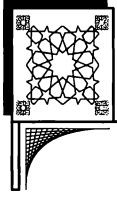
* وقال بعض البلغاء: من حقّ العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العقلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذُّ ربما زلّ، والعقل الفرد ربما ضلّ.

وكان يقال: إياك ومشاورة رجلين: شابٌ معجبٌ بنفسه قليل
التجارب في غيره، أو كبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه.
وقيل في منثور الحكم: كلُّ شيءٍ يحتاج إلى العقل، والعقل يحتاج
إلى التجارب.

وقال بعض الحكماء: نصف رأيك مع أخيك فشاوره ليكمل لك
الرأي.

[أدب الدين (٤٨٤ - ٤٩٠)]





ذم الغرور والعجب

* قال يحيى بن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٥٨): ذنب أفتقر به إليه أحب إليّ من عمل أدلّ به عليه. [صفة الصفوة (٤/٣٤٠)]

* وقال أبو سليمان الداراني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٥): كيف يعجب عاقل بعمله؟ وإنما يعد العمل نعمة من الله، إنما ينبغي له أن يشكر ويتواضع، وإنما يعجب بعمله القدرية الذين يزعمون أنهم يعملون، فأما من زعم أنه مستعمل بأي شيء يعجب؟ [تهذيب الحلية (٣/١٨٧)]

* وقال أبو عثمان الحيري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٠٠): احتقار الناس في نفسك مرض لا يُداوى. [تهذيب الحلية (٣/٣٦٤)]

• وقال الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٤): إذا خفت على عملك العجب؛ فاذكر رضا مَنْ تطلب، وفي أي نعيمٍ ترغب، ومن أي عقابٍ ترهب، فحينئذٍ يصغر عندك عملك. [طبقات الشافعيين (١/٦٧)]



ما قيل في العقل والعقلاء

* عن مطرف بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٥) أنه قال: ما أوتي عبدٌ بعدَ الإيمان أفضلَ من العقل ^(١).

[صفة الصفوة (٣/١٥٩)، ابن أبي الدنيا (٦/٤٦٧)]

* وقال وهب بن منبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٤): إني وجدت في بعض ما أنزل الله على أنبيائه: أن الشيطان لم يكابد شيئاً أشد عليه من مؤمن عاقل، وأنه يكابد مائة ألف جاهل فيسخر بهم، حتى يركب رقابهم، فينقادون له حيث شاء، ويكابد المؤمن العاقل فيصعب عليه حتى لا ينال منه شيئاً.

[تهذيب الجلية (٢/٣٧)]

* وقال بعض الحكماء: من لم يحترز بعقله من عقله هلك بعقله.

قال ابن مفلح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٦٣): وهذا كلامٌ في غايةِ الحُسنِ.

[الآداب الشرعية (٢/١٣٥)]

* ويقال: من لم يكن عقله أغلبَ خصال الخير عليه كان حَتْمُهُ في

أغلب خصال الخير عليه.

[عيون الأخبار (١/٣٨٠)]

* وقيل لقتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٨): أي الناس أغبط؟ قال: أعقلهم،

قيل: أعلمهم؟ قال: أعقلهم.

[ابن أبي الدنيا (٦/٤٦٨)]

(١) قال ابن الجوزي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن أجل الأشياء موهبة العقل؛ فَإِنَّهُ الأَلَةُ فِي تَحْصِيلِ مَعْرِفَةِ الإِلَهِ، وَبِهِ تَضَبُّطُ المَصَالِحِ، وَتَلَحُّظُ العَوَاقِبِ، وَتَدْرِكُ الغَوَامِضِ، وَتَجْمَعُ الفَضَائِلِ. «الأذكياء» (٩).

* وعن سفيان بن عيينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٩٨) قال: لا تنظروا إلى عقل الرجل في كلامه ولكن انظروا إلى عقله في مخارج أموره.

[ابن أبي الدنيا (٦/٤٧٣)]

* وقال وكيع بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٩٧): العاقل من عقل عن الله وَعَبَّكَ أمره، وليس من عقل تديير دنياه. [ابن أبي الدنيا (٦/٤٧٣)]

* وقال بعض الحكماء: لا ينبغي لعاقل أن يعرض عقله للنظر في كل شيء، كما لا ينبغي أن يضرب بسيفه كل شيء. [ابن أبي الدنيا (٦/٤٧٥)]

* وعن ابن جريج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٥٠) قال: قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له. [ابن أبي الدنيا (٦/٤٨٣)]

* وصدق الشاعر:

إذا تم عقل المرء تمت أموره وتمت أمانيه وتم بناؤه
* وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ: أَعُونَ الْأَشْيَاءَ عَلَى تَذْكِيَةِ^(١) الْعَقْلِ التَّعَلُّمُ،
وَأَدُلُّ الْأَشْيَاءَ عَلَى عَقْلِ الْعَاقِلِ حَسَنُ التَّدْبِيرِ. [أُمَالِي الْقَالِي (١/٢١٤)]

* وقال ابن المُقَفَّعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٤): على العاقل أن لا يستصغر شيئاً من الخطأ في الرأي، والزلل في العلم، والإغفال في الأمور؛ فإنه من استصغر الصغير أو شك أن يجمع إليه صغيراً وصغيراً، فإذا الصغير كبير، وإنما هي تُلم^(٢) يَتلَمها العجز والتضييع، فإذا لم تُسدَّ أو شكت أن تَنفجر بما لا يطاق.

ولم نر شيئاً قط إلا قد أتى من قِبَلِ الصَّغِيرِ الْمَتَهَاوِنِ بِهِ، قَدْ رَأَيْنَا

(١) أي: فِطنته وذكاؤه ونماؤه.

(٢) التلم: جمع ثلمة، وهي الخلل في الجدار وغيره.

الملك يُؤتى من العدو المحتقر، ورأينا الصّحة تؤتى من الداء الذي لا يُحفل به، ورأينا الأنهار تنبثق من الجدول الذي يستخف به. وعلى العاقل أن يجبن عن الرأي الذي لا يجد عليه موافقاً وإن ظن أنه على اليقين.

ولا يستخف ذو العقل بأحد.

وأحق من لم يُستخفّ به ثلاثة: الأتقياء، والولاة، والإخوان. فإنه من استخف بالأتقياء أهلك دينه، ومن استخف بالولاة أهلك دنياه، ومن استخف بالإخوان أفسد مروءته.

ولا تجد العاقل يحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يعد بما لا يجد إنجازَه، ولا يرجو ما يُعَنّف برجائه، ولا يُقدم على من يخاف العجز عنه.

ولا عقل لمن أغفله عن آخرته ما يجد من لذة دنياه، وليس من العقل أن يحرمه حظّه من الدنيا بصره بزوالها. [الأدب الصغير (١٩ - ٤١)]

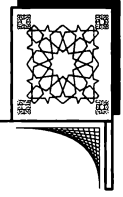
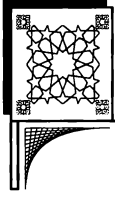
* وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اعلم أن من تنكّب^(١) الأمور ما يسمى حذراً، ومنه ما يسمى خوراً^(٢)، فإن استطعت أن تكون تجنّبك من الأمر قبل مَواقعتك^(٣) إياه فافعل، فإن هذا هو الحذر، ولا تنغمس فيه ثم تتهيّب، فإن هذا هو الخور، فإن الحكيم لا يخوض نهراً حتى يعلم مقدار قعره.

[الأدب الكبير (١٢٤)]

(٢) أي: ضعفاً.

(١) التنكب: التباعد.

(٣) أي: مداناتك ومباشرتك.



عناية السلف بالخواطر والأفكار

- * قال مسروق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٦٣): من راقب الله في خطرات قلبه: عصمه الله في حركات جوارحه. [صفة الصفوة (٤/٣٦٨)]
- * وقيل لسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٦١): أيؤاخذ العبد بالهَمَّة! قال: إذا كانت عزمًا أخذ بها. [تهذيب الجلية (٢/٣٦٩)]
- * وعن الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: إياكم رحمكم الله وهذه الأمانى فإنه لم يعط أحد بالأمنية خيراً في الدنيا ولا في الآخرة. [الزهد للإمام أحمد (٤٧٩)]
- * وقال بعضهم: الهمة مقدمة الأشياء، فمن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال. [تهذيب الجلية (٣/٤٤٥)]



حفظ السمع عن الحرام

* قال ابن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): الغناء ينبت النفاق في القلب.

[جامع معمر بن راشد (١٩٧٣٧)]

* وذَكَرَ عند القاسم بن محمد رضي الله عنه (ت: ١١٠) الغناء والسلو عنه، فقال لهم: أخبروني، إذا مُيِّزَ أهلُ الحقِّ وأهلُ الباطل ففي أيِّ الفريقين يكون الغناء؟ قالوا: في فريق الباطل قال: فلا حاجة لي فيه.

[ابن أبي الدنيا (٢٨٤/٥)، عيون الأخبار (٣٧٧/٤)]

* وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه (ت: ١٨٧): الغناء رقية الزنا.

[ابن أبي الدنيا (٢٨٤/٥)]

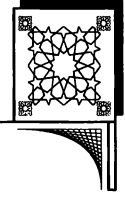
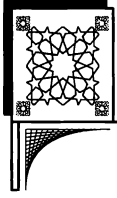
* وقال الحسن رضي الله عنه (ت: ١١٠): صوتان ملعونان: مزمار عند

نعمة^(١)، ورنة عند مصيبة.

[ابن أبي الدنيا (٢٨٦/٥)]



(١) في الأصل: نعمة، والمثبت هو الصواب.



حفظ البصر عن الحرام

* عن أنس رضي الله عنه (ت: ٩٣) قال: إذا مرت بك امرأة فاغمض عينيك حتى تجاوزك. [ابن أبي الدنيا (٢٠٦/١)]

* ودخل رجل مع ابن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢) بيت رجل، فجعل الرجل ينظر إلى امرأة في البيت، فقال له ابن مسعود: لأن تُفقا عينك خير لك مما أراك تصنع. [الزهد لهناد (١٤٢١)]

* وخرج حسان بن أبي سنان رضي الله عنه (ت: ١٥٦) إلى العيد، فقيل له لما رجع: يا أبا عبد الله ما رأينا عيداً أكثر نساء منه؟ قال: ما تلتقتني امرأة حتى رجعت. [تهذيب الحلية (٤٧١/١)]

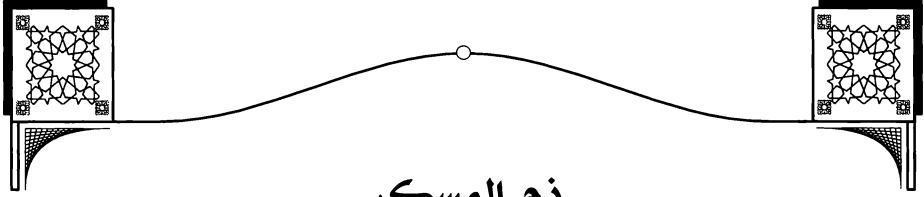
* وعن موسى الجهني قال: كنت مع سعيد بن جبير رضي الله عنه (ت: ٩٤) في طريق، فاستقبلنا امرأة فنظرنا إليها جميعاً، ثم إن سعيداً غض بصره ونظرت أنا، فقال: الأولى لك والثانية عليك. [الزهد لهناد (١٤١٨)]

* وعن العلاء بن زياد رضي الله عنه (ت: ٩٤) قال: لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يجعل شهوة في القلب. [الزهد لأحمد (٤٣٦)]

* وعن الحسن البصري رضي الله عنه (ت: ١١٠) قال: رب نظرة أوقعت في قلب صاحبها شهوة، ورب شهوة أورثت صاحبها حزناً طويلاً. [الزهد لأحمد (٤٧٩)]

- * وقال إبراهيم بن أدهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧٠): كثرة النظر إلى الباطل، تذهب بمعرفة الحق من القلب. [تهذيب الحلية (٤٨٦/٢)]
- * وقال فضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧): لا تنظروا إلى مراكبهم، فإن النظر إليه يطفى نور الإنكار عليهم. [ابن أبي الدنيا (٢٠٦/١)]





ذم المسكر

* قام عمر رضي الله عنه (ت: ٢٣) على منبر المدينة فقال: إن الخمر حرمت يوم حرمت وهي من خمسة: من العنب، والعسل، والتمر، والحنطة، والشعير، والخمر ما خامر العقل.

[صحيح البخاري (٤٦١٩)، صحيح مسلم (٣٠٣٢)]

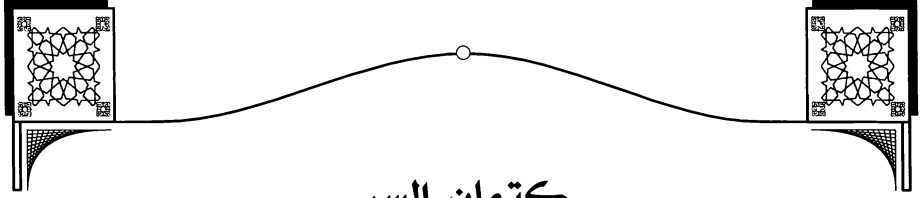
* وقال عثمان رضي الله عنه (ت: ٣٥): إياكم والخمر، فإنها مفتاح كل شر، أتى رجل فقيل له: إما أن تحرق هذا الكتاب، وإما أن تقتل هذا الصبي، وإما أن تسجد لهذا الصليب، وإما أن تفجر بهذه المرأة، وإما أن تشرب هذه الكأس، فلم ير شيئاً أهون عليه من شرب الكأس، فشرب الكأس، ففجر بالمرأة، وقتل الصبي، وحرق الكتاب، وسجد للصليب، فهي مفتاح كل شر.

[ابن أبي الدنيا (٢٥٤/٥)]

* وقال بعض السلف: لو كان العقل يُشترى، لتغالى الناس في شرائه، فالعجب من أقوام يشترون بأموالهم ما يُذهب بعقولهم!.

[ابن أبي الدنيا (٢٦٧/٥)]





كتمان السر

* قال عمرو بن العاص رضي الله عنه (ت: ٤٣): ما استودعتُ رجلاً سرّاً فأفشاه فلمتُه؛ لأنني كنت أضيق صدرأ حين استودعته.

[عيون الأخبار (١/٨٢)، ابن أبي الدنيا (٧/٢٤٥)]

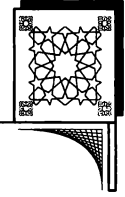
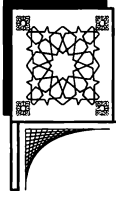
* وعن الحسن رضي الله عنه (ت: ١١٠) قال: إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك.

[ابن أبي الدنيا (٧/٢٤٤)]

* وقال ذو النون رضي الله عنه (ت: ٤٦): صدور الأحرار قبور الأسرار.

[تهذيب الحلية (٣/٢٣٦)]





المزاح، وآدابه

* قال سعيد بن العاص رضي الله عنه (ت: ٥٧) لابنه: يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا تمازح الدنيّ فيجتري عليك.

[ابن أبي الدنيا (٧/٢٤٠)]

* وقال الأحنف بن قيس رضي الله عنه (ت: ٧٢): من كثر كلامه وضحكه ومزاحه: قلّت هيئته، ومن أكثر من شيء عُرف به. [ابن أبي الدنيا (٧/٢٣٨)]

* وقال محمد بن المنكدر رضي الله عنه (ت: ١٣٠): لا تمازح الصبيان، فتهون عليهم ويستخفون بحقك.

[تهذيب الحلية (١/٤٩٧)، ابن أبي الدنيا (٧/٢٣٨)]

* وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (ت: ١٠١): اتقوا الله، وإيّا والمزاح؛ فإنها تورث الضغينة، وتجر القبيحة، تحدثوا بالقرآن، وتجالسوا به، فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال.

[ابن أبي الدنيا (٧/٢٣٩)]

* وكان يقال: لكل شيء بذر، وبذر العداوة المزاح.

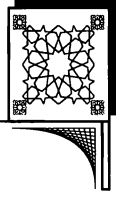
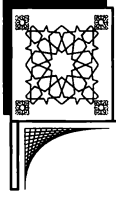
[ابن أبي الدنيا (٧/٢٤١)]



إجمام النفس وترويحها

- * قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت: ٦٨): إنه هذه القلوب تملّ كما تمل الأبدان، فالتمسوا لها من الحكمة طرفاً. [ابن أبي الدنيا (٦/٤٨٥)]
- * وقال ابن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢): استَبَقَ نفسك ولا تَكْرِهْهَا؛ فَإِنَّكَ إِنْ أَكْرَهْتَ القلبَ على شيءٍ عمي. [ابن أبي الدنيا (٦/٤٨٥)]
- * وقال رضي الله عنه: «إِنَّ للقلوب شهوة وإقبالاً، وَإِنْ للقلوب فترة وإدباراً، فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها».
- [الزهد لابن المبارك (١٠٤٢)، صفة الصفة (١/١٩٠) واللفظ له]
- * وقال بعض السلف: رُوِّحُوا القلوبَ تعي الذكر.
- [أخبار الشيوخ (٣٤٦)]
- * وقال وهب بن منبه رضي الله عنه (ت: ١١٤): مكتوب في حكمة آل داود عليهم السلام: ينبغي للعاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يناجي فيها ربه، وساعة يلقي فيها إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه، ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلّ وَيَجْمُلُ؛ فَإِنَّ فِي هَذِهِ السَّاعَةَ عَوْنًا عَلَى تِلْكَ السَّاعَاتِ، وَفَضْلَ بَلْغَةَ واستجماعاً للقلوب. [جامع العلوم والحكم (٣٩٦)]. [ابن أبي الدنيا (٦/٤٧١)]

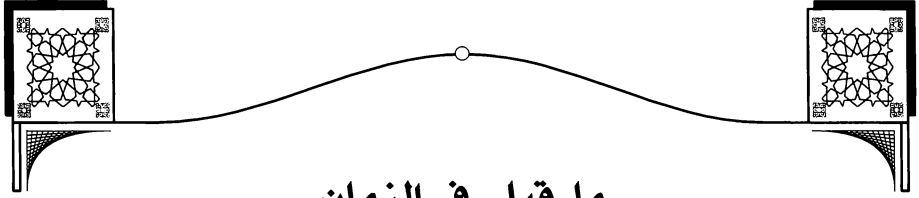




موقف السلف من الرخص والأخذ بها

- * قال سليمان التيمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٤٣): لو أخذت برخصة كل عالم - أو زلة كل عالم - اجتمع فيك الشر كله. [تهذيب الجلية (١/٤٤٢)]
- * وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٦١): إنما العلم عندنا الرخص عن الثقة، فأما التشديد فكل إنسان يحسنه. [تهذيب الجلية (٢/٣٦٤)]

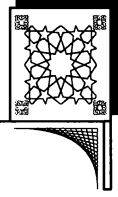
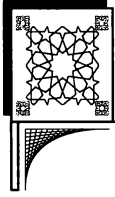




ما قيل في الزمان

- * قال عروة بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٠٠): الناس بأزمنتهم أشبه منهم بأبائهم وأمهاتهم. [تهذيب الحلية (١/٣٥٠)]
- * وعن مطرف بن الشخير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٩٥) قال: عقول الناس على قدر زمانهم. [تهذيب الحلية (١/٣٦١)]





ما قيل في المساجد

* سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت: ٢٣) صوت رجل في المسجد فقال: تدري أين أنت؟
[الزهد لابن المبارك (٣٨٦)]

* وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه (ت: ١٨): «من رأى أن من في المسجد ليس في الصلاة إلا من كان قائماً يصلي، فإنه لم يفقه».
[الزهد لابن المبارك (٣٩٢)]

* وقال رضي الله عنه: إن المساجد طهرت من خمس: من أن تقام فيها الحدود، وأن يقتصر فيها الجراح، وأن ينطق فيها بالأشعار، أو ينشد فيها الضالة، أو تتخذ سوقاً.
[الزهد لابن المبارك (٣٩٤)]

* وعن أبي الدرداء رضي الله عنه (ت: ٣٢) أنه قال: ما من رجل يغدو إلى المسجد بخير يتعلمه أو يُعَلِّمه إلا كتب الله له أجر المجاهد ولا ينقلب إلا غانماً.
[الزهد لأحمد (٢٥٤ - ٢٥٦)]

* وعن عمرو بن ميمون رضي الله عنه (ت: ١٤٥) قال: المساجد بيوت الله، وحق على المزور أن يكرم زائره.
[تهذيب الحلي (٧١/٢)]



العمر والشيب

* قال ابن المبارك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٨١): ما أسرع هذه الأيام في هدم عمرنا، وأسرع هذا العام في هدم شهره، وأسرع هذا الشهر في هدم يومه. [ابن أبي الدنيا (٥٢٦/٧)]

* وعن بعض التابعين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان الرجل من أهل المدينة إذا بلغ أربعين سنة تفرغ للعبادة. [الزهدي لهناد (٦٧١)]

* واعتم^(١) شهر بن حوشب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٠٠) وهو يريد سلطاناً يأتيه، ثم أخذ المرأة ينظر في وجهه وعمامته، فنظر إلى لحيته فرأى شيباً فأخذها بيده، ثم نقض عمامته، وهو يقول: السلطان بعد الشيب، السلطان بعد الشيب^(٢). [ابن أبي الدنيا (٥٦٩/٧)]

* وقد قال أحد أمراء بني أمية: تركت المعاصي والذنوب أربعين سنة حياء من الناس، ثم تركتها حياء من الله، وَعَلَى.

وما أحسن قول الشاعر:

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْطُلْ

[تفسير ابن كثير (٢٨١/٧)]

(١) أي: لبس عمامته.

(٢) والشيب يبدأ غالباً من سنّ الأربعين، فلذلك لمّا رأى الشيب تفرغ للعبادة وقلّل انشغاله بالناس، كما هو حال أكثر السلف الصالح.

* وقال عبد الله بن داود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢١٣): كان أحدُهم إذا بلغ أربعين سنةً طوى فراشه، وكان بعضهم يُحيي الليلَ، فإذا نظر إلى الفجر قال: عند الصباح يَحْمَدُ القَوْمَ السَّري. [عيون الأخبار (٢/٦٧٧)]

• وقال أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١): ما شَبَّهْتُ الشبابَ إلا بشيءٍ كان في كُمِّي فسقط. [طبقات الحنابلة (١/١٨٣)]





الخاتمة

اللَّهُمَّ لك الحمد أن هديتني للإسلام والسُّنَّة، وعلمتني القرآن، وحببت إليّ العلم النافع وزينته لي، وشرحت صدري لنشره، وذللت لي الطرق والسبل لذلك.

ولك الحمد على نعمة العافية، ولولاها لما قدرت على تعلّم العلم ولا على العمل به ولا على نشره.

ولك الحمد أن رزقتني بإخوةٍ ناصحين يقوّمونني إذا اغوججت، وينصحونني إذا أخطأت، ويفرحون لفرحي إذا أصبّت، ويعينونني على نشر العلم الذي وهبته لي بكرمك وجودك وإحسانك.

ولك الحمد على نعمة الفراغ، فلولاها لما وجدت الوقت الذي أتعلّم وأعمل وأعلّم وأكتب.

ولك الحمد أن صرفت عني شياطين الإنس والجن، فلولا لطفك بصرفهم عني لأذوني وأردوني، وشغلوني عما فيه صلاح ديني ودنياي.

ولك الحمد أن أغنيتني ووسعت لي في رزقي الذي به حياة بدني، فلولا لانشغلت بتحصيل لقمتي ولقمت أولادي عن العلم الذي به حياة روعي.

ولك الحمد على أن أعنتني على نفسي ولم تكني إليها فهي الأمانة بالسوء، ولو وُكلت إليها لوُكلت إلى ضعف وفقر وعجز.

فلولاك ربي ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا .
الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يُحب ربنا ويرضى .
وصلّى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	مُقدِّمةُ الْمُختَصِرِ
٧	المُقدِّمةُ
١١	منهجي في اختيارِ مادَّةِ هَذَا الكِتَابِ
١٥	أربع تبيهاات مهمة
١٧	مدخل: التعريف بالسلف الصالح، وخصائصهم، وواجبنا تجاههم، وسمات منهجهم
١٧	تَعْرِيفُ السَّلْفِ
١٩	خِصَائِصُ وَمَزَايَا السَّلْفِ عَن غَيْرِهِمْ
٢١	واجبنا تجاه السلف الصالح
٢٤	مَنْهَجُ وَاَعْتِقَادُ السَّلْفِ الصَّالِحِ
٢٧	العلم والعلماء
٢٧	أ - توقير العلم والاحتراف بأهله
٣٠	ب - تعريف العلم، وكيفية أخذه، وبيان فضله
٣٣	ج - ما قيل في العلم والعلماء
٣٥	د - نصائح وتوجيهات للعالم وطالب العلم
٣٩	هـ - ذم العجلة في التصدر في المجالس والتعليم والفتوى
٤١	و - قصص ووقائع لبعض العلماء
٤٣	ز - ما قيل في كتم بعض العلم للمصلحة، وعدم بثه لكل أحد
٤٤	ح - الهمة في طلب العلم
٤٦	ط - فضل أصحاب الحديث

٤٧ ي - حال السلف وأهل العلم عند الاختلاف
٤٨ ك - فوائد أخرى
٥١ ذم الجهل
٥٣ ذم التقليد والنهي عنه، وما جاء في التعصب
٥٤ ذم التفاخر بالأحساب
٥٥ الأئمة الذين يُقتدى بهم
٥٦ ترك التكلف
٥٧ العمل بالعلم
٦١ بذل العلم وتعليمه وتدوينه
٦٣ العقيدة
٦٣ أ - مكانة السنّة ومنزلتها، وذم من احتج بالقرآن وردّ السنّة
٦٤ ب - موقف السلف ممن قال: القرآن مخلوق
٦٥ ج - موقف السلف في باب الإيمان، وأنه اعتقاد وقول وعمل، يزيد وينقص
٦٦ د - موقف السلف في باب القدر
٦٩ هـ - موقف السلف في باب الاستواء وعلو الله
٧٠ و - موقف السلف في باب الصفات
٧٢ ز - موقف السلف في باب التكفير، والتبديع، والتفسيق
٧٣ ح - موقف السلف من الصحابة، وبيان منزلتهم ومكانتهم
٧٤ ي - معنى الشهادة وفضلها وأهميتها، والحذر مما يضادّها
٧٥ ك - الولاء والبراء
٧٥ ل - ذم الحلف بغير الله
٧٥ م - أصول السنّة مُجمّلة
٧٨ التمسك بالكتاب والسنّة والأثر، وذم الأخذ بالرأي ورواية الأحاديث المكذوبة والواهية

الصفحة

الموضوع

- ٨٤ ذم البدع والمبتدعة، والهوى وأهله، والجدال والمراء
- ٨٤ أ - ذم البدع
- ٨٥ ب - ذم المبتدعة
- ٨٧ ج - ذم الهوى، وفضل من خالفه
- ٨٩ د - ذم المراء والجدال بوجه عام
- ٨٩ هـ - ذم المراء والجدال في الدين
- ٩١ و - التحذير من مجادلة أهل البدع والأهواء
- ٩٤ حال السلف مع ولاية الأمور
- ٩٤ أ - طاعتهم، والحث على لزوم الجماعة
- ٩٤ ب - مداراتهم، والرفق واللين في التعامل معهم
- ٩٦ ج - الصدع بالحق وعدم المداينة في النصح لهم
- ٩٧ د - توجيهات ونصائح السلف لمن أراد الدخول معهم
- ٩٧ هـ - الصبر على ظلمهم، وعدم الخروج عليهم، وذم من فعل ذلك
- ٩٩ و - الدعاء لهم، والبعد عن الثناء عليهم إلا بحق
- ١٠٠ ز - فوائد أخرى
- ١٠١ علوُّ الهمة
- ١٠٥ ذم الكسل
- ١٠٦ نساء السلف
- ١٠٨ أطفال السلف
- ١١٠ الجهاد والتضحية في سبيل الله
- ١١٣ الدعوة إلى الله
- ١١٥ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ١١٥ أ - أهمية وفضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعاقبة من تركه
- ١١٦ ب - آداب ونصائح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ١١٩ ج - وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كان مقصراً

١١٩	د - وجوب الأمر بالمعروف وإن لم يعمل بكل ما يقول
١١٩	هـ - قصص ووقائع
١٢١	عبادة السلف
١٢١	أ - الحث على العبادة والخشوع، وأقوالهم في ذلك
١٢٢	ب - الصلاة وأهميتها وفضلها، وحالهم فيها
١٢٧	ج - فضل قيام الليل وقصص المتهجّدين
١٣٠	د - فضل صلاة الضحى
١٣٠	هـ - شهر رمضان، والصيام
١٣١	و - التهيؤ للعبادة والاستعداد لها
١٣٢	ز - فوائد أخرى
١٣٣	القصد في العبادة، والتيسير وعدم التشدد والتنطع
١٣٦	حال السلف مع القرآن وتعليمه، وأثره عليهم
١٤٢	عناية السلف بالقلب، والحذر من قسوته
١٤٢	أ - ضعف القلب وسرعة تقلبه وتغيره
١٤٢	ب - الحذر من قسوة ومرض القلب، وأسباب ذلك
١٤٤	ج - نصائح وتوجيهات وقصص في إصلاح القلب وتصحيح النية والصدق مع الله
١٤٦	د - أهمية انصراف القلب إلى الله، وتعلقه به، والثقة به
١٤٧	هـ - فوائد أخرى
١٥٠	الصدق مع الله
١٥٢	الأولياء
١٥٣	الإخلاص، وذم النفاق والرياء، والخوف منهما
١٥٧	الاحتساب
١٥٩	رفعة الله للمؤمنين والصالحين
١٦٠	كرامات العلماء والصالحين وحفظ الله لهم

الصفحة

الموضوع

- ١٦٢ التخفي وكتمان الأعمال الصالحة
- ١٦٢ أ - الحرص على الخمول وعدم البروز والظهور
- ١٦٦ ب - كتمان الأعمال الصالحة
- ١٦٨ ج - الحذر من تصنع الزهد والخمول وصالح الأعمال
- ١٦٩ بر الوالدين وصلة الرحم
- ١٧١ حال السلف مع الفتن والمحن
- ١٧١ أ - حالهم مع فتن المصائب والأمراض، والصبر عليها
- ١٧٦ ب - موقفهم من قتال الفتنة، وتوجيههم فيها
- ١٧٨ ج - حالهم مع فتن الشهوات والنساء
- ١٨٠ عيادة المريض
- ١٨١ موقف السلف من الحاجات الضرورية والكمالية
- ١٨١ أ - موقف السلف من العمل والسعي في طلب الرزق
- ١٨٢ ب - موقف السلف من اللباس والمتاع
- ١٨٤ ج - موقف السلف من بعض العلوم غير الشرعية
- ١٨٤ د - موقف السلف من النكاح
- ١٨٤ هـ - موقف السلف من بناء البيوت والقصور
- ١٨٥ و - الموازنة بين أعمال الدنيا وأعمال الآخرة
- ١٨٦ ز - الاقتصاد وعدم الإسراف
- ١٨٦ ح - فوائد أخرى
- ١٨٧ موقف السلف من المال
- ١٨٧ أ - ذم تعلق القلب بالمال
- ١٨٨ ب - إبقاء شيءٍ من المال للورثة
- ١٨٩ تقديم الأولويات
- ١٩٠ حسن الخلق
- ١٩٣ ذم سوء الخلق وبيان شرّ عواقبه

١٩٤ الحلم، والعتو، والصفح، وذم الغضب وعلاجه
٢٠١ مداراة الناس
٢٠٢ الورع
٢٠٢ أ - أهمة الورع ومعناه
٢٠٢ ب - قصص وأخبار السلف في الورع
٢٠٤ ج - التنبيه على الورع الصحيح والخاطيء، ومن يليق به الورع
٢٠٥ الأدب والمروءة
٢٠٧ الحياء
٢٠٧ أ - الحياء من الله
٢٠٧ ب - الحياء من الناس
٢٠٨ ج - الحياء من النفس
٢٠٩ الكرم، والجود، والإيثار
٢١٤ التواضع وذم الكبر
٢٢٠ هضم النفس
٢٢٤ الهدايا والهبات
٢٢٥ موقف السلف من المدح والثناء
٢٢٧ الغيرة والعفة
٢٢٨ التأنى والتروي، والرفق، وذم العجلة
٢٢٩ الزهد وذم الدنيا
٢٢٩ أ - فضل الزهد
٢٣٠ ب - معنى الزهد، وأنواعه، وبيان أخطاء بعض الناس في الزهد
٢٣١ ج - ذم الركون إلى الدنيا والفرح بمتاعها
٢٣٧ د - قصص الزاهدين
٢٣٩ ه - أقوال وحكم في القناعة
٢٤١ الرضا

الموضوع

الصفحة

- أ - رضا العبد عن الله وعن أقداره، وعدم الشكوى للمخلوق ٢٤١
- ب - رضا الله عن العبد، وأسباب ذلك ٢٤٣
- فضل الذكر وبيان أثره ٢٤٤
- الدعاء ٢٤٩
- أ - أهمية الدعاء، والتضرع إلى الله والتذلل له، وما قيل في ذلك ٢٤٩
- ب - بعض الآداب في الدعاء، وبعض الأخطاء فيه ٢٥١
- الخوف والخشية والرجاء ٢٥٣
- أ - الخوف والخشية ٢٥٣
- ب - الرجاء وإحسان الظن بالله ٢٥٧
- ج - الموازنة بين الخوف والرجاء ٢٥٩
- د - ما جاء فيمن يُصعق عند الموعظة، وموقف السلف من ذلك ٢٥٩
- هـ - فوائد أخرى ٢٦٠
- حال السلف في التعامل مع نسائهم، ونصحهم وتوجيههم للزوجة ٢٦١
- عناية السلف بالأولاد ٢٦٤
- أ - الحرص على تربيتهم وتعليمهم، والصبر على ذلك ٢٦٤
- ب - فضل الأولاد ٢٦٧
- ج - الصبر على فقد الولد ٢٦٧
- د - فضل الإنفاق عليهم ٢٦٧
- هـ - تحفيزهم وعدم احتقارهم ٢٦٨
- و - العدل بينهم ٢٦٩
- ز - تزويج الأبناء والبنات ٢٧٠
- ح - العطف عليهم، ومحبتهم، ومداعتهم ٢٧٠
- ط - التسليم على الصبيان ٢٧٢
- ي - مداعبة الصبيان، والرخصة في لعبهم ٢٧٢
- ك - العناية بالأيتام، وتأديبهم ٢٧٢

الصفحة

الموضوع

٢٧٣	ل - فوائد أخرى
٢٧٤	المواساة وتفريج الكرب
٢٧٦	عناية السلف بالفقراء والمساكين
٢٨٠	المسارعة إلى فعل الخيرات
٢٨٣	حال السلف مع الطعام والشراب
٢٨٣	أ - التقليل من الأكل، والحث على ذلك
٢٨٥	ب - أكل الحلال، والحذر من أكل الحرام
٢٨٥	ج - ترك التكلف والمباهاة في إكرام الناس
٢٨٦	التوكل والاعتماد على الله
٢٨٨	اليقين بالله
٢٨٩	المحبة
٢٨٩	أ - محبة الناس بعضهم لبعض
٢٨٩	ب - محبة العبد لله، ومحبة الله للعبد، وأسباب ذلك
٢٩٠	ج - محبة النبي ﷺ وتعظيمه
٢٩٣	حفظ اللسان
٢٩٣	أ - حفظ اللسان من كثرة الكلام، ومن الكلام الذي لا ينفع
٢٩٦	ب - حفظ اللسان من الغيبة وتتبع الزلات والهفوات والسقطات
٢٩٩	ج - حفظ اللسان من النسيمة
٣٠٠	د - ذم ذي اللسانين والحذر منه
٣٠٠	هـ - حفظ اللسان من الكذب
٣٠٢	و - حفظ اللسان من المسابة والمشاتمة
٣٠٢	ز - حفظ اللسان من السخرية
	ح - حفظ اللسان من القول على الله بلا علم، والورع في الفتيا والنقل عن النبي ﷺ
٣٠٣	
٣٠٧	ط - حفظ اللسان من التكلم فيما لا يعني

الموضوع

الصفحة

- ٣٠٨ ي - كلام السلف في تفضيل السكوت على الكلام أحياناً، والعكس
- ٣٠٨ ك - حفظ اللسان من التقعر بالكلام
- ٣٠٩ ل - مَنْ تجوز غيبته
- ٣٠٩ م - حفظ اللسان من إخلاف الوعد
- ٣١٠ ن - حفظ اللسان من الفظاظة والحدة
- ٣١٠ س - حفظ اللسان من السؤال عما لم يقع
- ٣١٠ ع - فوائد أخرى
- ٣١٢ الأمانة، والمسؤولية
- ٣١٥ الثبات على الدين والتضحية لأجله
- ٣١٩ التوبة والرجوع إلى الله
- ٣٢٠ التأمل والتفكير
- ٣٢١ العزلة، وأهمية الاستغناء عن الناس، وعدم سؤالهم
- ٣٢١ أ - اعتزال الناس وعدم الإكثار من مخالطتهم والحذر منهم
- ٣٢٢ ب - أهمية الاستغناء عن الناس، وعدم سؤالهم، وقطع منتهم
- ج - أقوال بعض السلف في تفضيل مخالطة الناس، وتوجيههم لمن
٣٢٣ خالطهم
- ٣٢٥ حال السلف عند الموت
- ٣٢٥ أ - قصص وأخبار
- ٣٢٨ ب - أهمية تذكر الموت والاستعداد له:
- ٣٣٠ ج - ما قيل في الموت ورهبته
- ٣٣٢ د - ما قيل في الجنائز والمقابر والاحتضار
- ٣٣٤ هـ - القبر راحة المؤمن
- و - تلقين المحتضر الشهادة
- ٣٣٤ ٣٣٦ الشوق إلى لقاء الله وجنته
- ٣٣٦ أ - أحوالهم وأقوالهم في الشوق إلى لقاء الله وجنته

- ب - حال بعض السلف الذين يرغبون طول العمر للزيادة في العمل ٣٣٦
- حال بعض الملوك، والأمراء، والمذنبين عند الموت ٣٣٧
- أحوال يوم القيامة، والحساب ٣٤٠
- الجنة ونعيمها ٣٤١
- النار وعذابها ٣٤٤
- الأمل ٣٤٨
- أ - ما قيل في الأمل وأنه غريزة في الإنسان ٣٤٨
- ب - الحث على قصر الأمل ٣٤٨
- ذم الطمع والبخل ٣٥١
- فوائد الطاعة والأعمال الصالحة، وتوجيهات السلف في ذلك ٣٥٢
- أ - محبة الله للمطيع، وتحبيب الناس له، وتيسير أموره ٣٥٢
- ب - اللذة، والأنس، وانسراح الصدر ٣٥٤
- ج - الذلّ عند الطاعات، والعزّ عند المعاصي ٣٥٥
- أضرار المعصية ٣٥٦
- أ - شؤم المعصية وما ينتج عنها ٣٥٦
- ب - ما قيل في المعاصي، والحذر منها، وفضل من تجنبها ٣٥٨
- ج - نظرة السلف للمعصية وللعاصي ٣٦٠
- د - الستر على العاصي، وعدم إفشاء معصيته ٣٦١
- محاسبة النفس ٣٦٢
- أ - أهمية وفضل محاسبة النفس ٣٦٢
- ب - توجيهات ونصائح في محاسبة النفس ٣٦٣
- ج - قصص ووقائع في محاسبة النفس ٣٦٣
- د - أهمية معرفة عيوب النفس وآفاتهما، وترك عيب الناس ٣٦٥
- هـ - مجاهدة النفس ٣٦٧
- الأخوة والصحة ٣٦٨

الصفحة

الموضوع

- ٣٦٨ أ - فضل الأخوة والصحبة في الله، والإحسان إليهم
- ٣٧٠ ب - قصص ومواقف في الإحسان إلى الأخ والصديق
- ٣٧١ ج - الصبر عليهم، والتجاوز عن تقصيرهم، والتماس العذر لهم
- ٣٧٢ د - نصائح وتوجيهات للصديق
- ٣٧٤ هـ - فوائد أخرى
- ٣٧٥ تقوى الله وأثرها على المسلم
- ٣٧٧ الاعتذار والرجوع إلى الحق
- ٣٧٨ ذم الحمقى واللئام
- ٣٧٩ حال السلف في باب المناظرة
- ٣٨٠ الحكمة، وحسن التصرف، ولطف الكلام
- ٣٨٣ حال السلف مع النعم، وشكر المُنعم
- ٣٨٣ أ - حال السلف مع نعم الله وما قيل في ذلك
- ٣٨٦ ب - حال السلف مع من أحسن إليهم من الخلق
- ٣٨٧ حفظ الوقت
- ٣٨٩ ذم الحسد
- ٣٩٠ العدل وذب الظلم
- ٣٩٣ مكائد الشيطان ووسوسته، والحذر منه
- ٣٩٦ النصيحة والاستشارة والاستخارة
- ٣٩٨ ذم الغرور والعجب
- ٣٩٩ ما قيل في العقل والعقلاء
- ٤٠٢ عناية السلف بالخواطر والأفكار
- ٤٠٣ حفظ السمع عن الحرام
- ٤٠٤ حفظ البصر عن الحرام
- ٤٠٦ ذم المسكر
- ٤٠٧ كتمان السر

الصفحة

الموضوع

٤٠٨	المزاح، وآدابه
٤٠٩	إجمام النفس وترويحها
٤١٠	موقف السلف من الرخص والأخذ بها
٤١١	ما قيل في الزمان
٤١٢	ما قيل في المساجد
٤١٣	العمر والشيب
٤١٥	الخاتمة
٤١٧	الفهرس

طَبِعَ لِلْمُؤَلِّفِ

- ١ - حَيَاةُ السَّلَفِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ. (الطبعة الرابعة).
- ٢ - مختصر حَيَاةِ السَّلَفِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.
- ٣ - إِرْشَادُ السَّاجِدِ بِأَسْبَابِ الْخِلَافِ وَالتَّقَاتُحِ فِي الْمَسَاجِدِ.
- ٤ - الْإِفَاضَةُ فِي أَحْكَامِ الْحَيْضِ وَالتَّقَاسِ وَالْأَسْتِحْضَاةِ.
- ٥ - كَيْفَ تُرَبِّي أَوْلَادَكَ؟ (الطبعة الثانية).
- ٦ - بَيُوتُ تَبْنُ مِنَ الْمَشَاكِلِ وَالْخِلَافَاتِ، الْأَسْبَابُ وَالْعِلَاجُ.
- ٧ - حُقُوقُ الصَّدِيقِ وَكَيْفَ تَتَعَامَلُ مَعَهُ.
- ٨ - آدَابُ طَالِبِ الْعِلْمِ وَسُبُلُ بِنَائِهِ وَرُسُوخِهِ.
- ٩ - الْحَيَاةُ الزَّوْجِيَّةُ السَّعِيدَةُ، فَوَاعِدُ وَحُقُوقُ وَعِلَاجُ الْمُنْغَصَاتِ.
- ١٠ - عِلْمُ تَغْيِيرِ الرُّؤْيَى، بَحْثُ تَأْصِيلِي عِلْمِي تَطْبِيقِي.
- ١١ - الْمَعِينُ الْجَارِي فِي اسْتِنْبَاطِ الْمَوَائِدِ وَاللَطَائِفِ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ.
- ١٢ - مَنَهْجُ الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ فِتَاوَى الْمُفْتِينَ وَالرَّدُّ عَلَى الْمُخْطِئِينَ.
- ١٣ - تَهْذِيبُ كِتَابِ الْمَوَافَقَاتِ لِلْإِمَامِ الشَّاطِبِيِّ، مَعَ التَّعْلِيقِ عَلَيْهِ.
- ١٤ - مَجَالِسُ شَهْرِ رَمَضَانَ.
- ١٥ - قِصَصِي مَعَ الْمُلْجِدِينَ وَالْمُشَكِّكِينَ وَالْمُؤَسَّوسِينَ، مَعَ بَيَانِ طُرُقِ إِفْنَاعِهِمْ وَهِدَايَتِهِمْ.
- ١٦ - الْمَسَائِلُ الْمُهْمَةُ فِي التَّجْوِيدِ وَالْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ.

- ١٧ - عِبَارَاتٌ أَثَّرَتْ عَلَيَّ وَغَيَّرَتْ فِي حَيَاتِي.
- ١٨ - عَبَقْرِيَّةُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ.
- ١٩ - بَوَابَةُ الْحُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ.
- ٢٠ - صِنَاعَةُ طَالِبِ عِلْمٍ مَاهِرٍ. (الطبعة الثانية).
- ٢١ - صِنَاعَةُ خَطِيبٍ مَاهِرٍ.
- ٢٢ - الْأُنْسُ بِاللَّهِ تَعَالَى.
- ٢٣ - تَقْرِيبُ فَتَاوَى وَرَسَائِلِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ.
- ٢٤ - فَنُّ التَّعَامُلِ وَكِتَابِ الْأَخْلَاقِ.
- ٢٥ - الرُّفِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ بَيْنَ بَاعَةِ الْأَوْهَامِ وَأَصْلِهَا الشَّرْعِيِّ، قِصَصٌ وَعِبَرٌ.
- ٢٦ - غِذَاءُ الْعُقُولِ وَصِفَاتُ الْعُقَلَاءِ.
- ٢٧ - نَزْرُ الْخَوَاطِرِ.
- ٢٨ - حَدِيثَةُ الْمُنَبِّيِّ.